



النَّبِيَّةُ

في مناجاة النبي صلى الله عليه وآله
قراءة عملاوية للشيخة المحمدية



و. أحمد مكيمة النقيس

دار المحجة البيضاء

النُّبُوَّةُ

في منافع الإيمان والعبادة
قراءة بحسب الوصايا النبوية المستمينة



النُّبُوَّةُ

في دُرَرِ فَجِّ الْبَيْتِ الْمَلَكَةِ
قِرَاءَةُ عَمَلُوتٍ لِلسَّيِّدَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

تأليف
دكتور أحمد محمد اسماعيل

شبكة كتب الشيعة



دارُ المَجْدِ الْبَيْضَاءِ

shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٢٨٧١٧٩ / ٠٣ - ٥٤١٢١١ / ٠١

تلفاكس: ٥٥٢٨٤٧ / ٠١ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



مقدمة لازمة

إنه ليس كتاباً تقليدياً يحكي سيرة رسول الله ﷺ بل هو قراءة في الرؤية العلوية للسيرة المحمدية العطرة.

إنها مفاتيح نراها ضرورية وبالغة الأهمية وسط ذلك الجدل القديم الجديد حول النبوة.

نكتب هذه السطور وسط الضجة المثارة حول الإساءات الموجهة لنبينا الأكرم من الصحافة الدانماركية منبهين إلى أن الإساءات الموجهة لرسول الله من قبل بعض الممتنمين للإسلام لا تقل سوءاً ولا بشاعة عن الإساءات الموجهة إلى رسولنا الأكرم من أناس ليسوا على ديننا ولا يعرفون عن هذا الدين ولا رسوله الكريم شيئاً ولا حتى أقل القليل.

لم يكن الدافع لكتابة هذا الكتاب هو (الفتنة الدانماركية) الأخيرة وما أحدثته من ردة فعل هزت الشارع المسلم فالقضية مثارة من قبل هذا وقد هالنا حجم الإهانات التي يوجهها البعض من أهل ديننا لمقام النبوة من دون أن ينتبه أحد لجسامة ما يلحقه من أذى بمقام النبوة الذي هو ركن ركين من أركان الإيمان الحقيقي، فالرسول من وجهة نظر البعض قد أخطأ في موضع كذا وكذا وهو كان آمياً لا يقرأ ولا يكتب والهدف من هذه الفرية هو اختلاق طبقة (أمناء الوحي) الذين ائتمنهم رسول الله ﷺ على ما لا يعرف، كما أن عصمة النبي كانت قاصرة بزعمهم على مجال التبليغ أما غير ذلك فكان كغيره من البشر وحسبك

أن ينسب إليه (أنتم أعلم بشؤون ديناكم) كدليل ساطع وبرهان قاطع على أنه لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين!! .

من ناحية أخرى فنحن نشك أن أغلب المسلمين قد قرؤوا السيرة النبوية كاملة من كتب التراث وهو ما ينطبق أيضاً على التاريخ الإسلامي وكل ما قرؤوه في الغالب الأعم هو مقتطفات من هنا وهناك .

ولا شك أن قراءة التاريخ من المصادر التراثية هو عمل شاق ذومجهود يحتاج إلى فرز وغربلة لتلك الروايات المتناقضة وهو ما يستلزم من الأساس وجود رؤية مركزية يجري من خلالها التمييز بين الغث والسمين والأموي المدسوس والرسالي الأصيل .

تلك هي القضية!!!

لقد قامت الرؤية الأموية على بث الشكوك ونشرها حول شخص الرسول الأكرم لأنهم لم يؤمنوا بالرسول طرفة عين .

إنهم يرونه خصماً سياسياً لدوداً نجح في الإمساك بالسلطة وتوحيد العرب تحت رايته حتى لقد قال أبو سفيان للعباس قولته الشهيرة (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً) .

ولذا نرى من الضروري أن نقدم تلك الرؤية المركزية المتفقة مع السياق القرآني للنبوات بصورة عامة والتي أغفلها أو تغافل عنها كتاب السيرة المعاصرون فما بالك بخطباء المنابر الندابين الذين استقوا علمهم ومعرفتهم عبر السماع والشياع على طريقة من كل بستان زهرة ومن كل كأس رشفة .

د أحمد راسم النفيس

فبراير ٢٠٠٦

محرم الحرام ١٤٢٧هـ

النبوة في نهج البلاغة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نفتتح بكلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب:

أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِئْثْلَاماً لِعِزَّتِهِ وَاسْتِغْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ
وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَّةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَفْضِلُ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَنْتِلُ مَنْ عَادَاهُ، وَلَا
يَقْتَرِفُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وَرَدَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةً مُنْتَحَنَةً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَدَةً
مُصَاصُهَا نَتَمَسُّكَ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنُدْخِرُهَا لِأَهَائِلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا
عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَذْخَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالذِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ
الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضُّبَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ
الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَاخْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ وَتَخْوِيفًا
بِالْمَثَلَاتِ^(١).

ونقول ثانياً إن من أراد الدين الحق فليأت البيوت من أبوابها فإن

(١) نهج البلاغة، الخطبة الثانية.

من أتى البيوت من غير أبوابها سمي سارقاً وباب مدينة علم رسول الله
والعلم برسول الله هو علي بن أبي طالب وأهل البيت الذين أذهب الله
عنهم الرجز وطهرهم تطهيراً ولا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ مِنْ
غَيْرِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَهُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ
الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ الثَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ
وَالْوَرَاةُ^(١).

من أراد أن يعرف رسول الله ﷺ فليسال علياً عليه السلام

المطلع على السيرة النبوية كما يقدمها القوم في مراحل التعليم
المختلفة أو من خلال كتب الإسلاميات يرى بوضوح أن التصور المتعلق
بمقام النبوة قد أصبح محملاً بكم هائل من المتناقضات التي لا يقبلها
عقل سوي ولا يقرأها ضمير مستقيم.

الآن تقوم الدنيا ولا تقعد بسبب تهجم فريق من الغربيين على مقام
الرسول الأعظم محمد ﷺ فيجتمع القوم على الأرض أو على الهواء
لمناقشة أسباب تلك الهجمة الصليبية على رسول الله فيدلي كل منهم
بدلوه ثم ينفض الجمع من دون أن يعطينا أحد جواباً شافياً عمن وفر
المادة اللازمة لشن هذه الحملة وعن المسؤولية التي ينبغي أن يتحملها
هؤلاء في صناعة تلك الصورة المشوهة لسيد الكونين والثقلين من عرب
ومن عجم؟؟؟.

هل هو الغرب وحده أم أن على هؤلاء السادة التي غصت كتبهم
بكل ما هو سيئ ورديء في حق رسول الله ﷺ أن يتحملوا نصيبهم من
المسؤولية عن هذا الهذيان والتخبط؟.

(١) نهج البلاغة، الخطبة السابقة.

أي عقل أو منطق يدفعنا لمطالبة الصحافة في الدانمارك بتحري الدقة والأمانة فيما يتعلق بمقام النبوة بينما نرفض نحن تحري هذه الدقة والأمانة لثلاثتهم بالتشيع لأهل بيت النبوة ولأننا لا نقدر ولا نجرؤ على نقد ما أورده البخاري ومسلم في كتابيهما ولأننا نصرُّ على اعتبار عروة بن الزبير قديساً ومعصوماً من الخطأ رغم أنه الحق بنا وبرسولنا الأكرم أبلغ أنواع الإساءات والأضرار؟؟.

لو قارنا بين التصور المسيحي لعيسى ابن مريم ﷺ الذي يرى فيه ابناً لله وإلهاً متجسداً يمشي على الأرض والتصور الذي يقدمه بعض شيوخنا عن رسول الله والذي يرى فيه شخصاً عادياً ليس له أي قيمة إضافية في غير مجال التبليغ والنقل عن جبريل ﷺ ولذا فقد ارتكب كُماً لا بأس به من الأخطاء السياسية بل والشرعية وكأنه سلام الله عليه كانت مهمته أن يعلم الأمة فن الخطأ لا فن الصواب ١١٩٩.

فهو صلوات الله وسلامه عليه أخطأ يوم بدر في تحديد الموقع ثم أخطأ بعد ذلك عندما قبل بأخذ الفداء من الأسرى كما أنه أخطأ يوم أن أشار على أهل المدينة بعدم تأبير النخل فجاءت الثمار شيباً (فاسدة) وغيرها من الأخطاء التي أثبتتها البخاري ومسلم (١٩) نقلاً عن عروة وعكرمة وأبي هريرة وابن شهاب الزهري (الذين لم يخطئ أي منهم خطأ واحداً في نقل السنة النبوية) ١٩ رغم وجود مرويات أخرى في كتب القوم لا تعتمد نفس النهج بل وتقارب ما روي عن أئمة أهل البيت ﷺ لنفس الوقائع والأحداث.

ولا أدري كيف استقام للقوم القول بعصمة رسول الله وأنه سيد الخلق أجمعين وهم يقدمونه في صورة نبي يخطئ فيصحح له الصحابة ويعاتبه ربه ليعلمنا (فن الخطأ) ويرينا على (حق النقد) وهم يرون أن نقد

(النبوة) لا يخرج من الملة بل هو الدرس الأول في (الديموقراطية) كما يزعم البعض بينما هم يرفضون استخدام هذا المنطق النقدي مع الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ويرون في ذلك مؤامرة لهدم الإسلام وبث الشكوك حول من قاموا بنقل الكتاب والسنة إلينا؟؟.

القوم قد تربوا على عصمة وتنزيه الصحابة وعدم السماح بالمس بهم وإغلاق بعض المناطق في وجه الدراسة والتحقيق ولو كان الأمر كله لا يزيد عن سرد بعض الوقائع التاريخية الثابتة من مصادرها بينما بقي مجال الجرح والتعديل لمقام النبوة مفتوحاً عندهم وهم يرون أن عصمة الرسول ﷺ كانت قاصرة على مجال التبليغ لا أكثر ولا أقل، أما الوهابيون فقد جاؤوا بما هو أدهى وأطم عندما اعتبروا أن (الغلو) في النبي ﷺ حياً وميتاً هو أصل البلاء ومكمن العلة والداء وأن هذا الغلو هو سبب الكفر والشرك.

يقول لنا القوم إن رسول الله ﷺ عندما جاء إليه جبريل عليه السلام بالوحي وهو في سن الأربعين بقي فترة تائهاً متحيراً لا يدري ماذا يجري له أو من حوله ولولا (القس المسيحي الطيب ورقة بن نوفل) ل بقي في تخبطه وحيرته في حين أن عيسى ابن مريم عليه السلام تكلم في المهد صبيّاً وقال ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؕ آمَنَتْنِي الْكَتَبُ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ [سورة مريم: ٣٠]، من دون حاجة لمساعدة من ورقة مكتوبة أو ورقة بن نوفل أو أي ورقة على الإطلاق؟؟.

كما يقول لنا القوم أيضاً إن الوحي قد انقطع يوم أن مات ورقة (ثم لم يلبث أن مات ورقة وقر الوحي!!) أي أن ورقة على ما يبدو كان عنصراً أساسياً من عناصر نزول الوحي واستمراره وأن الوحي قد انقطع ربما حتى عثر رسول الله على ورقة أخرى!؟ .

ولا أدري ماذا يقصد القوم وأي دور وضعوه لورقة في نزول وتلقي الوحي؟!.

كلام مخجل ومشين!!!.

السبب الأول: وراء هذا التخبط هو افتقاد القوم لرؤية مركزية منهجية محددة يمكن للمسلم أن يستلهمها ثم يقيس عليها أشتات الروايات المجتمعات في كتب يرى القوم أن الحكم بصحتها هو من البديهيات والمسلمات ويعدون نقدها من المحرمات.

رؤية مركزية تقدمها قيادة الأمة الشرعية أي الإمامة باعتبارها مسؤولة قبل غيرها عن رسم الخطوط العامة والملاحم الرئيسية الهامة للإلهيات والنبوات ناهيك عن قواعد الأخلاق ومعالم الحلال والحرام.

فلماذا تفتقد أمتنا تلك الفلسفة المركزية المحورية وهل قصرت أو أهملت قيادة الأمة الشرعية في تقديم هذه الصورة أم أنها قامت بتقديمها بالفعل ولكن القوم أعرضوا عنها واستغاثوا كدأبهم بعمرى وعروة وعكرمة رغم علمهم أن المستجير بعمرى كالمستجير من الرمضاء بالنار!!.

أما السبب الثاني فيرجع إلى الخصومة التاريخية القائمة بين هؤلاء القوم وبين العقل والمنطق وعجزهم بالتالي عن اعتماد فلسفة إسلامية عقلانية متماسكة فضلاً عن اتباعهم الأهواء وإخلادهم إلى الأغلال والأصفاد التي ألزمهم بها أهل الأرض والتي قادتهم إلى الإقرار بكل هذه الأشتات المتناقضات إما مع القرآن أو فيما بينها إذعاناً منهم لما يظنه البعض حكماً للشرع وخوفاً من الخروج عن الطريق الأعوج المرسوم لهم من قبل المستولين على السلطة والثروة فخابوا وضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

الخبر الإلهي الصحيح لا يمكن له أن يناقض العقل بأي شكل كان

والتناقض العقلي بين هذه الروايات وبين القرآن الكريم شاهد على وضعها وافتعالها على الله ورسوله .

السبب الثالث: لهذه الحالة هو إصابة البحث العلمي ومن ثم الإنتاج الفكري في أمتنا بسكتة دماغية منذ عديد القرون ومنذ أصبح المصدر الرئيس للثقافة الدينية إما كتاب المدرسة الذي أعدته لجنة من هؤلاء وهؤلاء أو من أفواه شيوخنا المنتشرين في المساجد ووسائل الإعلام يتناقلون المعلومات فيما بينهم شفاهة من دون حاجة إلى رجوع إلى مصدر (ولا حتى ورقة ١٩) بنوفل أو من دون نوفل ١١٩٩ .

ومن باب أولى من دون حاجة إلى بحث ولا تمحيص .

رواية نزول الوحي في كتاب البخاري

إنها أي رواية نزول الوحي واحدة من تلك الروايات التي شكلت وعي المسلمين بالإسلام وبصورة رسول الله ﷺ وهي الرواية التي أكدت على (الدور الهام ١٩) لورقة بن نوفل وذكرت أن الرسول الأكرم قد فاجأه الوحي وذكرت تلك الطريقة الفظة التي عامله به جبريل عليه السلام وأثبتت للمسلمين ولل بشرية جمعاء أمية الرسول ﷺ عندما قال (ما أنا بقارئ) إلى آخر هذه التصورات والخزعات.

فمن الذي رواها؟؟؟!!

بالرجوع إلى البخاري سنجد أنه يسند هذه الروايات كالاتي :
(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ^(١)) وَ(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ^(٢)).

(١) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب شدة الوحي على رسول الله ﷺ، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

(٢) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الرؤيا الصالحة أول ما بدأ به ﷺ.

اما رواية نزول الوحي ودور ورقة المزعوم فإسنادها كالاتي:

(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، نَحْوَهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)).

ولن نخوض الآن في مسألة صحة الأسانيد أو صدق الرواة من عدم صدقهم، لكننا سنطرح سؤالاً جوهرياً هو:

لماذا بقي الأخذ والرد حول تلك القضية الخطيرة في إطار تلك الحلقة الضيقة من الرواة بينما جرى تجاهل بقية الروايات وسائر الرواة فضلاً عن شهادة شاهد الوحي الأول علي بن أبي طالب أول من أسلم وربيب رسول الله ﷺ والذي عاش في كنفه في هذا التوقيت بالذات؟؟؟!!

ولماذا جرى التمسك بروايات القديس عروة بن الزبير بن العوام ابن أسماء بنت أبي بكر الذي روى عن عائشة لأنه كان ابن شقيقتها بينما تم تجاهل روايات سائر الصحابة؟؟.

إن رواية الطريقة التي استقبل بها رسول الله ﷺ الوحي لا يمكن قبولها إلا عن طريقين:

الأول: من خلال من شاهد وعاین تلك المرحلة ممن سبقت علاقته برسول الله ﷺ نزول الوحي وهي منزلة لم ينلها إلا علي بن أبي

(١) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب رسول الله أجود الناس.

طالب ﷺ ربيب رسول الله أو خديجة بنت خويلد زوجه أم الزهراء التي انتقلت إلى رحاب الله قبل مرحلة التدوين كما هو معلوم للجميع .

والطريق الثاني : هو رواية رسول الله نفسه عن الحدث وهو ما لا ينطبق بحال على مرويات البخاري التي لا تنقل على لسان رسول الله بل عن عروة عن عائشة!!! .

إننا إذاً أمام تصور للنبوة يطرحه نجوم البلاط الأموي فقد كان القديس عروة والقديس ابن شهاب الزهري من العاملين في البلاط الأموي ومن لا يعجبه كلامنا فليرجع إلى كتب التاريخ (الطبري والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي) .

يعلم الجميع أن عائشة أم المؤمنين يوم أن نزل الوحي على رسول الله لم تكن زوجة للرسول ولم تشهد تلك الواقعة في حين كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يومها في بيت رسول الله ﷺ شاهداً على هذا الحدث الجليل فلماذا تجاهل القوم شهادته وأسقطوا روايته؟؟ .

نماذج من التصورات المتداولة عن النبي محمد ﷺ

من بين هذه التصورات ما ذكره الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى (عثمان) عن بشرية الرسول ﷺ وأنه كان في بعض أحكامه يصدر عن تلك البشرية التي تصيب وتخطئ وضرب مثلاً على ذلك بقصة أسرى بدر ونزول القرآن ينحي باللائمة عليه!!! لقبوله فداء الأسرى في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنْبَغِيَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أُسْرَى حَتَّى يُفْتَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] (١).

كما أن الشيخ محمد أبو زهرة يستدل في كتابه عن الإمام الصادق عليه السلام على نفي عصمة الرسول الأكرم بنفس تلك الواقعة المزعومة عن أسرى بدر (٢).

إننا أمام نماذج من العلماء والمفكرين الذين لا يسعنا غض الطرف عن آرائهم فهم كانوا طلاباً لمدرسة تجديدية في تناول التراث الإسلامي غير أنهم من الناحية الواقعية ظلوا أسرى للكثير مما هو سائد ومتداول في ساحة هذا التراث ولم يمتد مفعول هذا التحرر العقلي والفكري إلى كل ما ينبغي مراجعته فهم كانوا في النهاية أبناء مدرسة عكرمة وعروة وابن شهاب الزهري.

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى (عثمان)، ص ٢٣. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠.

(٢) محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، ص ٥٨. دار الفكر العربي ١٩٩٣.

عندما اطلعت على ذلك الكتاب القيم الذي ألفه الدكتور (محمد حسين هيكل) ونعني به (حياة محمد) لاحظت أن المراجع التي استند إليها ذلك المفكر المجدد ليس فيها مرجع واحد ينتمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام رغم أنه خرج عن المؤلف عندما ذكر رواية نزول الوحي فأوردها كالآتي (وفيما هو نائم بالغار يوماً جاءه ملك وفي يده صحيفة فقال اقرأ فأجاب مأخوذاً: ما أقرأ؟) على عكس الشائع وهو (قال اقرأ قال ما أنا بقارئ!!) أي أن التساؤل عما هو مطلوب قراءته قد تحول بقدرة عروة وعكرمة إلى نفي مطلق لمعرفة القراءة وإثباتاً لا يقبل التحويل أو التعديل لأمية الرسول إلى يوم الدين!!!.

ويلاحظ أن الدكتور هيكل عليه رحمة الله قد أسند هذه الرواية إلى كتب السيرة الأولى وتحديداً لابن إسحاق بينما اكتفى القوم بما ورد في البخاري نقلاً عن ابن شهاب الزهري عن عروة.

الرؤية والرائي والفخر الرازي

لا شك أن التصورات المطروحة الآن عن النبوة والنبوات بل وعن الدين عامة تعبر عن حالة الفوضى والاضطراب التي تسود الساحة الدينية نظراً لاعتمادها على أسلوب (من كل بستان زهرة) أو أسلوب الاقتطاف وجمع الأشتات التي رواها (الثقات) من دون الاعتماد أو الارتكاز على وجهة نظر مركزية وثابتة لا تتوفر إلا لشعبة أهل البيت عليهم السلام الذين يستقون تصوراتهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إن هذا الأسلوب في الجمع يعكس مزاج الرائي وحالته النفسية وموقفه من النبوة والعبارة الشائعة (كن جميلاً ترى الوجود جميلاً) لم تخرج عن الصواب وعكسها لا بد أن يكون صحيحاً (كن قبيحاً ترى الوجود قبيحاً) والقبح هنا هو القبح الأخلاقي وظلمة اتباع الهوى والشهوات ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ ١١.

الراوي كالرائي سواء بسواء حتى ولو لم ير أو يسمع بنفسه فهو يعكس في روايته حاله ومزاجه النفسي حتى ولو لم يتعمد الكذب أو تشويه الحقيقة ولذا فإن عجبني لا ينقضي من أمة تستقي تصوراتها عن النبوة ومن ثم عن الدين من عكرمة وعروة وتهمل علي بن أبي طالب وهو القائل (وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَالضُّوءِ مِنَ الضُّوءِ، وَالذَّرَاعُ مِنَ الْعَصْدِ) ولا شك أن وسيلة إيصال الضوء لا تقل أهمية عن مصدر الضوء ذاته وأن زجاج المصباح الوسخ أو المعتم يمكن له أن يطمس الإضاءة

الصادرة من أقوى المصاييح ولا أدري كيف أعرض القوم عن كان من رسول الله بمنزلة الضوء من الضوء ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ﴾ ونور من نور واستعانوا بمن لم يزد ماله وولده وعمله في خدمة بني أمية إلا خساراً.

قلنا إننا نكتب عن (النوبة) كما قدمها لنا الإمام علي بن أبي طالب في خطبه المجموعة في نهج البلاغة ولذا فنحن نستعرض نماذج من التصورات التي طرحها القوم عن النوبة قريباً أو بعداً من التصور الأصل الذي لا يقدر على طرحه وتقديمه إلا المتجددون لله رب العالمين من آل بيت النبوة وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب.

وسنرى في كلام الرازي نموذجاً لمن يحوم حول الحقيقة ولكنه لا يقدر على الوصول إليها أو الإمساك بها فالتخبط هو السمة السائدة لمن ألزموا أنفسهم بما لا يجوز الالتزام به وجعلوا من لزوم ما لا يلزم قاعدة حاكمة على فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله.

ورغم أن الفخر الرازي صاحب (مفاتيح الغيب) يبدو مختلفاً في تفسيره عن المنهج السائد خاصة عندما تعرض لشرح قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤]، حيث قال: اعلم أنه تعالى لما بين أن محبته تعالى لا تتم إلا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ﴾ اعلم أن المخلوقات على قسمين المكلف وغير المكلف واتفقوا على أن المكلف أفضل من غير المكلف، واتفقوا على أن أصناف المكلف أربعة: الملائكة، والإنس والجن، والشیاطین أما الشیاطین فهم کفرة أما إبلیس فکفره ظاهر لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٣٤]، وأما سائر الشیاطین فهم أيضاً کفرة بدلیل قوله تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينُ لَیُوحُونَ لَكُمُ الْأَنْبَاءَ لِیَجْذِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

والاصطفاء يدل على مزيد الكرامة وعلو الدرجة، فلما بين تعالى أنه اصطفى آدم وأولاده من الأنبياء على كل العالمين وجب أن يكونوا أفضل من الملائكة لكونهم من العالمين.

﴿أَصْطَفَى﴾ في اللغة اختار، ومعنى: اصطفاهم، أي جعلهم صفوة خلقه تمثيلاً بما يشاهد من الشيء الذي يصفى وينقى من الكدر ونظير هذه الآية قوله لموسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي﴾ (الأعراف: ١٤٤) وقال في إبراهيم ﴿وَأَذْكُرُ لِمَسْمِيْعٍ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلًّا مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ (ص: ٤٧).

ومعنى أن الله اصطفاهم أي صفاهم من الصفات الذميمة وزينهم بالخصال الحميدة وهو موافق لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وذكر الحليمي في كتاب «المنهاج» أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا بد وأن يكونوا مخالفين لغيرهم في القوى الجسمانية، والقوى الروحانية، أما القوى الجسمانية، فهي إما مدركة وإما محركة. أما المدركة فهي الحواس الظاهرة والحواس الباطنة، أما الحواس الظاهرة فهي خمس أحدها: قوة البصر، ولقد كان الرسول ﷺ مخصوصاً بكمال هذه الصفة ويدل عليه وجهان الأول: قوله ﷺ: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها مغاربها» والثاني: قوله ﷺ: «أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري» ونظير هذه القوة ما حصل لإبراهيم ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]. ذكروا في تفسيره أنه تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت من الأعلى والأسفل قال الحليمي رحمه الله: وهذا غير مستبعد لأن البصراء يتفاوتون فروي أن زرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلا يبعد أن يكون بصر النبي ﷺ أقوى من بصرها وثانيها: قوة السمع، وكان ﷺ أقوى الناس في هذه القوة، ويدل عليه

قوله ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تثنى ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى» فسمع أطيح السماء والثاني: أنه سمع دويماً وذكر أنه هوي صخرة قذفت في جهنم فلم تبلغ قعرها إلى الآن، ونظير هذه القوة لسليمان عليه السلام في قصة النمل ﴿...قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأْتِيهَا النَّملُ أَتَخْلَوْنَ مَسْكِنَكُمُ﴾ [النمل: ١٨]، فالحق تعالى أسمع سليمان كلام النمل وأوقفه على معناه وهذا داخل أيضاً في باب تقوية الفهم، وكان ذلك حاصلًا لمحمد ﷺ حين تكلم مع الذئب ومع البعير. ثالثها: تقوية قوة الشم كما في حق يعقوب عليه السلام، فإن يوسف عليه السلام لما أمر بحمل قميصه إليه وإلقائه على وجهه فلما فصلت البعير قال يعقوب ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤]، فأحس بها من مسيرة أيام. ورابعها: تقوية قوة الذوق، كما في حق رسولنا ﷺ حين قال: «إن هذا الذراع يخبرني أنه مسموم» وخامسها: تقوية القوة اللامسة كما في حق الخليل حيث جعل الله تعالى النار برداً وسلاماً عليه فكيف يستبعد هذا ويشاهد مثله في السمندر والنعامة وأما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ، قال تعالى: ﴿سَتَرْنَاكَ فَلَا تَنسَى﴾ [الأعلى: ٦] ومنها قوة الذكاء: قال علي عليه السلام: «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم واستنبطت من كل باب ألف باب، فإذا كان حال الولي هكذا، فكيف حال النبي ﷺ؟!».

وأما القوى المحركة: فمثل عروج النبي ﷺ إلى المعراج، وعروج عيسى حيًّا إلى السماء، ورفع إدريس وإلياس على ما وردت به الأخبار، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]. وأما القوى الروحانية العقلية: فلا بد وأن تكون في غاية الكمال، ونهاية الصفاء.

واعلم أن تمام الكلام في هذا الباب أن النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس، ومن لوازم تلك النفس الكمال في الذكاء

والفطنة والحرية، والاستعلاء، والترفع عن الجسمانيات والشهوات، فإذا كانت الروح في غاية الصفاء والشرف، وكان البدن في غاية النقاء والطهارة كانت هذه القوى المحركة المدركة في غاية الكمال لأنها جارية مجرى أنوار فائضة من جوهر الروح واصله إلى البدن، ومتى كان الفاعل والقابل في غاية الكمال كانت الآثار في غاية القوة والشرف والصفاء.

إذا عرفت هذا فقولہ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ معناه: إن الله تعالى اصطفى آدم ثم وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من أولاد آدم ﷺ، هم شيث وأولاده إلى إدريس، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم حصل من إبراهيم شعبتان: إسماعيل وإسحاق، فجعل إسماعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد ﷺ، وجعل إسحاق مبدأ لشعبتين: يعقوب وعيصو، فوضع النبوة في نسل يعقوب، ووضع الملك في نسل عيصو، واستمر ذلك إلى زمان محمد ﷺ فلما ظهر محمد ﷺ نقل نور النبوة ونور الملك إلى محمد ﷺ وبقي أعني الدين والملك لأتباعه إلى قيام القيامة (١١٩٢) (١)، والتعجب من عندنا.

ثم رد الرازي على من قال إن المراد بآل إبراهيم هم المؤمنون كافة فقال إن المراد بهم الأولاد وهم المراد بقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَبَيْنَ ذَٰلِكَ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] (٢).

تعليق:

والواقع أن لو لم يرد في القرآن والحديث النبوي من حديث عن

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين، ١٢٣ - ٨/١٢٥. الطبعة الثالثة، بيروت، دار المعرفة.

(٢) الفخر الرازي، السابق ٨/١٢٦.

اصطفاء الذرية والآل وأن ما كان في الأمم السابقة لا بد أن يكون مثله في أمة محمد ﷺ وأن الاصطفاء قد امتد في آل محمد ﴿ذُرِّيَّةً بِقَاصٍ مِنْ﴾ بَقَرَةُ ﴿سُورَةُ﴾ سوى تلك الآيات البينات لكفى .

المصطفون الأخيار من ذرية الأنبياء من تلك الشجرة المباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية لم يكونوا جميعاً رسلاً ولا أنبياء بل كان منهم الأئمة ﴿وَحَمَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] .

والأغرب من هذا أن الفخر الرازي رد على من قالوا إن المراد بآل إبراهيم هم عموم المؤمنين أو الأتباع قائلاً بأن (المراد بهم الذرية والأولاد) ثم عاد وناقض نفسه عندما قال: (واستمر ذلك إلى زمان محمد ﷺ فلما ظهر محمد ﷺ نقل نور النبوة ونور الملك إليه ﷺ وبقي أعني الدين والملك لأتباعه إلى قيام القيامة) .

ولا أدري كيف ساغ لرجل أن يفتح بالحقيقة وهي أن النور والنبوة والاصطفاء محصور في الذرية والآل ثم ختم كلامه بزعم لا دليل عليه وهو أن الاصطفاء قد انتقل في أمة محمد إلى الأتباع فكان أن انتهت بذلك مهمة الذرية والآل؟؟ .

ألم يلحظ الفخر الرازي أن محمد بن عبد الله وهو من انتقل إليه (نور النبوة ونور الملك) من آبائه الأنبياء باعتباره من ذريتهم وأن الذرية الوحيدة من ذرية الأنبياء التي لم يُعترف بانتقال هذا النور إليها هم آل محمد ﷺ؟؟!! .

ألا يعد هذا نقصاً وعبثاً (ابتلي) به رسولنا الأكرم محمد ﷺ؟؟ وبينما يقر هو أن النور جاء إلى هؤلاء الأنبياء وانتشر منهم عبر ذرياتهم فقد حُرّم رسول الله من هذا الامتداد حيث ما زال القوم يصرون على

وجوب اتباع سنته وتجاهل عترته أهل بيته بينما يحكي لنا كتاب الله ﷻ عن قاعدة الاصطفاء وانتقال النور من الأنبياء عبر الذرية والآل وليس عبر الأصحاب حيث يقول سبحانه: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ ذُرِّيَّتُهُم وَوَعْدُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ وَاجْتَبَيْتُم مِّنْ دُونِهِمْ إِنَّ صِرْطَ مُسْتَقِيمٍ ۝٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ لَعْنَتُهُمْ مَّا كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٨٨ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالذِّكْرَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۝٨٩ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدُهُ قُلْ لَا آتَمَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْعَالَمِينَ ۝٩٠﴾ [الأنعام: ٨٧ - ٩٠].

ثم يعود الرازي ليقع في نفس التناقض في تفسيره لآيات سورة الأنعام آتفة الذكر فيقول: (إنه تعالى خص إبراهيم بالرفعة والاتصال إلى الدرجات العالية الرفيعة. وهو قوله (نرفع درجات من نشاء) وأنه جعله عزيزاً في الدنيا، وذلك لأنه تعالى جعل أشرف الناس وهم الأنبياء والرسل من نسله ومن ذريته وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة، لأن من أعظم أنواع السرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبياء والملوك، والمقصود من هذه الآيات تعديد أنواع نعم الله على إبراهيم ﷺ جزاء على قيامه بالذب عن دين التوحيد... ومن النعم العظيمة في الدنيا أن آتاه الله أولاداً كانوا أنبياء وملوكاً كما أن هذه الآيات تدل على أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ لأن الله تعالى جعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أنه لا ينتسب إلى إبراهيم إلا بالأم، فكذلك الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ وإن انتسبا إلى رسول الله بالأم وجب كونهما من ذريته، ويقال: إن أبا جعفر الباقر استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف^(١)).

(١) الفخر الرازي، السابق ١٣/٦٥.

وإذا كان الأمر كما ذكر الرازي وهو كذلك بالفعل فلماذا قرر القوم حرمان سيد الأنبياء من تلك النعم التي أنعم الله بها على إبراهيم عليه السلام وهي امتداد الملك والدين في ذريته الطاهرة رغم أن الرازي قد استفاد من هذه الآيات شمول الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة بهذه القاعدة الإلهية الحاكمة للنبوات والنبين عليهم جميعاً وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم!!؟.

إنها قاعدة محكمة لا يمكن إلغاؤها بقرار بشري مهما كانت قيمة أو مكانة صاحبه!!!.....

والأهم من هذا أن هذا التخطيط يكشف لنا حالة التخطيط الأعم الذي وقعت فيه هذه الأمة التي تعتقد من الناحية النظرية البحتة أن نبينا محمداً عليه السلام هو سيد الأنبياء وخاتم المرسلين وأنه أفضل من كل من سبقه ممن امتد نور النبوة في عقبهم وعقب عقبهم ثم تفشل في تقديم الدليل على صحة ما تدعيه وتردده بصورة ببغائية من دون فهم ولا علم ولا دراية ثم تعود وتقدم الدليل على عكس ما تدعيه عندما تكرر كما فعل الفخر الرازي أن النور والملك كان ينتقل من نبي إلى نبي عبر ذرية نبي أي أن الأمر يسير في خط تصاعدي متصل وهو استلام يتلوه تسليم إلى جيل آخر من الذرية والآل باستثناء هذا النبي الذي قررت أمته في اجتماع السقيفة الشهير أن تقطع الطريق على أهل بيته وذريته وأن تسلم الأمانة برأيها إلى من رآهم القوم أولى وأحق من تيم وعدي وبني أمية وهيهات هيهات!!.

كارثة البخاري

إذا كان ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره يعد نوعاً (معقولاً) من التخطئ! هذا إذا جاز لنا تقسيم التخطئ إلى معقول وغير معقول فإن ما رواه البخاري نقلاً عن عروة هو الأغرب من نوعه!!.

الرواية بنصها:

باب أوّل ما بُدئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ:
 ٧٠٦٨ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ،. وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، قَالَ الزُّهْرِيُّ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، فَكَانَ يَأْتِيهِ جِرَاءٌ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدْوِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فُجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ جِرَاءٌ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فَقَالَ اقْرَأْ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي. فَقَالَ اقْرَأْ. فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ. فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ». حَتَّى بَلَغَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى

خَدِيجَةَ فَقَالَ «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَرَمَلُوهُ حَتَّى دَعَبَ عَنْهُ الرُّوعُ فَقَالَ «يَا خَدِيجَةُ مَا لِي؟». وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ وَقَالَ «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَفْرِي الصَّنِيفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ أَمْرًا تَنْصَرُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ - فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَيُّ ابْنِ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنُ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا أَكُونُ حَيًّا، حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ». فَقَالَ وَرَقَةُ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يَذُرْكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفِّي، وَفَتَرَ الْوَحْيَ فَتَرَةً حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ^(١).

ولك أن تتأمل فيما ادعاه (عروة) من أن الوحي قد فاجأ الرسول وأنه عاد إلى زوجته خديجة عليها السلام متحيراً قائلاً (ما لي؟) وأنها أخذته إلى (الكاهن النصراني ورقة بن نوفل ليهدي من روعه)!!

(١) البخاري. ج ٤ ص: ٢٠٧ - ٢٠٨. باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله.. (ط) عيسى البابي الحلبي). بدون تاريخ.

عليك أيضاً أن تتأمل في هذا الوصف والإسهاب في الدور الثقافي لورقة وكتابته للإنجيل بالعربية (١٩) وحاول أن تفسر أو تفهم سر التزامن بين موت ورقة وتوقف الوحي وحالة اليأس والقنوط التي اعترت رسول الله وكيف أنه همٌّ بإلقاء نفسه من رؤوس شواطئ الجبال إلى آخر تلك الأساطير والخرافات.

الرواية الأكذوبة نفسها جاء بها ابن جرير الطبري نقلاً عن نفس (الفرقة) هذه المرة مع بعض البهارات التي لم نكن نتمنى حتى أن نوردها في كتابنا ولكن الضرورات تبيح بعض المحظورات واسمع معي وتعجب وتألم واذرف الدمع الثخين على عقول وضمانر بعض المسلمين!!

روى ابن جرير الطبري في تاريخه: حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا عبيد كيف كان بدء ما ابتدأ به رسول الله من النبوة حين جاء جبريل ﷺ فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهراً وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر، فكان رسول الله يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فإذا قضى رسول الله جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعمائة أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله ﷻ فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعث فيها وذلك في شهر رمضان خرج رسول الله إلى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسائه ورحم العباد بها جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله: فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ فقلت ما اقرأ فغطني حتى ظننت أنه

الموت (١٢) ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ماذا اقرأ وما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود إلي بمثل ما صنع بي، قال ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ﴾ قال فقرأته قال ثم انتهى ثم انصرف عني وهببت من نومي وكأنما كتب في قلبي كتاباً قال ولم يكن من خلق الله أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون كنت لا أطيق أن أنظر إليهما قال قلت إن الأبعد يعني نفسه لشاعر أو مجنون لا تحدث بها عني قريش أبداً لأعمدن إلى حائق من الجبل فلا طرحن نفسي منه فلاقتلنها فلاستريحن قال فخرجت أريد ذلك حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي إلى السماء فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فوقفت أنظر إليه وشغلني ذلك عما أردت فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفاً ما أتقدم أمامي ولا أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفاً فقالت: يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي؟ قال: قلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون فقالت: أعيذك بالله من ذلك يا أبا القاسم ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك وعظم أمانتك وحسن خلقك وصلة رحمك وما ذاك يا بن عم لعلك رأيت شيئاً؟ قال فقلت لها نعم ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت: أبشر يا بن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر

وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله أنه رأى وسمع فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر يعني بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولني له فليثبت فرجعت خديجة إلى رسول الله فأخبرته بقول ورقة فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم فلما قضى رسول الله جواره وانصرف صنع كما كان يصنع وبدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت فقال يا بن أخي أخبرني بما رأيت أو سمعت فأخبره رسول الله فقال له ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ولتكذبه وتؤذنه وتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمه ثم أدنى رأسه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله إلى منزله وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهم^(١).

وسنرجع المناقشة التفصيلية لهذه المسألة إلى فقرة لاحقة.

(١) ابن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٦٠ - ٢٦٢ / ٢، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧.

بشرية النبي الأكرم محمد ﷺ

رغم أن الانقسام المذهبي بين المسلمين يبدو قاصراً على مسألة الإمامة أو (ما بعد النبوة) إلا أن التأمل في الطريقة التي يتناول بها البعض تلك المفاهيم المتعلقة بالنبوة يكشف أن هذا الانقسام والتفاوت قد طال أيضاً هذه المفاهيم وهو ما يبدو أمراً بالغ الأهمية والخطورة!!

أسئلة كثيرة تطرحها تلك الأحاديث والروايات التي يلوكها البعض حول مقام النبوة وبشرية النبي الأكرم ﷺ وهل كان بشراً عادياً يصيب ويخطئ ومن ثم هل هناك صفات قياسية موحدة وثابتة لكل البشر؟!.

أم أن البشرية من حيث هي بشرية درجات وصفات تزيد وتنقص يجمعها جامع مشترك ومع ذلك فليس كل البشر سواء كما أنه من الثابت أن ليس كل الأنبياء سواء!!.

البشر في الغالب الأعم متشابهون ولكنهم أبداً ليسوا متطابقين فكلهم يولدون من أب وأم وهم بعد قليل أو كثير يموتون وفي التراب يدفنون وكلهم يأكلون ويشربون ويتنفسون كما أنهم يفرحون ويحزنون ويحبون ويكرهون... وتلك هي بعض الصفات البشرية المشتركة ورغم ذلك التشابه فهم حتى في هذه الصفات لا يتطابقون كما أنهم في بعض هذه الصفات مع غيرهم من المخلوقات يتشابهون!!.

البشر عندما يموتون، في التراب يدفنون إلا أن الله تبارك وتعالى

اختص الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون فما بالك بخاتم الأنبياء والمرسلين وذريته من الأئمة الطاهرين (إنه يموت من مات منا وليس بميت وبلى من بلى منا وليس ببال)!! .

لم يُخلق الإنسان من طينة واحدة ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطَلْعٍ أَشْجَاجٍ نَتَّبِعُهُ فَبَعَلْنَاهُ سَيْمِئًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] .

كما أن هذه الطينة تبقى حاكمة ومؤثرة في صياغة السلوك الإنساني ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرَ وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ [الإنسان ٣] .

هذه الطينة يمكن أن تهبط بصاحبها إما إلى أسفل سافلين أو ترفعه إلى أعلى عليين ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿يُفُونَ بِالَّذِينَ وَعَاوَنُوا بِمَا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ وَيَطْمَئِنُّونَ إِلَى طَعَامٍ عَلَى حَبِيدٍ وَنَسِيكَمَا وَآيِيدًا ﴿إِنَّمَا تَطْمَئِنُّوهُ لَوْلَا أَنَّهُ لَا يُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿فَوَقَّعْنَاهُمْ مَثَرًا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا وَقُوفٌ وَلَا يُرَادُّهَا حَتَّىٰ أَوَّلَتْ أَعْيُنُنَا عَنْ مَرَئِئِهِمْ وَنَبَذْنَاهُمْ إِلَىٰ خِيبٍ﴾ وَتَجَزَّاهُمْ بِمَا صَدَّوْا حَتَّىٰ وَجَّعْنَا قُلُوبَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ نَفْسًا وَنُفُوسًا ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُلُوبُهَا نَذِيرًا﴾ [الإنسان ٤ - ١٤] .

لو كان للبشرية معنى واحداً لما صار بعض (الناس) هم والكلاب سواء ﴿وَأَنذَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّلَ الْكَلْبُ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَفَرَّضَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[الأعراف: ١٧٤ - ١٧٦]

فهناك من تماثل في إنسانيته أو بهيميته الضالة المتخبطة مع الأنعام أو هم أضل ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

يَقْفَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَأْكَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وهناك من استوت إنسانيته مع القردة والخنازير ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ أَقْوَمِنَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَمَلَ مِنْهُمُ الْقِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿١٨٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

أما الأبرار فهم في عليين رغم أنهم بشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ولكنهم عليون في الدنيا قبل الآخرة ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٨٢﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٨٣﴾ بِشَهِدٍ الْمَقْرُونِ ﴿١٨٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٨٥﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٨٦﴾ تَتَرَفَّى فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٨٧﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ ﴿١٨٨﴾ خِتَمُهُ مِسْكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿١٨٩﴾ وَمُرَاجَعُهُمْ فِي نَعِيمٍ ﴿١٩٠﴾ يَتَرَفَّى بِهَا الْمُقْرُونُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [المطففين: ١٨ - ٢٨].

وفي الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله ﷻ خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك وقلوبهم تهوي إلينا لأنها خلقت مما خلقنا منه ثم تلا هذه الآية ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٨٢﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٨٣﴾ بِشَهِدٍ الْمَقْرُونِ ﴿١٨٤﴾﴾ وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوي إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَاجِرِ لَفِي سِجِّينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ ﴿١٨٦﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿١٨٧﴾ قَالَ يُؤْمِرُ بِالشَّكْرِينَ ﴿١٨٨﴾﴾^(١).

فهل بقي من يزعم أن للإنسانية معنى واحداً يشترك فيه الأدنى والأعلى ويستوي فيه أبرار عليون مع فجار سجين ممن يعيشون وهم

(١) ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ، الكافي، ج ٢.

يستمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم أي أنهم بشر ولكنهم أسفل سافلين ثم يموتون ليتلقفهم قعر جهنم إلى أن يأتي يومهم الذي كانوا يوعدون^{١٩}.

وهل بقي من يدعي أن رسول الله ﷺ كان بشراً كآشياء البشر وهل يعرف هؤلاء معنى البشرية الحقيقية وقد ارتكس بعضهم في درجات الحيوانية وظلمات البهيمية رغم أن الصورة صورة إنسان أما الحقيقة فلا تعدو كونها حقيقة من أشرنا إليه من صنوف الحيوان^{١١}.

أن يكون رسول الله ﷺ بشراً مثلنا يوحى إليه فهذا ليس موضع خلاف ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَبَدَّ قَدْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِرَبِّهِ كَيْدَ كُفْرًا كَبِيرًا﴾ [الكهف: ١١٠].

إنها مثلية قاصرة على تلك المشتركات التي تجمع بني الإنسان ولكنها وبكل تأكيد ليست مثلية مطلقة بل مثلية الصورة الخارجية وشتان ما بين من اختاره ربه واصطفاه على الأنبياء والمرسلين وجعله حجة على العالمين وهو من باب أولى على رأس عالم الأبرار المقربين بينما يقطن على السفح المقابل، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت رغم أنهم يشتركون مع الجميع في مثلية الصورة التي لا يمكن لها أن تنفي التناقض المطلق بين العالمين عالم الحقيقة الممتدة من الأرض صعوداً إلى أعلى عليين وعالم الانحطاط الممتد سقوطاً إلى أسفل سافلين^{١١}.

الم يصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعض هؤلاء الأشياء بقوله (فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الأحياء)^(١).

(١) نهج البلاغة، خطبة ٨٦.

أما السبب وراء هذا التفاوت الشاسع ما بين السماء والأرض وبين عليين وسجين فيشرحه لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله:

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا، وَعَذِيبِهَا وَسَبْحِهَا، ثُرْتُهُ سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَاظَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةَ ذَاتِ أَخْتَاءٍ وَوُضُوءٍ وَأَهْضَاءٍ وَفُضُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ وَأَضْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لَوُثَتْ مَعْدُودٍ وَاجِلٌ مَعْلُومٌ ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانَ يُجِيلُهَا، وَفِكْرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَابِ وَالْمَشَامِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ مَعْجُونًا بَوَيْتَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُتَوَلِّفَةِ، وَالْأَصْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَحْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ وَالْمَسَاءَةِ وَالسُّرُورِ وَاسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةُ وَبِعِثَتُهُ لَدَيْهِمْ وَهَذَا وَصِيَّتُهُ إِلَيْهِمْ، فِي الْإِذْهَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَالْحُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ حَزُّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ وَقَبِيلُهُ اخْتَرْنَهُمُ الْحَوِيَّةُ وَهَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَوَةُ، وَتَعَمَّرُوا بِخُلُقِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنُوا خُلُقَ الصِّلَصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى النَّظْرَةَ اسْتِحْقَاقًا لِلشُّحْطَةِ، وَاسْتِثْمَامًا لِلْبَلِيَّةِ، وَإِنْجَازًا لِلْعِدَّةِ، فَقَالَ: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ يَوْمَ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿١٨﴾﴾ ^(١).

لقد كان رسول الله ﷺ (بشراً مثلنا) في الصورة الخارجية ولكننا أبداً لسنا بشراً مثله في حقيقته العلية وإلا فما هو معنى طلبه سبحانه وتعالى منا أن نتخذة أسوة ونموذجاً ومثلاً أعلى يحتذى به ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

(١) السابق، الخطبة الأولى.

تلك هي القضية التي غفل عنها الغافلون إما سهواً أو عمداً سواء أولئك الذين حرصوا على تقديم رسول الله في صورة (مبلغ أمين) أدى ما عليه وأبلغ نصوص الدين وتركها بين يدي صحابته والتابعين وتابعي التابعين وأنه ﷺ لم يكن له عصمة في غير مجال التبليغ حيث كان في بقية حالاته بشراً مثلهم يصيب ويخطئ ويرضى ويغضب ورغم أن البعض الآخر قد أسبغ عليه صفة العصمة في كل حالاته إلا أنه يرى أن مهمته الرئيسية وربما الوحيدة كانت هي التبليغ ولا شيء سوى التبليغ رغم أننا في هذا البحث سنثبت أن رسول الله كان واسطة العقد بين الأرض والسماء في كل المجالات رحمة وعلماً ورفعة ومقاماً وآخر هذه المقامات هو مقام التبليغ!!

رسولنا رحمة للعالمين:

يقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:

[١٠٧]

﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّاسَ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَنْصُرُوا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُعَذِّبْ آلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]. ويقول جل وعلا: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ يَنْ آتَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَرْطًا غِيظَ الْقَلْبِ لَا نُفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وكذلك قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. ﴿أَمَّنْ كَانَ عَلَى يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّهِ. وَتَلَّوْهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ. كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ. مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧].

﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا يُثَبِّتَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

الشاهد من هذه الآيات أن الله تبارك وتعالى قد أرسل نبينا الأكرم محمداً ﷺ رحمة للعالمين وأن هذه الرحمة الإلهية ليست قاصرة على حفظ وتبليغ نصوص الكتاب المنزل من عند الله بلسان عربي مبين.

إنه رحمة للعالمين للإنس والجن والطير والحيوان والجبال والشجر والدواب، رحمة سمع بها الجن فآمنوا ﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

الرسول الأكرم كان في ذاته وصفاته ووجوده رحمة للناس عامة ولأمة لا إله إلا الله خاصة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

لقد كان وجوده ﷺ أماناً لهذه الأمة من الضلال وأماناً من العذاب وهو المعنى الذي رواه أبو جعفر الباقر عن علي بن أبي طالب عليه السلام: كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمْ الْآخَرُ فَتَمَسَّكُوا بِهِ أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَلَا اسْتِغْفَارَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

بين محمد وموسى

الذين ما فتوا يلتون ويعجنون وينقصون ولا يزيدون من مقام نبيهم سيد الكائنات ويقدمونه للناس بشراً مثلهم من أصحاب البشرية الهابطة لا يقرؤون القرآن ولا يتدبرون معانيه لأن على قلوب أفاها كما أنه قد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وفات هؤلاء أن للرسول والأنبياء

مقامات وأن تفاضل الرسل ليس تفاضلاً لفظياً بل هو تفاضل واقعي قائم على أساس الدليل والبرهان.

التفاضل بين الأنبياء والرسل هو تفاضل في المهمات والتكاليف الملقة على عاتق كل نبي من هؤلاء الأنبياء ولا شك أن خاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين قد حمل على كاهله مجموع ما حملة كل هؤلاء الأنبياء فضلاً عن عبء هداية البشرية بأسرها منذ مبعثه إلى يوم الفصل بين الخلائق أجمعين يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَمَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَنَ وَأَيْدَتْهُ يُرُوجُ الْقُدْسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَحَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَيَنْتَهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَحَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤].

وإذا كان القرآن الكريم قد حكى لنا عن الطريقة التي كلم الله بها موسى تكليماً في أكثر من موضع بالواد المقدس طوى أو عندما ذهب موسى لمبقات ربه ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمَنْحِرٍ فَنَمَّ يَمِينُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [١٧] وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَّ وَلَكِنْ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيَّ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَاحِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْءُ إِلَهِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ يَمُوتُ إِلَى أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ يُرْسَلَنِي وَيَكَلِّمُنِي فَخُذْ مَا ءَاتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨﴾ وَكُنْتَنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاقِينَ﴾ [الأعراف ١٤٢ - ١٤٥].

الشيء الثابت من هذه الآيات أن موسى عليه السلام وهو من أولي العزم

من الرسل لم يقدر على احتمال موقف المشافهة الإلهية وليس موقف الرؤية الإلهية المباشرة المحكوم باستحالتها شرعاً وعقلاً.

لم يتمكن موسى ﷺ من احتمال عظمة الموقف فكان أن خرَّ صعباً بينما يحكي لنا كتاب الله في سورة النجم ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۝۱ مَا حَلَ صَاجِبُهُ وَمَا عَوَىٰ ۝۲ وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝۳ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝۴ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝۵ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝۶ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝۷ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝۸ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝۹ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝۱۰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝۱۱ أَفَتُكْفَرُونَ بِهِ ۝۱۲ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝۱۳ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝۱۴ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْأَلْوَىٰ ۝۱۵ إِذْ يَسْنَىٰ السَّنْدَءَ مَا يَشْفَىٰ ۝۱۶ مَا زَالَهُ يُبْعَثُ ۝۱۷ مَا لَكُنَّ ۝۱۸ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝۱۹﴾ [النجم: ١ - ١٨].

يقول القمي في تفسير هذه الآية: هو قسم برسول الله ﷺ وهو فضل له على الأنبياء وجواب القسم ﴿مَا حَلَ صَاجِبُهُ وَمَا عَوَىٰ ۝۲ وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝۳﴾ أي لا يتكلم بالهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝۴﴾ يعني الله ﷻ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝۵﴾ يعني رسول الله ﷺ.

قال: وحدثني ياسر عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: ما بعث الله نبياً إلا صاحب مرة سوداء صافية وقوله ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝۷﴾ يعني رسول الله ﷺ ﴿ثُمَّ دَنَا ۝۸﴾ يعني رسول الله ﷺ من ربه ﷻ ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝۹﴾ قال إنما نزلت هذه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝۹﴾ قال كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية ﴿أَوْ أَدْنَىٰ ۝۹﴾ أي من نعمته ورحمته قال بل أدنى من ذلك ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝۱۰﴾ قال وحى مشافهة^(١).

(١) أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ٢/٣٤٥، صححه وعلق عليه حجة الاسلام العلامة السيد طيب الله الموسوي الجزائري... دار احياء التراث العربي. بيروت.

يقول الراغب الأصفهاني في (مفردات القرآن): أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل أمرٌ وحيٌ وذلك بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد من التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة ويقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ وذلك على أنواع حسبما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ عَزِيزٌ﴾ [الشورى: ٥١]، وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل ﷺ للنبي في صورة معينة وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى ﷺ كلام الله وإما باللقاء في الروح كما ذكر ﷺ (إن روح القدس نفث في روعي) وإما بالإلهام نحو ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَآهُ أُمِّرْ مُوسَىٰ أَنْ أَنْزِئِيهِ﴾ وإما بتسخير نحو قوله ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّفْلِ﴾ أو بمنام كما قال ﷺ (انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن) فالإلهام والتسخير والمنام دل عليه قوله: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ وسماع الكلام معاينة دل عليه قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ﴾^(١).

كما يقول الشيخ الطوسي في كتاب التبيان: يقول الله تعالى إنه ليس لبشر من الخلق ﴿...أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ معناه أو بكلام بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب لأنه تعالى لا يجوز عليه ما لا يجوز إلا على الاجسام من ظهور الصورة للابصار ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ فيكون كلام الله لعباده على ثلاثة أقسام:

أولها: أن يسمع منه كما يسمع من وراء حجاب، كما خاطب الله به موسى ﷺ.

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

الثاني: بوحى يأتي به الملك إلى النبي من البشر كسائر الأنبياء.

الثالث: بتأدية الرسول إلى المكلفين من الناس، وقيل في الحجاب ثلاثة أقوال:

أحدها: حجاب عن إدراك الكلام لا المكلم وحده.

الثاني: حجاب لموضع الكلام.

الثالث: إنه بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب ﴿فَيُوحَىٰ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ ومعناه أن ذلك الرسول الذي هو الملك يوحى إلى النبي من البشر بأمر الله ما شاء الله ﴿إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝﴾ معناه إن كلامه المسموع منه لا يكون مخاطبة يظهر فيها المتكلم بالرؤية، لأنه العلي عن الإدراك بالابصار وهو الحكيم في جميع أفعاله وفي كيفية خطابه لخلقه.

والمعنى أن رسول الله ﷺ قد تلقى الوحي من رب العزة ليلة عروجه إلى السماوات العلى وكلمه البارئ ﷻ من وراء حجاب تعالى سبحانه عن أن يرى كما ترى الأجسام والأشياء وهنا يبدو الفارق جلياً بينه وبين موسى كليم الله الذي خَرَّ يومها صعقاً حيث لم يقدر سلام الله عليه على احتمال موقف القرب من الله تبارك وتعالى فلم يستقر قائماً على أقدامه أما الجبل فلم يصمد عندما باغته هذا التجلي الإلهي فكان أن هوى من على دعائمه وأركانه^(١).

الجبال في صلابتها وشموخها ورسوخها عابدة لله عبادة تكوينية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٦/٢٤١. تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي. بيروت. دار احياء التراث العربي.

وَالْجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ فَمَّا لَّهُ مِن مَّكَرٍ مِّنَ اللَّهِ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨].

الجبال تسبح وترجع وتسجد وتركع ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالِ أَتَيْنَا مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٩﴾ [سبا: ١٩]. ﴿٢٠﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَنِيِّ وَالْإِنشِرَاقِ ﴿٢١﴾ [ص: ٢١].

ولكنها ورغم ذلك لا تقدر على احتمال موقف القرب كما أنها أشفقت من حمل أمانة الله وكلماته ﴿٢١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٢٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فأي قوة وأي رفعة وأي مكانة كانت لرسول الله الذي كان كما وصفه الله تبارك وتعالى ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾.

كان رسولنا الأكرم محمداً ﷺ شديد القوى ذا مرة صلبة قوية صافية (رجل مرير أي قوي ذو مرة) وهي قوة ضرورية ولازمة للقيام بأمر هذا الدين لا مجرد تبليغ كتاب الله وتلاوته وهو ما يقدر عليه الأطفال من تلاميذ الكتاب الذين يحفظ بعضهم كتاب الله ومع ذلك فلا أحد يزعم أن أحداً منهم قد أصبح شديد القوى أو أنه أصبح ذا مرة فاستوى ولم يتضعض كما تتضعض الجبل عندما رأى سبحة من سبحات نور رب العلا أو أنه لم يختر صعقاً كما خر موسى عندما أصبح الجبل دكاً!!.

تلك القوة التي خص بها نبينا الأكرم محمداً ﷺ (في بشرته) كانت لازمة لتحمل أعباء وأمانة إنقاذ البشرية المتمردة على أمر ربها وخالفها من الهلاك والبوار ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ ثَقَلَتْ عَلَىٰ ءَاتِيهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

كما أنها كانت لازمة لتحمل ما أحقه بعض المتتبعين للإسلام من
أذى برسولهم الكريم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
مَنْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْمَرْثِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [النوبة ١٢٨ - ١٢٩].

﴿تُ وَالْقَلْبِ وَمَا يَنْظُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ لَكَ
لَأَجْرًا عَزِيزٌ مَسْنُونٌ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَمَنْ خُلِّيَ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ فَتَنْبِئُ رُبَّيْرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ
الْمُفْتُونَ ﴿٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾
فَلَا تُطِيعُ الشَّاكِرِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا أَنْ يُدَّخِلَ اللَّهُ فِي دِينِهِمُ الْقِلَافَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطِيعُ كُلَّ قَلَابٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾
هَآؤُنِ الْمَلَأَ بَنِيهِمْ قُلُوبًا ﴿١١﴾ مَنَاجِ لِّلْخَيْبِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ﴿١٢﴾ عَنِ بَدَ ذَلِكَ زَيِّمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ
كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِيٍّ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَالَى عَلَيْهِ مَا بَيْنَنَا قَالَ اسْتَطِيرَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾
[العلم ١ - ١٥].

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْوَيْبِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ وَلَا أَنْ
تَذَكَّرَهُ يَنْتَهِي مِنْ رَبِّهِ لَيْدٌ بِالرَّاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ رُبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ السَّالِفِينَ ﴿٢٠﴾
وَلَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِيلَنَّكَ بِأَصْرِهِمْ لَنَا نَمِيرًا ﴿٢١﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٢﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾. [العلم ٤٨ - ٥٢].

﴿يَتَابِعُهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّوْنَ لِلْكَذِبِ
سَمَّوْنَ يَقُولُ مَاخِرِينَ لَمْ يَأْكُلُوا يَحْرِقُونَ الْكِبَرِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ
أُرْسِنَتْ هَذَا فَخُذُوا وَإِنْ لَمْ تُنَوِّهْ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ
لَهُ مِنْ أَلْوٍ شَيْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرَ قُلُوبُهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا جِزَاءٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ سَمَّوْنَ لِلْكَذِبِ
أَكْثَرُونَ لِلشَّعْبِ إِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ

فَكَانَ يُعْزِرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ [المائدة ٤١ - ٤٢].

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا
إِذَا هُمْ يَسْتَحْشِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا
اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ إِنَّمَا
الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْفَرَسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآبَنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ
لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
رَسُولَ اللَّهِ لَمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٤٦﴾ يَلْفُوفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
قَاتِلَ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٤٨﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ
أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِنِّي اللَّهُ مُخْرِجُ مَا
تَخْتَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلَمِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ
وَمَا يُبِينُهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [التوبة ٥٨ - ٦٥].

لقد كانت النبوة المحمدية إذا رحمة للعالمين وقد حمل رسولنا في
قلبه هم الأمة حزناً على هؤلاء المعرضين ورحمة لهؤلاء المتفلتين خوفاً
عليهم من سيئات أعمالهم وخوفاً على الأمة من فتنهم وأحابيلهم التي
أوردت عامة المسلمين دار البوار.

التغني بمدح رسول الله ﷺ وذكر مقاماته هو في حقيقة الأمر
تذكير وتنويه بصفات الكمال التي يتعين على كل مسلم يرغب في
الوصول إلى رضوان الله أن يتحلى بها وفي مقابل ذلك فإن طمس هذه
الكمالات وكتمانها هو تقزيم لقيم الدين السامية والرفيعة وهذه هي

الحفرة التي يريد البعض لنا أن نبقي فيها ليبقى الدين لعقاً يلوكة الناس بالستهم وقميصاً يتمصه أولئك الذين طلبوا الدنيا كل الدنيا مقابل القليل من عمل الآخرة بعيداً عن النموذج الحقيقي للعمل الطيب الذي لا يقبل غيره ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

بين محمد وعيسى

إذا كان المنحرفون بالنصرانية قد اتجهوا نحو الغلو في عيسى عليه السلام واعتباره ابناً لله وثالث ثلاثة ﴿يَتَأَهَّلُ الْكَتَّابُ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا ابْنُ مَرْيَمَ ذُوخٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خيراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء ١٧١]، فإن المنحرفين بالإسلام قد اتجهوا اتجاهاً معاكساً نحو الحط من مكانة رسول الله ﷺ سواء كان هذا بصورة مباشرة أو من خلال التنكر لمكانة أهل بيته وعترته الطيبين الطاهرين.

لا شك في اختلاف بشرية عيسى عليه السلام المولود من غير أب عن المفهوم العام للبشرية ولكنه في النهاية كان بشراً تحمل الألم والعذاب كي يوصل كلمات الله لبني إسرائيل ومن ثم فهو في النهاية كان بشراً يتألم ويتحمل ويصبر كما أنه كان عبداً لله أنعم الله عليه وجعله مثلاً لبني إسرائيل ويبقى أن هذه طبيعة النبوة والرسالة التي حملها الإنسان الكامل ليكون قدوة للإنسان الناقص في سعيه نحو مرضاة الله ﷻ.

الانحراف برسالة عيسى عليه السلام كان ولا زال انحرافاً تأويلياً عندما توهم هؤلاء معنى تجسدياً (للكلمة) و(الروح) وكان أن نبههم كتاب الله

لخطورة هذا الانحراف (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً) ولم يقل لهم (ثلاثة آلهة) فهم لا يقولون بتعدد الآلهة بل بتعدد الصفات الإلهية وزيادتها على الذات بل وإمكان انفصالها عن الذات الإلهية وتجسدها في صورة ابن الله ينزل إلى الأرض ويذبح فداء لخطايا البشرية والدافع لهذا الخطأ الفادح كان فرط تقديسهم للمسيح عيسى ابن مريم وأمه الصديقة مريم التي حملت في ذاتها تلك الروح الإلهية ١١.

لم يكن لعيسى ﷺ زوجة ولا ولد بل كان له حواريون ينصرونه وينقلون رسالته وكلماته للناس ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا كُورًا أَنَاوَرًا اللَّهُ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنَاوَرُ إِلَى أَهْلِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ غُفْنُ أَنَاوَرٍ اللَّهُ فَأَمَّا تَعَالَيْتُ مِنْ بَيْتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرْتَ تَعَالَيْتُ فَأَيُّدُنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَذُوبِهِمْ فَأَنصَحُوا عَلَيْهِمْ ١٢﴾ [الصف ١٤] ولذا فقد أكرمهم الله بمخاطبته ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنِ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآمَنَّا وَآمَنَّا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ١٣﴾ [المائدة ١١١].

لقد أنعم الله على الحواريين بمائدته ولكنه كان إنعاماً مشروطاً بشرط دوام التصديق والإيمان ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ بِسَطِيعِ رَبِّكَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٤﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَقَطِّعَ قُلُوبُنَا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّكَّاهِينَ ١٥﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ١٦﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنَّ أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْمَلْعُونِينَ ١٧﴾ [١١٢ - ١١٥].

حدث الانحراف والغلو بعد ذلك وهو انحراف أخرج الكثير من هؤلاء عن حقيقة التوحيد الذي جاء به نبي الله عيسى ﷺ بكيفية أنبياء الله ورسله ومن ثم جاءت خاتمة سورة المائدة لتضع الأمور في نصابها وتعلن براءته ﷺ من هؤلاء ومن ساروا على نهجهم المنحرف والمعوج.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِئْتِي إِلَهُتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ ثَلِمْتُ فَفَدَّ عَولَتُهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ۖ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۚ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ أَلْقِيَابَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعْلَمُهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ۖ تَغْفِرُ لَهُمْ فَمَا أَنْتَ بِالْعَظِيمِ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

المنحرفون بالإسلام اختاروا السير كما أسلفنا في الطريق المضاد، طريق التعبد بالرأي والأهواء وكانت العقبة الكبرى في طريقهم هو خط الإمامة والافتداء بالصالحين من ذرية محمد وهم آله وعترته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهو الخط الذي اختاره الله لهم وبينه رسول الله في غير موضع لهذه الأمة التي استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير.

إنه الصراط المستقيم الذي حدده الله تبارك وتعالى ورسمه لهذه الأمة في سورة الأنعام طريق الافتداء بالمصطفين الأخيار من الذرية والآل ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَوُرَثَتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَيَّ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَأْ مِنْ عِبَادِي ۖ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَظُنُّونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوًّا بِهَا بِكُفْرِهِمْ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَفْتَدِيَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٨٧ - ٩٠].

المنحرفون بالإسلام سيراً في الطريق المضاد رغبة منهم في إزاحة تلك العقبة الكبرى التي تحول بينهم وبين صوغ الإسلام وفقاً لأرائهم وأهوائهم لم يعبؤوا بتلك النصائح الإلهية ولم يلتزموا بأمره تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَفْتَدِيَهُ﴾ واتخذوا من دون أمر الله (آلهة)

ووسائط مزعومة للهداية والرشاد ليضلوا عن سبيله فكانت الوقفة
المحمدية الحازمة التي سجلتها سورة الأنعام تماماً كذلك الوقفة العيسوية
التي سجلتها سورة الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي
شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٦﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ
رَبِّيَ إِذْ كَانَ مِنَ الْمُرْتَابِ بَيِّنًا فِيمَا بَيْنَهُمَا حَقِيقًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٨﴾ قُلْ
إِنِّي صَلَائِي وَمِيتَتِي وَحَيَايَ وَمَمَاتِي وَإِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٩﴾ لَا شَرِيكَ لِلَّهِ وَبِذَلِكَ بُرِئْتُ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عِلَّتْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ لَكَ رَيْبُكَ مَرَّجُوكُم مِّبْتَلَاكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [١٥٩ - ١٦٤].

الخطبة الطالوتية:

إنها الصورة التي رسمها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في
خطبته الطالوتية: أيتها الأمة التي خدعت فانخدعت وعرفت خديعة من
خدعها فأصرت على ما عرفت واتبعت أهواءها وضربت في عشواء
غوايتها وقد استبان لها الحق فصدت عنه والطريق الواضح فتتكتبه، أما
والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه وشربتم الماء
بعذوبته وادخرتم الخير من موضعه وأخذتم الطريق من واضحه وسلكتم
من الحق نهجه لنهجت بكم السبل ويدت لكم الأعلام وأضاء لكم
الإسلام فأكلتم رعداً وما عال فيكم عائل ولا ظلم منكم مسلم ولا
معاهد ولكن سلكتم سبيل الظلام فأظلمت عليكم دنياكم برحبها وسدت
عليكم أبواب العلم فقلتم بأهوائكم واختلقتم في دينكم فأفتيتم في دين
الله بغير علم واتبعتم الغواية فأغوركم وتركتم الأئمة فتركوكم فأصبحتم
تحكمون بأهوائكم إذا ذكر الأمر سألتم أهل الذكر فإذا أفتوكم قلتم هو

العلم بعينه فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه؟ رويداً عما قليل تحصدون جميع ما زرعتم وتجدون وخيم ما اجترتم وما اجتلبتم، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد علمتم أني صاحبكم والذي به أمرتم وأنني عالمكم والذي بعلمه نجاتكم ووحي نبيكم وخيرة ربكم ولسان نوركم والعالم بما يصلحكم، فعن قليل رويداً ينزل بكم ما وعدتم وما نزل بالأمم قبلكم وسيسألكم الله ﷻ عن أئمتكم، معهم تحشرون وإلى الله ﷻ غداً تصيرون^(١).

إنها المقاربة التي تؤكدتها الروايات الواردة عن رسول الله فيما يعرف بكتب الصحاح حدثنا سعيد بن أبي مريم: حدثنا محمد بن مظرف: حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: (إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، ليردني علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم). قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، لسمعته وهو يزيد فيها: (فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي).

وقال أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي: حدثنا أبي، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة: أنه كان يحدث:

إن رسول الله ﷺ قال: (يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيجلون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أديارهم القهقري).

(١) الكليني، الكافي، الخطبة الخامسة، ج ٨.

وحدثنا أحمد بن صالح: حدثنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب أنه كان يحدث، عن أصحاب النبي ﷺ:

إن النبي ﷺ قال: (يرد علي الحوض رجال من أصحابي، فيحلّون عنه، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري).

وقال شعيب: عن الزهري: كان أبو هريرة يحدث عن النبي ﷺ: (فيجلّون). وقال عقيل: (فيحلّون). وقال الزبيدي، عن الزهري، عن محمد بن علي، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي: حدثنا محمد بن فليح: حدثنا أبي قال: حدثني هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة،

عن النبي ﷺ قال: (بينما أنا نائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل حمل النعم). رواه البخاري^(١).

كان رسولنا الأكرم محمد ﷺ شاهداً على البشرية بأسرها محتملاً ما يقتضيه ذلك الموقف من أعباء لا تطيقها نفس بشرية عادية ﴿وَإِنَّا

(١) البخاري. ج ٤ ص ١٤١ - ١٤٢ الطبعة السابقة.

أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَتُذَكِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُحْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ [الفتح: ٨ - ٩]، ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّبِيِّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿١٦﴾ وَنَذِيرٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿١٧﴾ وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ الْأَذْنَثَةَ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَىٰ بِاللهِ وَكِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٨].

بينما كان عيسى عليه السلام شهيداً على قومه وليس في الأمر أي نوع من التهوين أو الغض من شأن من وصفه الله تعالى بأنه ﴿رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَدُوحٌ مِنْهُ﴾ فما أعظم تلك الصفات وما أعظم كلمة الله وروحه التي بعثها إلى الأرض ليظهر بها الدنيا من شياطين الجن والإنس وليفسح المجال لكي تكتمل كلمات الله وينفذ أمره في خلقه.

إنها إذا بشرية وبشرية!!.

بشرية أعلى عليين على قمتها محمد الصادق الأمين التي دنت فتدانت وعلت فتعلت فكانت قاب قوسين أو أدنى صعوداً إلى الأفق الأعلى فرأت من آيات ربها الكبرى وبشرية تسافلت فسفلت وهبطت وانحطت فسقطت إلى سجين حيث يرقد الضالون المكذبون في القعر الأسفل من دركات البشرية حيث يلتقون هناك مع نظرائهم ممن غضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

ولا سواء!!.

ورغم تشابه الشكل والصورة بين ما هو عذب فرات سائح شرابه وما هو ملح أجاج لا يروي عطشاً ولا يشفي غليلاً إلا التباعد بينهما لا تجبره الكلمات والادعاءات والطنطنات الفارغة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَعَمْرَ طَرِبًا وَفَسْتَعْرِضُونَ مَوْلًى تَبْتَغُونَهَا فَرَى الْفَلَكُ فِيهِ مَوْلًى لِّتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴿فاطر ١٢﴾. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٣﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا
 النُّورُ ﴿١٤﴾ وَلَا الظُّلُمُ وَلَا النُّورُ ﴿١٥﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَلَا الْأَنْوَارُ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ
 مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١٦﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
 بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أَتَمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٨﴾ ﴿فاطر: ١٩ - ٢٤﴾، ولا
 نعتقد أن ثمة حاجة إلى مزيد من البيان!!.

النبوة في نهج البلاغة

النبوة شجرة

النبوة شجرة لها جذور ولها ساق ولها فروع ولها أوراق ولها ثمار.

النبوة عند القوم شجرة لها جذور وساق ولها أوراق وثمار وليس لها فروع!!!.

فالجذع هو رسول الله ﷺ والجذور هم سلفه من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الفروع الرئيسية هم أئمة أهل بيت النبوة ﷺ أما الثمار والأوراق فهم آحاد المسلمين الذين حاولوا وما زالوا يحاولون الحصول على الغذاء من جذع شجرة النبوة بوسائل أدنى ما يقال عنها أنها طفيلية كما أنها لا تغني ولا تسمن من جوع!!.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهَمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ حُدُسُ الْفُطَنِ، الْأَوَّلُ
الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَتَوَهَّجُ، وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي. فَاسْتَوْدَعَهُمْ (أي الأنبياء) فِي

أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقْرَبُهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَامُ الْأَصْلَابِ إِلَى
مُظَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ؛ كُلَّمَا مَضَى سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلَفٌ.

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ
الْمَعَادِنِ مَنِينًا وَأَعَزُّ الْأَرْوَامِ مَفْرَسًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ،
وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ.

عِزَّتُهُ خَيْرُ الْعِزِّ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتْ
فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا قُرُوعٌ طَوَالٌ، وَتَمَرٌ لَا يَبَالُ.

فَهُوَ إِمَامٌ مِنَ اتَّقَى وَبَصِيرَةٌ مِنَ اهْتَدَى، وَسِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَشِهَابٌ
سَطَعَ نُورُهُ وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ؛ سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ
الْفَضْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْنَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ
الْعَمَلِ، وَهَبَاوَةٍ مِنَ الْأَمَمِ^(١).

ويقول عليه السلام:

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاءِ الصُّبَا، وَذُرَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ
الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمَةِ، وَنَيَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

ابْتَعَنَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَابْتَرَهَانَ الْجَلِيَّ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي،
وَالكِتَابَ الْهَادِي. أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا
مُتَعَدِّلَةٌ، وَتِمَارُهَا مُتَعَدِّلَةٌ. مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجَرَتُهُ بِطَبِيبَةَ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ،
وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ. أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ.
أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَذْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ
الْمُفْصُولَةَ. (مَنْ يَتَّبِعْ عَيْرَ الْإِسْلَامِ يَبْئَأْ) تَتَحَقَّقُ شِفَوْنُهُ، وَتَنْفَضِمُ عُرُونُهُ،

(١) نهج البلاغة، خطبة ٩٣.

وَتَعْظُمُ كِبَوْتُهُ، وَيَكُنْ مَابَهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَيْلِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَهْنِيهِ^(١).

يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤ - ٢٧].

ويقول جل وعلا: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ ۚ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۚ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ يَثْبُتُ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيُنْكِرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسْمَعُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُّوسِ وَالْأَصَمِ ۝ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝ لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزَيَدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۚ وَاللَّهُ بِرُزْقِهِ بَعِيرٌ حَسَابٌ ۝﴾ [سورة النور: ٣٥ - ٣٨].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾ [النساء: ١٧١].

(١) المرجع السابق، خطبة ١٦١.

ويقول عز من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴿٢٩﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨] .

ذكر علي بن أبي إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٩﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥] .

قال: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر الاحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال سأله عن قول الله ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ الآية قال الشجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصلها: نسبة ثابت في بني هاشم وفرع الشجرة علي بن أبي طالب عليه السلام وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها الأئمة من ولد علي وفاطمة عليه السلام وشيعتهم ورقها وإن المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من الشجرة ورقة وإن المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة قلت أرأيت قوله ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ قال يعني بذلك ما يفتي به الأئمة شيعتهم في كل حج وعمرة من الحلال والحرام ثم ضرب الله لأعداء محمد مثلاً فقال ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٣١﴾﴾ ، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: كذلك الكافرون لا تصعد أعمالهم إلى السماء وبنو أمية لا يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد ولا تصعد أعمالهم إلى السماء إلا قليل منهم^(١) .

يقول الشيخ الطوسي في تفسيره: وقوله (وجعلها كلمة باقية في عقبه) معناه جعل هذه الكلمة التي قالها إبراهيم كلمة باقية في عقبه أي

(١) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ٣٦٩ - ٣٧٠/١ .

في ذريته بما أوصى به مما أظهره الله من قوله إجلالاً له وتنزيهاً له ورفعاً
 لقدره بما كان منه من جلالة الطاعة والصبر على أمر الله. وقال قتادة
 ومجاهد والسدي: معنى قوله ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ قوله: لا إله
 إلا الله لم يزل في ذريته من يقولها وقال ابن زيد: هو الإسلام بدلالة
 قوله ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْأَتْلِيلِينَ﴾ وقال ابن عباس: في عقبه من خلفه وقال
 مجاهد: في ولده وذريته وقال السدي: في آل محمد ﷺ وقال الحسن:
 عقبه ولده إلى يوم القيامة وقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال الحسن: معناه
 راجع إلى قوم إبراهيم^(١).

(١) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩ م ٢٥.

النبوة كلمة الله

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ
الْقَنَآءُ بِإِذْنِ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ..

فالنبوة هي كلمة الله الجامعة لكل معاني الخير وعندما يصل
الإنسان إلى مرحلة الكمال فتتطابق أفعاله مع أقواله يصبح الإنسان هو
وما يؤمن به شيئاً واحداً لا اثنين فيصبح الإنسان هو كلمة الحق وتمثل
كلمة الحق في هذا الإنسان فتصبح كلمة الحق الإلهي إنساناً يمشي على
الأرض ويصبح هذا الإنسان قائداً لغيره إلى صراط الله المستقيم فَهُوَ مِنْ
مَعَادِينِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ مِضْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَافُ غَشَوَاتٍ، مِفْتَاحُ
مُبْهَمَاتٍ، دَفْعَاةُ مُغْضِلَاتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ وهو فوق كل هذا مِنْ مَفَاتِيحِ
أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَعَالِيْقِ أَبْوَابِ الرَّدَى.

الكلمة هي العلم الذي منحه الله لأنبيائه وأوليائه ﴿تَوَّابٌ وَأَلْقَى وَمَا
يَنْظُرُونَ﴾ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لَدُنْكَ يَسْجُدُونَ ﴿لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَسْئُورِينَ﴾ وَلَئِنْ
لَقَدْ خَلَقْنَا عَظِيمًا﴾ [القلم ١ - ٤].

فهو سبحانه الذي علّم الإنسان بالقلم ما لم يكن يعلم ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿وَالَّذِي
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ١ - ٥].

كلمة الله هي الحكمة التي يهبها الله لمن أحب من عباده المصطفين

الأخبار، أولى الأبواب ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

الحكمة هي الكلمات اللاتي أتمهن الله لأنبيائه المخلصين وبعث بهن سيد الأنبياء والمرسلين ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

الكلمة هي الكتاب وهي القرآن الذي أنزله الله هدى للمتقين المجموع من تلك الأحرف الألف واللام والميم والنون يخطها القلم بما يسطرون ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١ - ٤].

فباي حديث بعده يؤمنون؟؟!!

الكلمة كما يقول الراغب الأصفهاني هي كلمة التوحيد وهي كتاب الله وهي عيسى ابن مريم الذي أوجده الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [١٧] ﴿وَكَلَّمْنَاهُ آدَمَ إِذْ أَنْشَأَ مِنْ نَفْسِهِ ذُرِّيَّتَهُ﴾ [البقرة: ٣٥] لا هتداء الناس به كاهتدائهم بكلام الله تعالى وقد سمي كلمة الله تعالى لأنه صار نبياً كما سمي رسول الله ذكراً رسولاً ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا ذِكْرًا﴾ [الطلاق: ١٠] وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ فالكلمة تسمى قضية وكل قضية تسمى كلمة سواء كان ذلك مقالاً أو فعلاً والكلمة توصف بالصدق فيقال قولٌ صدقٌ وفعلٌ صدقٌ وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١٠٤﴾ فقد تمت الشريعة ولا نسخ لها بعد هذا اليوم وهي إشارة إلى قوله ﷺ (أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة)، والكلمة هي القرآن وقد تكفل الله بحفظه فقال ﴿فَإِنْ يَكْثُرْ بِهَا كُفَرَاءُ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ والكلمة هي الشواب والعقاب ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ وهي أحكام الله التي شرعها وهي وعد الله لعباده الصالحين ﴿وَوَعَدْتُ لَكُمْ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَيْتٍ لِّمَسَرَّةٍ يَّسَّرَ لِمَا صَبَرْتُمْ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿وَرُبُّهُ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِيكَ اسْتَضَعُّوهُ فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بحججه وبياناته.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [الأنبياء: ١٠٥] انتهى النقل.

الكلمة إذاً هي الدين كله ولذا فإن عجيبي لا ينقضي من أصحاب التفاسير الذين أسهبوا في وصف الشجرة التي شبه الله سبحانه وتعالى بها الكلمة الطيبة ولم يسهبوا في وصف الكلمة.

الكلمة الإلهية حكم وأمر وكتاب مسطور ﴿وَالطُّورِ﴾ ﴿١﴾ وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ﴿٢﴾ فِي رَفْوٍ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْيَبْتِ الْمَمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الرَّمُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ يَوْمَهُ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ [الطور ١ - ١٢].

الكلمة هي سجل الكون الذي خطه الأنبياء بجهادهم وصبرهم في تبليغ رسالة ربهم وخطه الشهداء بدمائهم والعلماء بمداد أقلامهم ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَلْفِ السَّجَلِ لِّلْكَتُوبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ [١٠٤ - ١٠٥].

الكلمة الطيبة بكل هذه المعاني وغيرها ممن لم نتمكن من إحصائها هي شجرة أصلها ثابت وفرعها يمتد صعوداً إلى عنان السماء تؤتي أكلها في كل وقت وحين مهما حاول المبطلون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

في المقابل فإن الكلمة الخبيثة كلمة الكفر والنفاق لا تعدو كونها صورة شجرة بلا عمق ولا جذور لا بد أن تقتلعها الريح وتزعزعها العواصف ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ . . . ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ .

الكلمة الطيبة تتلاقح مع الأبدان والأرواح كما تتلاقح البذور في التربة الطيبة أو التربة الخبيثة.

التربة الخبيثة تقتل البذرة الطيبة ولا تسمح إلا بنمو ما كان على شاكلتها من النبات الأكثر خبثاً والأسوأ أثراً ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ وَيَذُن رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثُ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِثاً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨] وهذا هو تاريخ النبوة المحمدية التي (نَبَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طَوَالَ وَتَمَرٌ لَا يُنَالُ).

مناقب الشجرة المحمدية

لماذا يتعين علينا الاهتمام بإبراز مناقب الشجرة المحمدية؟

الجواب نراه فيما حكاه لنا القرآن الكريم عن أنبياء الله صلى الله عليهم الذين سبقوا نبينا محمداً ﷺ وكيف بشر بهم من سبقهم وكيف جرى إعداد وتهيئة آبائهم وأمهاتهم ليقدموا للبشرية ذلك النبت والشجر المبارك الذي سيحمل أمانة الله أي النبوة والبلاغ عن رب العالمين.

إنها الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وتصدى لها من تصدى من بني الإنسان ظلماً وجهاً ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب ٧٢].

ظلماً لأنفسهم إذ حملوا أنفسهم ما لا قبل لهم بحمله فكانوا كبنى إسرائيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها لأنهم لم يفقهوها ولم يؤدوا أمانتها ولا حقها.

وظلماً لاتباعهم الذين اتبعوهم من دون بينة ولا برهان ولا كتاب منير فأحلوهم دار البوار ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَلْسَنُ الْقَرَارُ ﴿٢٨﴾ [إبراهيم ٢٨ - ٢٩].

وجهاً بحقيقة الرسالة الأمانة التي لا يقدر على حملها واحتمالها إلا المصطفون الأخيار.

حكى لنا القرآن عن موسى وأم موسى وأخته وأخيه هارون كما
حكى لنا رب العزة عن نشأة عيسى عليه السلام بدءاً من قصة زكريا عليه السلام وكيف
بشرته الملائكة بابن الخالة يحيى كما حكى لنا عن كفالة زكريا عليه السلام
لمريم ابنة عمران وكيف كلمتها الملائكة وبشرتها بكلمة من الله إلى آخر
ما هو معروف.

أما نحن فالمهمة كانت بيد السادة المؤرخين الذين شهدوا ودونوا
ولم يكن علمهم بالنشأة والاصطفاء الإلهي لنبينا محمد عليه وعلى آله
أفضل الصلاة وأتم التسليم متوقفاً على نزول قرآن يتلى يحكي لهم ما
شاهدوه بأبصارهم ومع ذلك فإنهم خلطوا الحق بالباطل وحرفوا الكلم
عن مواضعه إرضاء لأعداء الإسلام الأمويين خصوم الشجرة المحمدية
الهاشمية خاصة بعد أن استولوا على السلطة ولم يكن لهم من هم إلا
تقليص دائرة المفاهيم المرتبطة بالنبوة وحصرها في إطار التبليغ
والاستيلاء على حق التفسير والتأويل من أجل تقديم تصور عن الإسلام
يخدم أغراضهم ويلبي احتياجاتهم.

النبوة عندهم هي (محمد) ولا شيء قبله ولا شيء بعده.

فأبوه وأمه وأجداده وأعمامه هم من أهل النار وأولاهم بهذه النار
هو ناصر الإسلام الأول أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله أما أولى الناس
بالجنة فهم أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله الذين حاربوا الإسلام أكثر من عشرين
عاماً من آل أبي سفيان!!!.

هكذا قال من قال وروى من روى وصدق أغلب الناس من دون
تدقيق ولا تمحيص!!.

أما عن ذريته وعترته فلا شيء يميزهم عن بقية الناس وهم ملزمون
بالدخول فيما دخل فيه الناس وليس العكس بأي حال من الأحوال وهذا

مبرر كاف لقتلهم ومحاربتهم ومحاربة من ينحاز لهم إذا رفضوا الانصياع للفاسدين من بني أمية وبني العباس والهدف من هذا الطرح هو تنحيتهم وإخلاء الساحة منهم والاستعانة بمن جرى تسميتهم بعد ذلك بالفقهاء لملء الفراغ وتقديم ما يلزم من فقه ومفاهيم لتمشية أحوال الناس.

إنها الرؤية السفينية للنسبة المحمدية والتي سنذكرها بعد قليل والتي تلخص الأمر كله في كلمات أبي سفيان المنحطة (مثل محمد في بني هاشم كمثل الريحانة في وسط التين).

الأمثال في القرآن

لأن أغلب المفاهيم القرآنية عن النبوة والنور والكلمة والشجرة هي مصطلحات رمزية استخدمها رب العزة سبحانه في إيصال الرسالة لمن يرغب أو يقدر على الفهم دون غيرهم ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْمُتَكِبِينَ﴾ (١٣) فالأمر يحتاج إلى شرح وتفصيل لدلالة الأمثال في القرآن ومرة أخرى نرجع إلى الراغب الأصفهاني صاحب معجم المفردات في غريب القرآن.

يقول الأصفهاني:

أصل كلمة مثل هو المثل أي الانتصاب والممثل المصور على مثال غيره، يقال مثل الشيء أي انتصب وتصور ومنه قوله ﷺ «من أحب أن يتمثل له الناس وقوفاً فليتبوأ مقعده من النار» والتمثال الشيء المصور، قال تعالى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧).

والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابة ليعين أحدهما الآخر ويصوره....

وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُعَذِّبُكُم بِالْعِصْيَانِ إِنَّهُ مُبْغِضٌ إِلَيْكُمْ وَمَا يَعْزِيبُ عَنْهُ الشَّيْءُ فِي سَرِّهِمْ وَلَا يَشْفَعُ لَهُمْ إِيَّاكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ بَلْ هُمْ يُفْكَرُونَ﴾ وفي أخرى ﴿وَمَا يَقُولُهُمْ إِلَّا الْكَلِمُونَ﴾.

والمثل يقال على وجهين أحدهما بمعنى المثل نحو شبه وشبه وقد يعبر به عن وصف الشيء نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفِتْنَةِ أَلْتِي رُئِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ والثاني عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني وهو أعم الألفاظ الموضوعات للمشابهة.

فالتد يقال فيما يشارك في الجوهر فقط....

والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط....

والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط....

والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط....

والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله تعالى نفى التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوا كَمَثَلِ الْإِصْحَارِ يُحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ أي هم في جهلهم بمضمون حقائق التوراة كالحمار في جهله بما على ظهره من الأسفار.

وقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ فإنه سبحانه شبه من آتاه الله تعالى ضرباً من الهداية فأضاعه ولم يتوصل به إلى ما رشح له من نعيم الأبد بمن استوقد ناراً في ظلمة فلما أضاءت له ضيعها ونكس فعاد في الظلمة^(١). ا.هـ.

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني ص ٤٨١ - ٤٨٢. دار الكاتب العربي. بيروت ١٩٧٢.

إذا فالأمثال التي يضربها سبحانه للناس هي تصوير عام وشامل والاستدلال به على مراد الله يكون من خلال بعض المفاتيح الواردة في التمثيل القرآني .

والأمثال التي ضربها الله تعالى للناس في القرآن لا يلزم أن تكون مأخوذة من أرض الواقع أو من فعل العقلاء فهل هناك عاقل يفعل ما فعله الذي استوقد ناراً في صحراء مقفرة مظلمة وربما كانت هذه النيران ضرورة من ضروريات بقائه فإذا به يطفئها ويضيعها ليهلك ويهلك من معه ويُضِلُّ ويُضِلُّ من يمشي خلفه ۱۱؟ .

إنها تجسيد مادي لسلوك معنوي يومي لا ينتبه القوم لضرره ولا لآثاره المدمرة ولكنه سينعكس يوماً ما في أضرار مادية واقعية .

ولأننا نعتقد أن أهل البيت وخدمهم بهم يُسْتَعْلَى الْهَدَى، وَبِهِمْ يُسْتَجْلَى الْعَمَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ۱۲ ولأن أصدق ما يوصف به حال هذه الأمة قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الْإِنْسِيِّ اسْتَوقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَرَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ۱۳ فإننا نعتقد ونوقن أن معنى كلمة شجرة في المثلين السابقين هي شجرة النبوة والآل ﴿ذُرِّيَّةٌ مِنْهُمَا مِنْ بَعْضٍ﴾ ﴿زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ شاء من شاء وأبى من أبى ۱۱ أقر المفسرون أم لم يقرؤا ۱۱ .

ولأن هذه الأمثال لا يفهمها على وجهها إلا أولو الألباب العالمون أصحاب الإدراك المتجرد من الأهواء فنحن لا نرى مبرراً لتفسير آية سورة النور بأنها في (المؤمنين) عامة وحتى لو كان هذا صحيحاً ليس أهل بيت العصمة والنبوة هم أكمل المؤمنين إيماناً ۱۲ .

ليست بيوتهم بيوتاً ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُنْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُّوسِ وَالْإِصْحَالِ﴾ ۱۳ رجالاً لَا لِلَّهِمْ جَعْدَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ

الْصَّلَاةَ وَإِلَى الزَّكَاةِ بِخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿١٧﴾ ۝ ۱۱۹۹ .

ألم يلحظ هؤلاء السادة المفسرون أن الله تبارك وتعالى عندما تحدث عن جمهور المؤمنين المتواجدين في المسجد في سورة الجمعة قال ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ﴿١١﴾ في حين أنه عندما تحدث عن رجال الله في سورة النور قال ﴿لَّا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا﴾ ولم يأت على ذكر اللهو الجائر في حق غيرهم ممن كانوا في مسجد رسول الله ﷺ جالسين بين يديه فأهل الله المخلصين لا يجوز منهم التلهي بالتجارة أو بغير التجارة ولا يجوز عليهم اللهو واللغو وبالتالي فهم موثل النور وهم من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وغيرهم هو من يحتاج للاقتباس من هذا النور .

الفرصة الوحيدة لجمهور المؤمنين لاقتباس النور من نبع النور هي في الدنيا، أما في الآخرة وبعد أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً وبعد انتهاء المهلة الممنوحة لهؤلاء يأتي أهل النور بنورهم ويأتي أهل الظلمة بظلماتهم ﴿ظَلُمْتُكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا وَنَ لَّ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ ﴿٤٠﴾ [النور: ٤٠] ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ نَجْوَى مِن تَحِيَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ النُّورُ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لَئِذَا آمَنَّا أَنْظَرُونَا نَقْتَسِبْ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظُهُرُهُ مِن فَيْكِهِ الْمَذَابُ ﴿١٧﴾ يَتَادَوْنَهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفَقْتُمْ وَارْتَبَعْتُمْ وَغَرَضْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَضَكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٨﴾ قَالِيزَمْ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾ [الحديد ١٢ - ١٥] .

يومها يوم الحسرة والندامة عندما يرى المنافقون ما فيه إخوانهم

المؤمنون من نعيم النور الإلهي وكفى به عزاً وكرامة ونعيماً فيتسولون منهم قيساً من هذا النور لعله ينقذهم من تلك الظلمة القاتلة ظناً منهم أنهم (أي المؤمنین نظراً لتوجههم وتآلفهم) هم مصدر النور فيأتي الجواب ارجعوا وراءكم إلى مصدر النور فالتمسوا النور من أصله ومصدره فيحاولون التراجع أو الرجوع لالتماس النور فيوصد في وجههم باب الرحمة الذي كان مفتوحاً على مصراعيه أمامهم قبل أن تقع الواقعة وترجف الراجفة فينادون من يعرفون من إخوانهم المؤمنين الذين كانوا يعيشون معهم من قبل وهم كانوا من قبل منكبين لإيمانهم ومنهجهم في صرخة يائسة: ألم نكن معكم؟؟ فيأتي الجواب: ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَفَقْتُمْ بِالزَّيْنَةِ وَغَرَّكُمْ الْآمَانُ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿١٤﴾ فاليوم لا يقبل منكم أيها المنافقون المعرضون عن نور النبوة عذر ولا فدية وحالكم هو كحال الذين كفروا والنار مصير هؤلاء وهؤلاء وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب.

ما أسوأ حال هؤلاء الذين عرفوا الحق فأنكروه وحاربوه ﴿يَقْرُؤُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ وما أسوأ حالهم يوم الهول يوم تنكشف الحقائق ويتميز الحق من الباطل والنور من الظلمة.

الإمام علي يصف الشجرة المحمدية

(فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَانِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُظْهِرَاتِ الْأَرْحَامِ كُلَّمَا مَضَى سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بَدِيلٌ اللَّهُ خَلَفَ حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِينِ مَنِبَأً وَأَعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَساً مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءُهُ. عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثَرِ، وَأَسْرَتُهُ خَيْرُ الْأَسْرِ،

وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ؛ نَبَتْ فِي حَرَمٍ، وَنَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا قُرُوعٌ طَوَالٌ، وَتَمَرٌ لَا يَنَالُ).

(اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمَشَكَوَةِ الصُّبْيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمَةِ، وَنَيَابِيعِ الْحِكْمَةِ).
(أَسْرَتُهُ خَيْرُ أَسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُغْتَدِلَةٌ وَتِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ).

روى مسلم في (صحيحه):

- عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويبيد لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.
- عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم^(١).

ويروي أبو الفداء في تاريخه عن المطلب بن أبي وداعة قال جاء العباس إلى رسول الله ﷺ فكأنه سمع شيئاً (١٩) فقام النبي ﷺ على المنبر فقال من أنا؟ فقالوا أنت رسول الله عليك السلام قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً.

(١) صحيح مسلم ج ٧، ص ١٢٣٦. كتاب الجمهورية. ١٩٨٩. مصر.

أما هذا الذي قاله القوم فأغضب رسول الله ﷺ فيرويه أبو الفداء نقلاً عن الحافظ البيهقي بإسناد يرفعه إلى العباس عم النبي ﷺ .

قال: قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا التقوا لمقي بعضهم بعضاً بالبشاشة وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب رسول الله ﷺ عند ذلك غضباً شديداً ثم قال: (والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله) وذكر في موضع آخر عن ابن عمر رضيهما الله عنهما قال: إنا لنعوذ بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت به امرأة فقال بعض القوم: هذه بنت رسول الله ﷺ أي فاطمة الزهراء رضيها الله فقال أبو سفيان: مثل محمد في بني هاشم مثل الريحانة في وسط التن.

فانطلقت المرأة أي الزهراء فأخبرت النبي ﷺ فجاءه يعرف في وجهه الغضب فقال: ما بال أقوال تبلغني عن أقوام؟؟ إن الله خلق السماوات سبعا فاختار العلى منها فأسكنها من شاء من خلقه ثم خلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم واختار من بني آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم.

وعن عائشة رضيها الله قالت: قال رسول الله ﷺ قال لي جبرائيل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم^(١). انتهى النقل.

والشاهد أن الأساليب التي اتبعتها حركة النفاق قد تنوعت وكان

(١) المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء، ص ١٤٢، ج ١ الطبعة الأولى. دار المعارف المصرية. ١٩٩٨.

من بينها الطعن في نسب رسول الله ﷺ وفضله وشرفه توصلاً إلى تحقيق هدفها النهائي وهو إعادة الاستيلاء على الدنيا هذه المرة باسم الإسلام بعد أن جربوا في السابق إعلان الحرب الصريحة على الدين فلم يفلحوا في كسب معركة المواجهة المباشرة.

الرسول الأكرم سليل المجد والشرف

إنه أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هكذا تسير سلسلة الاصطفاء فالله سبحانه وتعالى اختار من العرب مضراً واختار من مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختار محمداً من بني هاشم.

والرواية لابن الأثير تقول في: هاشم بن عبد مناف جد بني هاشم: كان جد رسول الله ﷺ هو هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وكنيته أبو نضلة وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه.

قال ابن الكلبي: كان هاشم أكبر ولد عبد مناف والمطلب أصغرهم أمه عاتكة بنت مرة السلمية ونوفل وأمه واقدة وعبد شمس فسادوا كلهم وكان يقال لهم المجيرون.

وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم فأخذ لهم هاشم خيلاً من الروم وغسان بالشام وأخذ لهم عبد شمس خيلاً من النجاشي بالحبشة وأخذ لهم نوفل خيلاً من الأكاسرة بالعراق وأخذ لهم المطلب خيلاً من حمير باليمن فاختلفت قريش بهذا السبب إلى هذه النواحي فجبر الله بهم قريشاً.

وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة
فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع
هاشم فعمجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه
إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وجلال قدره فلم تدعه قريش حتى
نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية وجعلها
بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحنظل ومنزله بعسفان وكان
مع أمية مهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية فقال
الكاهن: والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من
طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية إلى
المآثر أول منه وآخر وأبو مهمة بذلك خابر.

فقضى لهاشم بالغلبة وأخذ هاشم الإبل فنحراها وأطعمها وغاب
أمية عن مكة بالشام عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم
وأمية.

وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما.

ومات هاشم بغزة وله عشرون سنة وقيل: خمس وعشرون سنة
وهو أول من مات من بني عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر
بأجياد.

وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب لصغر سن
ابنه عبد المطلب بن هاشم.

عبد المطلب بن هاشم:

إنه جد رسول الله ﷺ وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشمًا
شخص في تجارة إلى الشام فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن لبيد
الخزرجي من بني النجار فرأى ابنته سلمى فأعجبته فتزوجها.

وشرط أبوها أن لا تلد ولدًا إلا في أهلها ثم مضى هاشم لوجهه وعاد من الشام فبنى بها في أهلها ثم حملها إلى مكة فحملت فلما أنقلت ردها إلى أهلها ومضى إلى الشام فمات بغزة فولدت له عبد المطلب فمكث بالمدينة سبع سنين ثم إن رجلًا من بني الحارث بن عبد مناف مر بالمدينة فإذا غلمان يتضللون فجعل شيبة (عبد المطلب) إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء.

فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب وهو بالحجر: يا أبا الحارث تعلم أنني وجدت غلمانًا يثرب وفيهم ابن أخيك ولا يحسن ترك مثله فقال المطلب لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به فقدم المدينة عشاء فأخذه بإذن أمه وسار إلى مكة فقدمها ضحوة والناس في مجالسهم فجعلوا يقولون له: من هذا وراءك؟ فيقول: هذا عبدي. حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم. فقالت: من هذا الذي معك؟ قال: عبد لي.

واشترى له حلةً فلبسها ثم خرج به العشي فجلس إلى مجلس بني عبد مناف فأعلمهم أنه ابن أخيه فكان بعد ذلك يطوف بمكة فيقال: هذا عبد المطلب لقوله هذا عبدي ثم أوقفه المطلب على ملك أبيه فسلمه إليه.

فعرض له نوفل بن عبد مناف وهو عمه الآخر بعد موت المطلب فأخذ داراً له فمضى عبد المطلب إلى رجالات قريش وسألهم النصرة على عمه فقالوا له: ما ندخل بينك وبين عمك. فكتب إلى أخواله من بني النجار يصف لهم حاله فخرج أبو أسعد بن عدس النجاري في ثمانين راكبًا حتى أتى الأبطح فخرج عبد المطلب يتلقاه فقال له: المنزل يا خال! قال: حتى ألقى نوفلاً وأقبل حتى وقف على رأسه في الحجر مع مشايخ قريش فسل سيفه ثم قال: ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا داره أو لأملاّن منك السيف! قال: فإنني ورب هذه البنية أرد عليه

داره فأشهد عليه من حضر ثم قال لعبد المطلب: المنزل يا بن أختي.
فأقام عنده ثلاثًا فاعتمروا وانصرفوا.

فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف فدعا بشر بن عمرو وورقاء بن
فلان ورجالًا من رجالات خزاعة فحالفهم في الكعبة وكتبوا كتابًا.
وكانت له السقاية والرفادة وشرف في قومه وعظم شأنه ثم إنه حفر زمزم
وهي بئر إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام التي أسقاه الله وكان سبب حفره إياها
أنه قال: بينا أنا نائم بالحجر إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة. قال: قلت:
وما طيبة؟ قال: ثم ذهب فرجعت الغد إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني
فقال: احفر برة قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد
رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضمنة قال:
قلت: وما المضمنة؟ قال: فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى
مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم إنك إن حفرتها لا تندم
فقلت: وما زمزم؟ قال تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبدًا ولا تدم،
تسقي الحجيج الأعظم مثل نعم جافل لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم،
يكون ميراثًا وعقدًا محكمًا، ليس كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفرث
والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق، غدا
بمعه وله ابنه الحارث ليس له ولد غيره فحفر بين إساف ونائلة في
الموضع الذي تنحر فيه قريش لأصنامها وقد رأى الغراب ينقر هناك.

فلما بدا له الطوي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا
إليه فقالوا: إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقًا فأشركنا معك. قال:
ما أنا بفاعل هذا أمر خصصت به دونكم قالوا: فلما غير تاركيك حتى
نخاصمك فيها قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم قالوا: كاهنة بني

سعد بن هذيم وكانت بمشارف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه فظلموا حتى أيقنوا بالهلكة فطلبوا الماء ممن معهم من قريش فلم يسقوهم فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ فقالوا: رأينا تبعٌ لرأيك فمرنا بما شئت قال: فإنني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة فكلما مات واحد واره أصحابه حتى يكون آخركم موتاً قد وارى الجميع فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا: نعم ما رأيت ففعلوا ما أمرهم به.

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ونبتغي لأنفسنا لعجزاً فارتحلوا ومن معه من قبائل قريش ينظرون إليهم ثم ركب عبد المطلب فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عينٌ عذبة من ماء فكبر وكبر أصحابه وشربوا وملأوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فقال أصحابه: لا نسقيهم لأنهم لم يسقونا فلم يسمع منهم وقال: فنحن إذاً مثلهم! فجاء أولئك القرشيون فشربوا وملأوا أسقيتهم وقالوا: قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الغلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً فرجعوا إليه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها فلما فرغ من حفرها وجد الغزالين اللذين دفتتهما جرهم فيها وهما من ذهب ووجد فيها أسيافاً قلعية وأدراعاً.

فقال له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركٌ وحق. قال لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح. فقالوا: فكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين ولكم قدحين وله قدحين فمن

خرج قداحه على شيء أخذه ومن تخلف قداحه فلا شيء له قالوا:
أنصفت.

ففعّلوا ذلك وضربت القداح عند هبل فخرج قدحا الكعبة على
الغزاليين وخرج قدحا عبد المطلب على الأسياف والأدراع ولم يخرج
لقريش شيء من القداح فضرب عبد المطلب الأسياف بابًا للكعبة وجعل فيه
الغزاليين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وأقبل الناس
والحجاج على بئر زمزم تبرّكًا بها ورغبة فيها وأعرضوا عما سواها من
الآبار ولما رأى عبد المطلب تظاهر قريش عليه نذر الله تعالى: إن يرزقه
عشرة من الولدان يلبغون أن يمنعه ويذبوا عنه نحر أحدهم قريبًا لله تعالى.
وعبد المطلب أول من خضب بالوسمة وهو السواد لأن الشيب
أسرع إليه.

وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له أذينة يتجر وله مال كثير
فغاض ذلك حرب بن أمية وكان نديم عبد المطلب فأغرى به فتیانًا من
قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار
وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبي بكر رضي الله عنه فلم يعرف عبد
المطلب قاتليه فلم يزل يبحث حتى عرفهما وإذا هما قد استجارا
بحرب بن أمية فأتى حربًا ولأمه وطلبهما منه. فأخفاهما فتغالظا في القول
حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما فجعل بينهما
نفيل بن عبد العزى العدوي جد عمر بن الخطاب فقال لحرب: يا أبا
عمرو أتنافر رجلًا هو أطول منك قامة وأوسم وسامة وأعظم منك هامة
وأقل منك ملامة وأكثر منك ولدًا وأجزل منك صفدًا وأطول منك مددًا
وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب رفيع الصوت في العرب جلد
المريرة لحبل العشيرة ولكنك نافرت منفردًا فغضب حرب وقال: من
انتكاس الزمان أن جعلت حكمًا.

فترك عبد المطلب منادمة حرب ونادم عبد الله بن جدعان التيمي وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها إلى ابن عم اليهودي وارتجع ماله إلا شيئاً هلك فغرمه من ماله.

وهو أول من تحنث بحراء فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين وتوفي وله مائة وعشرون سنة وكان قد عمي^(١).

كما يروي ابن الجوزي في (المنتظم)^(٢):

حدثنا عبد العزيز بن عمران بن عبد الله عن جعفر عن أبي عون عن المسور بن مخرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: قال أبي عبد المطلب: خرجت إلى اليمن في رحلة الشتاء والصيف فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزبور فقال: يا عبد المطلب ائذن لي فأنظر في بعض جسدك فقلت:

انظر ما لم يكن عورة فنظر في منخري فقال أجد في أحد منخريك ملكاً وفي الأخرى نبوة فهل لك من ساعة قلت: وما الساعة؟ قال: الزوجة قلت: أما اليوم فلا قال: فإذا قدمت مكة فتزوج فقدم فتزوج هالة فولدت له حمزة وصفية وتزوج عبد الله آمنة فولدت له رسول الله ﷺ فكانت قريش تقول فلج عبد الله على أبيه.

منام رقيقة واستسقاء قريش برسول الله ﷺ :

روى ابن الجوزي في كتابه (المنتظم) من أخبار السنة الخامسة لمولده المبارك:

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٥٤٤ - ٥٦٨ / ١، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ٢/٢٠٤، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر الحافظ قالا :
أخبرنا طراد بن محمد قال : أخبرنا علي بن محمد بن بشران قال :
أخبرنا الحسن بن صفوان قال : حدثنا عبد الله بن محمد القرشي قال :
أخبرنا زكريا بن يحيى الطائي قال : حدثني زحر بن حصين عن جده
حميد قال : تحدث خزيمة بن نوفل عن أمه رقيقة ابنة صفى بن هاشم
قالت : تابعت على قريش سنون أقحلت الضرع وأدقت العظم فبينما أنا
نائمة اللهم أو مهمومة إذا هاتف يقول : يا معشر قريش إن هذا النبي
المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه وهذا إيان نجومه فحي هلا بالحيا
والخصب ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطاً عظاماً جسمًا أبيض بضًا
أوطف الأهداب سهل الخدين أشم العرنين له فخر يكظم عليه وسنة
تهدي إليه فليخلص هو وولده وليهبط إليه من كل بطن رجل فليسنوا من
الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستلموا الركن ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستق
الرجل وليؤمن القوم فغثم (من الغوث) ما شتم فأصبحت مذعورة وقد
اقشعر جلدي وولده عقلي واقتصصت رؤياي فوالحرمة والحرم ما بقي
أبطحي إلا قال : هذا شية الحمد (عبد المطلب).

فتنأمت إليه رجالات قريش فهبط إليه من كل بطن رجل فسنوا
ومسوا واستلموا ثم ارتقوا أبا قبيس وطبقوا جانيه فما يبلغ سعيهم مهلة
حتى إذا استوا بذروة الجبل قام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام
قد أيفع فقال «اللهم ساد الخلّة وكاشف الكربة أنت معلم غير معلم
ومسؤول غير مبخل وهؤلاء عبادك وإماؤك بغدرات حرمك يشكون إليك
ستهم أذهبت الخف والظلف اللهم فأمطرنا غيثاً مغدقاً مرعاً».

فورب الكعبة ما زالوا حتى تفجرت السماء بمائها واكتظ الوادي
بشجيجه فلمسعت شيخان قريش وجلتها : عبد الله بن جُدعان وحرب بن

أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب: هنيئًا لك أبا البطحاء أي: عاش بك أهل البطحاء.

وفي ذلك تقول رقيقة:

بشّية الحمد أسقى الله بلدتنا	لما فقدنا الحيا واجلوذ المطرُ
فجاد بالماء جؤني له سبل سحا	فعاشت به الأنعام والشجرُ
منا من الله بالميمون طائره	وخير من بشرت يومًا به مُضرُ
مبارك الأمر يُستسقى الغمام به	ما في الأنام له عدلٌ ولا خطر ^(١) .

بين عبد المطلب وأبرهة

يروى ابن الأثير في الكامل: إنّ الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير فلما صار الملك إلى أبرهة بنى كنيسة عظيمة وقصد أن يصرف حج العرب إليها ويبطل الكعبة الحرام فجاء شخص من العرب وأحدث في تلك الكنيسة فغضب أبرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً ليهدم الكعبة فلما وصل إلى الطائف بعث الأسود بن مقصود إلى مكة فساق أموال أهلها وأحضرها إلى أبرهة وأرسل أبرهة إلى قريش وقال لهم: لست أقصد الحرب بل جئت لأهدم الكعبة فقال عبد المطلب: والله ما نريد حربه هذا بيت الله فإن منع عنه فهو بيته وحرمه وإن خلا بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة إليه فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لأبرهة: هذا سيد قريش فأذن له وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله في حاجته فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له فقال أبرهة: إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبة التي هي دينك، فقال عبد المطلب: أنا

(١) ابن الجوزي، المتظم ٢٧٥، ٢/ السابق.

رب الأباعر فاطلبها ولليت رب يمنعه فأمر أبرهة برد أباعره عليه فأخذها عبد المطلب وانصرف إلى قريش ولما قارب أبرهة مكة وتهاياً لدخولها بقي كلما أقبل فيله مكة وكان اسم الفيل محموداً ينام ويرمي بنفسه إلى الأرض ولم يسر فإذا وجهه إلى غير مكة قام يهرول وبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فقدقتهم بها وهي مثل الحمص والعص فلم يصب أحداً منهم إلا هلك^(١).

كما روى الكليني في الكافي نفس الرواية بشيء من التفصيل عن أبي عبد الله عليه السلام (الصادق عليه السلام) قال: لما أن وجه صاحب الحبشة بالخيول ومعهم الفيل ليهدم البيت مروا بإبل لعبد المطلب فساقوها فبلغ ذلك عبد المطلب فأتى صاحب الحبشة فدخل الأذن فقال: هذا عبد المطلب بن هاشم قال: وما يشاء؟ قال الترجمان: جاء في إبل له ساقوها يسألك ردها فقال ملك الحبشة لأصحابه: هذا رئيس قوم وزعيمهم جئت إلى بيته الذي يعبد لأهدمه وهو يسألني إطلاق إبله أما لو سألتني الإمساك عن هدمه لفعلت ردوا عليه إبله فقال عبد المطلب لترجمانه ما قال لك الملك؟ فأخبره فقال عبد المطلب: أنا رب الإبل ولهذا البيت رب يمنعه فردت إليه إبله وانصرف عبد المطلب نحو منزله فمر بالفيل في منصرفه فقال للفيل: يا محمود فحرك الفيل رأسه فقال له أتدري لم جاؤوا بك؟ فقال الفيل برأسه لا فقال عبد المطلب جاؤوا بك لتهدم بيت ربك أفتراك فاعل ذلك؟ فقال برأسه لا!!.

فانصرف عبد المطلب إلى منزله فلما أصبحوا غدوا به لدخول الحرم فأبى وامتنع عليهم فقال عبد المطلب لبعض مواله عند ذلك: اعل

(١) ابن الأثير، مرجع سابق، ٣٤٢ - ٣٤٥/١.

الجبل فانظر ترى شيئاً؟ فقال: أرى سواداً من قبل البحر فقال له يصيبه بصرك أجمع؟ فقال له لا ولأوشك أن يصيب فلما أن قرب قال هو طير كثير ولا أعرفه يحمل كل طير في منقاره حصاة مثل حصاة الخذف أو دون حصاة الخذف فقال عبد المطلب ورب عبد المطلب ما تريد إلا القوم حتى لما صاروا فوق رؤوسهم أجمع ألقت الحصاة فوقعت كل حصاة على هامة رجل فخرجت من دبره فقتلته فما انفلت منهم إلا رجل واحد يخبر الناس فلما أن أخبرهم ألقت عليه حصاة فقتلته^(١).

عبد الله بن عبد المطلب

وكان عبد الله أصغر ولد أبيه فكان هو عبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف والزيير وعبد الكعبة عاتكة وأميمة وبيرة ولد عبد المطلب أمهم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عايد بن عمران بن مخزوم بن يقظة.

وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قریش العنت في حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى فلما بلغوا عشرة وعرف أنهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه.

ففعّلوا وأتوه بالقدح فدخلوا على هبل في جوف الكعبة وكان أعظم أصنامهم وهو على بثر يجمع فيه ما يهدى إلى الكعبة.

وكان عند هبل سبعة أقداح في كل قدح كتاب فقدح فيه العقل إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقدح السبعة وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه يضرب به فإن خرج نعم عملوا به وقدح فيه لا فإذا

(١) الكليني، الكافي، ٤٤٧، ١/.

أرادوا أمرًا ضربوا به فإذا خرج لا لم يعملوا ذلك الأمر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه. إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيث ما خرج عملوه به وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا أو ينكحوا جاريةً أو يدفنوا ميتًا أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور فأعطوه صاحب القداح الذي يضربها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه.

ثم يقولون لصاحب القداح: اضرب فيضرب فإن خرج عليه منكم كان وسيطًا وإن خرج عليه من غيركم كان حليفًا وإن خرج عليه شيء سوى هذا مما يعملون به فإن خرج نعم عملوا به وإن خرج لا أخروه عنهم ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

وقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه. وأخبره بنذره الذي نذر وكان عبد الله أصغر بني أبيه وأحبهم إليه. فلما أخذ صاحب القداح يضرب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم ضرب صاحب القداح فخرج قدح على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده ثم أقبل إلى إساف ونائلة وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما فقامت قريش من أنديتها فقالوا: ما تريد؟ قال: أذبحه فقالت قريش وبنيه: والله لا تذبحه أبدًا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل منا يأتي بابنه حتى يذبحه فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم: والله لا تذبحه حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنيه: لا تفعل وانطلق إلى كاهنة بالحجر فسلها فإن أمرتك بذبحة ذبحته فإن أمرتك بما لك وله فيه فرجٌ قبلته فانطلقوا إليها

وهي بخبير فقص عليها عبد المطلب خبره فقالت لهم: ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا عنها. ثم غدوا عليها فقالت لهم: نعم قد جاءني الخبر فكم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل وكانت كذلك. قالت: ارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشراً من الإبل واضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرج على صاحبكم فزيدوا عشراً حتى يرضى ربكم وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى أتوا مكة فلما أجمعوا لذلك قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل فخرجت القداح على عبد الله فزادوا عشراً فخرجت القداح على عبد الله فما برحوا يزيدون عشراً وتخرج القداح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل فقال من حضر: قد رضي ربك يا عبد المطلب فقال عبد المطلب: لا والله حتى أضرب ثلاث مرات فضربوا ثلاثاً فخرجت القداح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع.

تزويج عبد الله من آمنة بنت وهب

وأما تزويج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة ابنة وهب أم رسول الله ﷺ فإنه لما فرغ عبد المطلب من الإبل انصرف بابنه عبد الله فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو سيد بني زهرة فزوجه ابنته آمنة بنت وهب.

فدخل عبد الله عليها فحملت بمحمد ﷺ.

وقيل: إن عبد المطلب خرج بابنه عبد الله ليزوجه فمر به على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تبالة فرأت في وجهه نوراً وقالت له: يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل؟ فقال لها: أما الحرام فالعمات دونه والحل لا حل فاستبينه فكيف

بالأمر الذي تبغيه ثم قال لها: أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه فمضى
فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

فأقام عندهما ثلاثاً ثم انصرف.

موت والد الرسول عبد الله بن عبد المطلب:

أرسل عبد المطلب ابنه عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمرًا فمات
بالمدينة وقيل: بل كان في الشام فأقبل في غير قريش فنزل بالمدينة وهو
مريض فتوفي بها ودفن في دار النابغة الجعدي وله خمس وعشرون سنة
وقيل: ثمان وعشرون سنة وتوفي قبل أن يولد رسول الله ﷺ.

تعليق هام:

مما سبق يتبين لنا أن آباء الرسول الأكرم ﷺ كانوا أهل إيمان بالله
سبحانه ولجوء إليه فهي هو عبد المطلب يحفر بئر زمزم ليسقي حجاج
بيت الله الحرام وها هو يكبر عندما نجح الحفر وخرج الماء وها هي
السماء تتدخل لإنقاذه من الموت في الصحراء فتتفجر الينابيع من تحت
قدميه عندما خاصمه قومه ومنعوا منه الماء وها هي أخلاق النبوة تتجلى
عندما سقى من حرموه الماء قبلها بلحظات.

إنها أخلاقيات هاشمية رفيعة امتدت إلى عقبهم وعقب عقبهم وها
هو الإمام علي بن أبي طالب يرد على معاوية بن أبي سفيان قوله إنا جميعاً
من بني عبد مناف: وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ
أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَلَا
الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيحِ وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبِطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ
كَالْمُدْغِلِ، وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(١).

(١) نهج البلاغة، رسالة ١٧.

إنها نفس الأخلاقيات العلوية التي دفعت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للسماح للجيش الأموي أن يشرب من ماء الفرات بعد أن حاول أن يكرر ما فعله أسلافه من شائتي بني هاشم ومبغضهم لا بسبب جرم ارتكبه وإنما بسبب فضلهم وعلو مكانتهم ومساقتهم إلى فعل الخيرات مثلما ذكرنا في الصفحات السابقة.

لقد شكل المنبت الهاشمي علامة فارقة في نشأة الدوحة المحمدية السابقة ولذا نسمع الإمام علي بن أبي طالب يفاخر بهذا الأصل فيقول: **بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَبِنَا يُسْتَجْلَى الْعَمَى. إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَضْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَضْلُحُ الْوَلَاءُ مِنْ غَيْرِهِمْ^(١).**

أما موقف عبد المطلب جد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة أبرهة فيحتاج إلى وقفة تأمل في موقف صاحب هذا اليقين الراسخ الذي لم يلق الكلام على عواهنه عندما قال لأبرهة (إن للبيت رباً يحميه) فهو رضوان الله عليه كان في موقف العارف الواصل الموقن بنصر الله لدينه وحفظ الله لأول ﴿يَتَرُكُ النَّاسَ لِلَّهِ يَكْفَى مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْمَلَكِينَ﴾^(٢).

ولذا فنحن لا نرى غرابة ولا عجباً فيما رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة وحده عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك) فمثل هذا الموقف الذي وقفه عبد المطلب من عدو الله أبرهة خليف أن يرفعه إلى هذه المنزلة وما ذلك على الله بعزيز.

(١) السابق، خطبة ٤٤.

النبوة والاصطفاء

يقول الإمام علي بن أبي طالب: وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ الرُّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ^(١).

ويقول: اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضُّبَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمَةِ، وَيَتَابِيعِ الْحِكْمَةِ^(٢).

وايضاً: نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحْطُ الرُّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادُنُ الْعِلْمِ، وَيَتَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُجِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السُّطُورَةَ^(٣).

وقوله: حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ شَهِيداً وَبَشِيراً، وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، أَظْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً^(٤).

والديمة هو المطر الذي لا رعد فيه ولا برق

معنى الاصطفاء:

يقول الراغب الأصفهاني في غريب القرآن: أصل الصفاء خلوص

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

(٢) السابق، ١٠٧.

(٣) السابق، ١٠٨.

(٤) السابق، ١٠٧.

الشيء من الشوائب من الصفا للحجارة الصافية ﴿إِنَّ الْأَمَمَاءَ وَالْمَرَوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ﴾ والاصطفاء تناول صفو الشيء كما أن الاختيار تناول خيره والاجتناء تناول جبايته واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود في غيره وقد يكون باختياره وبحكمه .

النبوة كما قدمها لنا الإمام في خطبة شجرة وذرية بعضها من بعض وأن لا شيء في هذا الكون يجري بمحض الصدقة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الفصل ٦٨] .

النبوة شجرة يجري الاصطفاء والانتقاء منها إذ ليس كل من التصق بهذه الشجرة صار مستحقاً لهذا الاصطفاء كما أنه من البديهي أن ليس كل ثمار الشجرة الواحدة سواء وهذا معنى قول الإمام في وصف رسول الله ﷺ اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَشْكَاؤُ الضَّيَاءِ، وَذُرَابُو الْعُلَيَاءِ، وَسُرَّةُ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ أي أنه اختار من اختيار واصطفاء من بين المصطفين الأبرار .

وهذا أيضاً معنى قوله تعالى في سورة فاطر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْذِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ وقوله تعالى في سورة الصافات ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَٰلِكَ يُخَوِّى الْمُحْسِنِينَ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٩ - ١١٣﴾ .

وربما أشكل البعض على قاعدة الاصطفاء بالقول إن أبا لهب كان عمّاً لرسول الله والبعض الآخر يفتش عن الروايات الموضوعة زاعماً أن أبوي الرسول الأكرم كانا من الكافرين ولا شك أن هذا المنحى يكشف عن خبايا تلك النفوس المريضة حتى لقد حدثني أحدهم عن رسالة

(علمية وهابية) سعت لإثبات فرية كفر أبوي رسول الله ﷺ وهو ما لا نستغرب منه حيث حفلت كتب القوم بالكثير من هذه الترهات ولا شك أن ما عرضناه سابقاً عن تاريخ آباء الرسول وأجداده يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنهم كانوا على الحنيفية الإبراهيمية وأنهم كانوا أبعد ما يكونون عن حالة الجاهلية السائدة في تلك الفترة.

يزيدنا الإمام علي بن أبي طالب إيضاحاً لهذا الأمر عندما يقرر أن اختيار رسول الله ﷺ لم يقتصر على كونه من شجرة الأنبياء فهو ﷺ أيضاً من (مَشْكَاةِ الضِّيَاءِ وَذُرَابَةِ الْعُلَيَاءِ وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمَةِ، وَنَبَايِعِ الْحِكْمَةِ).

ولا شك أن هذا الاصطفاء الإلهي والترقي الإنساني في سلم المجد الرباني كان ولا زال ناراً تحرق قلوب الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ لِيُؤْتُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَأَمَّا آلُ لُوطٍ فَأَنهَضْنَاهُمْ أَهْلَهُمْ يَجِئُونَ آلَ لُوطٍ مِنْ دُونِهِمْ لِأَصْحَابِ لُوطٍ لَئِنْ لَمْ يَرْجِعُوا وَتَوَقَّعُوا يَوْمَهُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ آلُ لُوطٍ نَارًا فَاحِشًا لِمَ كَانُوا فِي يَوْمٍ ذَلِكَ خَالِئِينَ مِنْ آلِهِمْ وَآلِ لُوطٍ وَأَنَّهُمْ فِي شَكٍّ ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٤ - ٥٥] ، ولا شك أن نار الحقد والحسد تحرق صاحبها في الدنيا إلى أن تلحقه بنار جهنم ليخلد فيها مهاناً.

خطبة الإمام الصادق

يروى الكليني في الكافي : عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال النبي والأئمة عليهم السلام وصفاتهم: قال: فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله ﷺ في حومة العز مولده وفي دومة الكرم محتده غير مشوب حسبه ولا ممزوج نسبه ولا

مجهول عند أهل العلم صفته بشرت به الأنبياء في كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها وتأملته الحكماء بوصفها مذهب لا يداني، هاشمي لا يوازي، أبطحي لا يسامي، شيمته الحياء وطبيعته السخاء، مجبول على أخلاق النبوة إلى أن انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها وجرى بأمر الله القضاء فيه إلى نهايتها، أذاه محتوم قضاء الله إلى غايتها، تبشر به كل أمة من بعدها ويدفعه كل أب إلى أب من ظهر إلى ظهر، لم يخلطه في عنصره سفاح ولم ينجسه في ولادته نكاح من لدن آدم إلى أبيه عبد الله في خير فرقة وأكرم سبط وأمنع رهط وأكلأ حمل وأودع حجر، اصطفاه الله وارتضاه واجتباها وآتاه من العلم مفاتيحه، ومن الحكم ينابيعه، ابتعثه رحمة للعباد وربيعاً للبلاد، وأنزل الله إليه الكتاب فيه البيان والتبيان قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون، قد بينه للناس ونهجه بعلم قد فصله ودين قد أوضحه وفرائض قد أوجبها وحدود حدها للناس وبينها وأمر قد كشفها لخلقها وأعلنها فيها دلالة إلى النجاة ومعالم تدعو إلى هداها، فبلغ رسول الله ﷺ ما أرسل به وصدع بما أمر وأدى ما حمل من أثقال النبوة وصبر لربه وجاهد في سبيله ونصح لأمته ودعاهم إلى النجاة وحثهم على الذكر ودلهم على سبيل الهدى بمناهج ودواع أسس للعباد أساسها ومنار رفع لهم أعلامها كيلا يضلوا من بعده وكان بهم رؤوفاً رحيماً^(١).

كما يروي أيضاً: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول إنني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك فالصلب صلب أهلك عبد الله بن عبد المطلب والبطن الذي حملك آمنة بنت وهب وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب. وفي رواية ابن فضال وفاطمة بنت أسد.

(١) الكليني، مرجع سابق، ١/٤٤٤

وعنه أيضاً قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة عليه
سيماء الأنبياء وهيبة الملوك^(١).

الاصطفاء يوهل ذرية الأنبياء لحمل الرسالة والملك والحكمة وهذا
معنى قوله تعالى في سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يَصْعَدُونَ فِيهِ الْكَوْكَبُ ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٤].

أما في سورة الأنعام فيقول سبحانه: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتُهُمْ وَالْأَخْوِيَّاتُ
وَالْأَخَوَاتُ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْأَنْبِيَاءُ
فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ فَبْهِدْهُمْ أَقْبَدُ قُلْ لَا تَمْلِكُ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام ٨٧ - ٩٠].

الآية تنبهنا إلى أن الاصطفاء ليس محصوراً فيمن وردت أسماءهم
وحسب بل تقول ﴿وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتُهُمْ وَالْأَخْوِيَّاتُ﴾ وهي نظير قوله تعالى:
﴿ذُرِّيَّةً بِضْعًا مِنْ بَعْضٍ﴾ والمعنى أن حمل الكتاب والحكم والحكمة
والنبوة ليست بالمهام التي يمكن لأي عابر سبيل أن يضطلع بها ومن
باب أولى ليست من المهام التي يمكن للأمة أن تختار من يصلح للقيام
بها فالآيات تسند هذا العمل لله رب العالمين (اجتبيناهم، هديناهم، إن
الله اصطفى) وهكذا يمكننا أن نلخص قاعدة الاصطفاء فيما يلي:

١ - أن الله تبارك وتعالى هو الذي يصطفي وليس البشر أو الظروف
والملايسات.

٢ - إن دائرة الاصطفاء معلومة ومقررة ومعلنة للناس أجمعين منذ بدء

(١) الكليني، مرجع سابق، ١/٤٤٧.

إرسال الرسل والأنبياء وليس فيها سرية ولا لبس ولا اشتباه كما أنها ليست على المشاع لعموم الناس إنها محصورة في الذرية والآل (ذرية بعضها من بعض).

٣ - أن الواردة أسماؤهم في كتاب الله ﷻ من الأنبياء والمرسلين هم عناوين رئيسية وليسوا كل من اصطفاهم الله ﷻ.

٤ - أن هذا الاصطفاء هو المؤهل الأول الذي يؤهل الذرية والآل لحمل الكتاب والنبوة والحكمة والإمامة كل حسب الدور الموكل إليه من الله ﷻ.

٥ - أن هذا الاصطفاء ليس اختياراً عشوائياً بل هو تدبير إلهي محكم يُصنع فيه النبي أو الرسول أو الإمام على عين الله ويهيأ لأداء مهمته الربانية في الزمان والمكان اللذين تختارهما العناية الإلهية ومن هنا فلا مجال للصدفة في هذا التقدير سواء فيما يتعلق بالأب أو بالأم التي لا بد من مطابقتها للمواصفات الرسالية المقررة والموضوعة بدقة وعناية من لدن حكيم عليم وهنا تبرز الأهمية المطلقة لدور الأم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَنْحَامَ﴾ ذلك الرحم أو التربة التي ينمو فيها الجنين تسعة أشهر ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

دوائر الاصطفاء:

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَحَمَلْنَا فِي دُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِثْنَهُمُ ثَمَرَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الحديد ٣٦].

إذا فهناك دائرة محدودة يجري فيها تداول النبوة والكتاب والمهام الإلهية الجسام أي أن هناك اصطفاء واختيار داخل دائرة الاصطفاء الأصلية وإلا صار أبناء الأنبياء كلهم رسلاً أو أنبياء.

الرسالات السماوية والاصطفاء: تسليم وتسلم

يعرف الجميع أن أي نبي من الأنبياء لا بد أن يضع رسالته في أيد أمينة قبل أن يرحل عن هذه الدنيا وأن هذه المهمة مهمة التسليم والتسلم لا بد أن تتم قبل رحيل هذا النبي وإذا كان البشر العاديون يحسون بدنو الأجل ويوصون إلى أبنائهم بما ينبغي عليهم القيام به في أموالهم فما بالك بأهل الله الذين اصطفاهم واختارهم لهداية العالمين ولم يفارقهم بتسديده وإرشاده لهم طرفة عين حتى وهم في النار كنبى الله إبراهيم عليه السلام وها هو خليل الله إبراهيم بعد أن أتم الله عليه النعمة وبلغ مرحلة الكمال في المعية الإلهية يخاطبه ربه ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ دُرِّيَّتٍ قَالَ لَا يَتَّخِذُ الْفَالِغِينَ﴾ [البقرة ١٢٤] وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَنَا وَاعِظُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلٍّ وَعِصْيَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَنَّهُمْ بَنَىٰ لِلْعَالَمِينَ وَالْمَكِينِ وَالرُّكَّعِ الشُّجُودِ﴾ [البقرة ١٢٥] وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَفِي السَّعِيرِ﴾ [البقرة ١٢٦] وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة ١٢٧] رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٢٨] رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة ١٢٩] وَمَنْ يَرْغَبُ

عَنْ يَلَدِهِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤ - ١٣٠].

إنه الاهتمام بشأن الأمة على يد الأنبياء والأئمة ﴿...بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ كما أنه الاهتمام بتطهير الأرض والمكان لعبادة الرحمن ﴿وَلَا جَمَلًا لِّبَيْتٍ مَّثَابَةٌ لِّلنَّاسِ وَأَنَاْ وَآلِهٖمُ الْوَاقِعُونَ﴾ وَإِبْرَاهِيمَ مِمَّنْ بَنَیَ السَّمْعَاءَ وَالْمَعْرُوفَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَىٰ ابْنَهُ الْوَسْطَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِّنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَنُفْسُ ٱلصَّامِتِ ﴿١٢٥﴾ إِلَّا أَن هَٰذَا يَجْرِي بِوَسْطَةِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي بَدَأَ رَحْلَةَ حَمَلِ ٱلْأَمَانَةِ وَهُوَ مَا زَالَ فِي كَنَفِ أَبِيهِ نَبِيِ ٱللَّهِ إِبْرَاهِيمَ وَأَكْرَمَ بِهِمَا مِنَ ٱلْوَالِدِ وَوَلَدٍ إِلَّا أَن كُلَّ هَٰذَا يَجْرِي فِي إِطَارِ مَنْظُومَةِ ٱلْإِصْطِفَاءِ ٱلْإِلَهِيِّ فَقَبْلَ أَن يَنْزِلَ ٱلْمَوْتُ بِإِبْرَاهِيمَ يَوْصِي ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ بِحَمَلِ ٱلْأَمَانَةِ ٱلنَّبَوَةِ وَٱلرَّسَالَةِ وَمُتَرَتِّبَاتِهَا مِنْ حِفْظِ ٱلْأُمَّةِ وَحِفْظِ ٱلْبِلَادِ وَرِعَايَةِ ٱلْعِبَادِ بِتَعْلِيمِهِمْ مَنَاسِكِهِمْ وَقَوَاعِدَ دِينِهِمْ وَكَيْفِيَّةَ إِقَامَةِ شَعَائِرِهِمْ وَإِعْدَادِ بَيْتِ ٱللَّهِ ٱلْحَرَامِ لِيَكُونَ مَلَاذًا لِّلْعَابِدِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسَّجُودِ ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَیْ إِنَّ ٱللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ ٱلَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾ [البقرة: ١٣٢ - ١٣٣].

الاصطفاء ليس نوعاً من التلليل

ابتليت البشرية بهذا الصنف الرديء من المجادلين الذين لا يرون في المسؤولية إلا التشريف والاستعلاء على الخلق بينما يقول لنا القرآن الكريم غير هذا تماماً وهو أن الاصطفاء مكانة يتلوها مكانة وأن هذه

وتلك لا تتحقق إلا باجتياز سلسلة من الاختبارات والابتلاءات التي لا يطيقها ولا يقدر على اجتيازها إلا المصطفون الأخيار.

الاصطفاء في سورة الصافات

خذ عندك ذلك النموذج العجيب من سورة الصافات التي تحكي قصة إبراهيم عليه السلام ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَبِّحِينَ﴾ ١١١ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٢ فَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١١٣ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَازِلِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ١١٤ قَالَ يَكُونُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ١١٥ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١١٦ وَتَذَكَّرْتَهُ أَنْ يُتَابِعَهُ ١١٧ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كُنَّا نَمْنَىٰ الصَّالِحِينَ ١١٨ إِنَّكَ هَلْوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ١١٩ وَتَذَكَّرْتَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ ١٢٠ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ١٢١ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١٢٢ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٢٣ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٢٤ وَنَشَرْنَاهُ إِسْحَاقَ يَبْنَؤُنِي ١٢٥ الصَّالِحِينَ ١٢٦﴾ [الصافات: ٩٩ - ١١٣].

إنها قمة الامتثال للأمر الإلهي ولو كان أمراً بذبح الولد العزيز الغالي الذي جاء إلى الدنيا بعد طول ترقب وانتظار وتوسل إلى الله ورجاء فكانت عاقبة النجاح في هذا الاختبار مزيداً من المكانة والرفعة بل وامتداد الاصطفاء في العقب والذرية والآل ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ١٢١ مكافأة له على اجتيازه اختبار البلاء المبين.

ثم يتكرر نفس السياق مع آل محمد حينما يقول تبارك وتعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ ١٢٥ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٢٦﴾ [١٣٠ - ١٣١].

ثم يتوجه الخطاب القرآني لمعاندي الاختيار والاصطفاء الإلهي العادلين اختيارهم باختيار الله عالم السر وأخفى المعرضين عن طاعة أولياء الله ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ١٢٧ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٢٨ لَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ١٢٩

قَالُوا بِكَيِّكُزْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴿١٥٤ - ١٥٦﴾ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٧﴾
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴿١٥٨﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٥٩﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاعِلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا مَنْ
 هُوَ صَالٍ لِلْحَيِّمِ ﴿١٦١﴾ وَمَا يَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
 الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٤﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٥﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٦﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ
 الْمَخْلَصِينَ ﴿١٦٧﴾ فَكُفِّرُوا بِهِمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَتُنَا لِإِِبَادِنَا الرُّسُلِينَ ﴿١٦٩﴾
 إِنَّهُمْ لَكُنْتُمْ الْمَتُورُونَ ﴿١٧٠﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧١﴾ ﴿١٥٩ - ١٧٣﴾.

عباد الله المخلصين هم حججه على عباده وأماؤه في بلاده الذين
 اصطفاهم الله وهم من جاء على لسانهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ أي أننا
 نحن الصافون أقدامهم لعبادة الله المصطفون من دون العالمين على علم
 إلهي سبق خلق الأكوان وجعل لكل منا مقاماً معلوماً.

روى القمي في تفسير سورة الصافات قال: حدثنا محمد بن جعفر
 قال حدثنا عبد الله بن محمد بن خالد عن العباس بن عامر عن الربيع بن
 محمد عن يحيى بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول ﴿وَمَا يَنَّا
 إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ قال نزلت في الأئمة والأوصياء من آل محمد عليه السلام
 وحدثنا أحمد بن محمد الشيباني قال حدثنا محمد بن أحمد بن بويه قال
 حدثنا محمد بن سليمان قال حدثنا أحمد بن محمد الشيباني قال حدثنا
 عبد الله بن محمد التفليسي عن الحسن بن محبوب عن صالح بن رزين
 عن شهاب بن عبد ربه قال سمعت الصادق عليه السلام يقول: يا شهاب نحن
 شجرة النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ونحن عهد الله وذمته
 ونحن ودائع الله وحجته كنا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبح فيسبح أهل
 السماء بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبحنا فسبح أهل الأرض
 بتسبيحنا، وإنا نحن الصافون وإنا نحن المسبحون فمن وفى بزمنا فقد
 وفى بعهد الله عليه وذمته ومن خفر ذمنا فقد خفر ذمة الله عليه وعهده^(١).

(١) علي بن ابراهيم القمي، مرجع سابق، ٢/٢٢٧.

وتعطينا سورة الأنبياء وجهاً آخر من وجوه الاصطفاء الإلهي
 [الأنبياء ٢٦ - ٢٩] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾
 لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
 وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء ٢٦ -
 ٢٩] ﴿قُلِ لِّلْعَالَمِينَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ۚ سَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ الَّذِي اَصْطَفَىٰ ۚ مَالَهُ خَيْرٌ مِّمَّا
 يَشْرِكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل ٥٩].

وتحكي سورة الأنبياء أيضاً عن الاصطفاء الإبراهيمي ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ
 إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۚ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء ٧٢ - ٧٣]، ولا
 شك أن هذه المنزلة التي بلغها إبراهيم وآل إبراهيم جاءت بسبب
 نجاحهم في اختبار الاصطفاء الإلهي وهو عين ما حدث مع أولياء الله
 الصالحين من قوم موسى ﷺ الذين ابتلاهم الله فصبروا وتحملوا
 وصمدوا ﴿وَلَقَدْ مَآئِنَا مُؤَمَّى ۚ اَلْكُتَبَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ۚ وَجَعَلْنَاهُ
 هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا
 بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [السجدة ٢٣ - ٢٤].

بنو هاشم الممهّدون للنبوّة

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف النبي: ابْتَعَثَهُ
بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَابْرَهْمَانَ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ
الْهَادِي. أَسْرَتْهُ خَيْرُ أَسْرَةٍ، وَشَجَرَتْهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا
مُتَهَدِلَةٌ. مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجَرَتْهُ بِطَيْبَةَ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ.
أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ. أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ
الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَنْصُولَةَ. فَ
(مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا) تَتَحَقَّقُ شِفَاؤُهُ، وَتَنْفَضُّ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمُ
كِبْرَتُهُ، وَيَكُنْ مَأْتَهُ إِلَى الْحُزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ
رَغْبَتِهِ^(١).

كما يقول عليه السلام في رسالته لمعاوية:

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَاخَ أَضْلَانَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا
بِنَا الْإِفَاعِيلَ، وَمَنْعُونَا الْعَذْبَ، وَأَخْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ
وَعَرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوَزَتِهِ،
وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنْ

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٦١.

الأصل، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةً تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمِنَ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اخْتَرَّ النَّبَأَ، وَأَحْجَمَ النَّاسَ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ أَجَالَهُمْ عُجِلْتُ، مَنِئْتُهُ أُجِلْتُ. فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقَرَّنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تُكُنْ لَهُ كَسَائِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَطُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

وَأَمَّا مَا سَأَلْتُ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ وَلَعَمْرِي لَيْتَ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ عَيْكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفْتَهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يَكْلُفُونَكَ طَلَبُهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ يَسُوءُكَ وَجَدَانُهُ، وَزَوَّرَ لَا يَسْرُكَ لُفْيَانُهُ، وَالسَّلَامُ لَاهِلِهِ^(١).

كما يقول ﷺ في رسالة أخرى: وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَلِإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَلِإِلَى النَّارِ.

وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرُّجَالِ، فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَخْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.

(١) السابق، رسالة رقم ٩.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ
كَهَاشِمٍ وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا
الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبِطِلِ، وَلَا
الْمُؤْمِنُ كَالْمُذْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.
وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا
الدُّلِيلَ.

وَلَمَّا أَذْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا
وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينٍ فَازَ
أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ.
فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا
وَالسَّلَامُ^(١).

(١) السابق، رسالة رقم ١٧.

إسلام أبي طالب

تصحيح الموازين أم قلبها؟؟

خلافاً للحرب الكلامية الدائرة حول مكانة أهل بيت النبوة من ذرية رسول الله ﷺ وإمامتهم للدين فإن هذه الكلمات العلوية تنبه إلى وجه آخر من وجوه المعركة التي ما تزال دائرة بين فريقين يتواجهان الآن داخل دائرة الانتماء للإسلام في معركة خلط المفاهيم ومزج الحق بالباطل تارة وإعلاء كلمة الباطل ورموزه على كلمة الحق ورموزه.

ورغم أن أمية لم يكن يوماً (كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالتليق ولا الصريح كالصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمذغل) إلا أن جمهورنا المنتسب للإسلام ما زال عاجزاً عن التمييز بين هؤلاء بل ويرى أن الكل سواء وأن الأسود كالأبيض بل ويرى الأبيض أسود والأسود أبيض والمجرم المنافق مؤمناً ويرى أبا طالب رأس المدافعين عن عقيدة التوحيد كافراً أبا أن ينطق بكلمة التوحيد خوفاً على نفسه من مسبة قومه كما يزعمون ويرى في نفس الوقت أن أبا سفيان بن حرب عدو الله وعدو رسوله قد أسلم وحسن إسلامه بل وصار سيدنا أبو سفيان!!.

لماذا يصبر القوم على إثبات كفر أبي طالب عم رسول الله ﷺ وكافله والمدافع عنه وعن الإسلام والذي لولا تضحيته وجهاده ما رفعت

للإسلام راية وما قامت له قائمة وتضمنينها في المقررات الدراسية وتكريسها في إطار المبادئ الأساسية التي يتعلمها الأبناء وربما يجد فيها أي مفكر لولبي دليلاً على المساواة في الإسلام أو على أي شيء في الإسلام!!.

المسألة من وجهة نظرنا أبعد بكثير من كونها دفاعاً عن شخصية فذة لعبت الدور الأكبر بعد النبي محمد ﷺ في إيصال كلمة التوحيد إلى الدنيا بأسرها بل هو موقف يتعين علينا وقوفه في مواجهة اغتيال العقل والضمير الإسلامي الذي نشأ وتربى على تلك الأهازيج والمدائح التي تهدف أول ما تهدف إلى تشكيل عقل وضمير إسلامي هجين أشبه ما يكون بقطعة من العجين التي يمكن تشكيلها وفقاً لرغبة وأهواء الإعلام الأموي المتسلط على عقول المسلمين من يومها إلى يومنا هذا ولكن أبدأ ليس إلى يوم الدين.

إنه عقل وضمير لا يميز بين أي ممن ذكرهم الإمام سابقاً ولا بين أي من أطراف تلك المعركة الدائرة إلى يومنا هذا حول حقيقة الإسلام وكيف يمكن تجسيد مفاهيمه الأخلاقية الرسالية تجسيداً صحيحاً.

إنه عقل وضمير لا يختلف كثيراً عن ضمير بني إسرائيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها فأصبحوا هم وحميرهم سواء بسواء.

تخيل أن رواية واحدة يرويها البخاري عن نزول الوحي أو عن موت أبي طالب رضوان الله عليه تحولت لتصبح مسلمة تاريخية بديهة لا تقل قوة عن مسلمة طلوع الشمس من المشرق وغروبها في المغرب بل وأصبحت عقيدة دينية من ثوابت الأمة الإسلامية ويعد التشكيك فيها جريمة تمس أمن الدولة!!.

يقول ابن الجوزي في المنتظم: توفي أبو طالب للنصف من شوال

في السنة العاشرة للنبوّة وهو ابن بضع وثمانين سنة^(١).

رواية الإعلام السفيفاني

ولما مرض أبو طالب دخل عليه رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام حيث يروي ابن الجوزي في المنتظم: عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده عبد الله بن أبي أمية وأبا جهل بن هشام فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المقلب قال: فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول: «يا عم قل: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» ويقولان له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المقلب حتى قال آخر كلمة تكلم بها: أنا على ملة عبد المطلب ثم مات فقال رسول الله ﷺ: لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنَا عَنْكَ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ رسول الله ﷺ بعد موته حتى نزلت هذه الآية ﴿مَّا كَانَتْ لِلنَّاسِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكِبَرِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣].

قال محمد بن عمر: وحدثني محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه عن عبد الله بن ثعلبة بن صُغير العُدريّ قال: قال أبو طالب: يا ابن أخي واللّه لولا رَهْبَةٌ أَنْ تقول قريش: دهرني الجَرْع فتكون سبة عليك وعلى بني أبيك لفعلت الذي تقول وأقررت عينك لما أرى من شكرك ووجدك ونصيحتك لي ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد أو ما اتبعتم أمره فاتبعوه

(١) ابن الجوزي، مرجع سابق، ٨ - ٣/١٠.

وأعينوه تَرُشِدُوا فقال أبو طالب: أما إنك لو سألتني الكلمة وأنا صحيح لتابعنك على الذي تقول ولكنني أكره أن أجزع عند الموت فترى قريش أنني أخذتها جَزَعًا ورددتها في صحتي قال وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أيامًا ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريل ﷺ بهذه الآية^(١) .

الروايات التي تحدثت عن موت أبي طالب عليه رضوان الله فيها الكثير من الخلل والاضطراب ويكفي أن يكون الراوي مجهولاً فهو تارة (سعيد بن المسيب عن أبيه) وتارة أخرى أبي هريرة الذي أسلم يوم فتح خيبر بعد هذه الواقعة بزمان، إلا أن الأخطر من كل هذا أن (المؤلف) الذي التقط الآية وركب عليها حديثاً عن رسول الله وإن شئت أن تكون أكثر دقة قلت (على) رسول الله، فاته أن المسلمين وإن اختلفوا حول (كفر أبي طالب) من عدمه لم يختلفوا على أنه كان الناصر الأول لرسول الله ولدين الله فكيف يمكننا أن نصدق أن رسول الله تبيين له بعد كل هذا الزمان أنه (عدو لله) فترا منه؟؟!!! .

ما هو وجه المقارنة بين أبي إبراهيم وأبي طالب عليه رضوان الله ورحمته؟؟ .

التاريخ المتواتر والمؤكد الذي رواه الجميع يثبت دور أبي طالب البطولي في الذب عن رسول الله وعن دعوته عكس ما فعله أبو إبراهيم وهو ما ذكره القرآن في سورة مريم: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ يَكَادِبُ عَلَىٰ أَخَاكَ أَنْ يَسَسَّكَ ۖ عَادَىٰ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۚ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ تَتَنَبَّأْ لِأَهْلِيكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَأَنْتَ عَدُوٌّ لَهُمْ لَيُنَّ رَجِئُكَ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّذِيقًا ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي شَفْعَا ۖ وَأَعِزَّلَكُمْ وَمَآ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَاقًّا ۖ﴾ [مريم ٤١ - ٤٨]

(١) ابن الجوزي، نفس المصدر، ٨ - ٣/١٠ .

أي أن أبا إبراهيم قام بطرده ولم يؤزره ولم ينصره بل وهدده بالرجم والقتل ومع ذلك قال له إبراهيم ﷺ سأستغفر لك ربي فهل كان هذا هو موقف أبي طالب رضوان الله عليه؟؟ .

الجواب معلوم.. فقد كان أبو إبراهيم عدواً لله وكان أبو طالب ناصراً لأولياء الله ولرسول الله فما هو وجه المقارنة أو المقاربة بين الحالين؟؟ .

بعض المواقف الرسالية الصلبة لأبي طالب عليه السلام

خطبة أبي طالب في تزويج محمد من خديجة

ألم يكن ابن الجوزي نفسه هو من روى خطبة أبي طالب في تزويج محمد ﷺ من خديجة بنت خويلد التي قال فيها: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مُضر وجعلنا حضنة بيته وسؤاس حرمه وجعل لنا بيتًا محجوبًا وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمرٌ حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي وهو والله بعد هذا له نيا عظيم وخطر جليل.

فما هو يا ترى هذا الشأن الخطير الذي كان أبو طالب يعرفه ويتوقعه بل ويتظره؟؟ أليس هو النبوة؟!.

مواقف أبي طالب دفاعاً عن الإسلام

يروى ابن هشام في سيرته نقلاً عن ابن إسحاق :

فلما بادی رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون، وحذب على رسول الله ﷺ عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره لا يرده عنه شيء.

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبرهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فلما أن تكفه عنا ولما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها فتذمروا منه وحض بعضهم بعضاً عليه.

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وإنا قد استنهناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه.

وذكر ابن إسحاق أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة

بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا بن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له فابقي علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه أن يخذله ويسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال: فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم قام رسول الله ﷺ فبكى فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: اقبل يا بن أخي فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله فخذة فلك عقله ونصره واتخذه ولداً فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل برجل فقال والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكُم ابني تقتلونهُ! هذا والله ما لا يكون أبداً.

فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً فقال أبو طالب للمطعم والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك فحميت الحرب وتنازعت القوم وبأدى بعضهم بعضاً بالعداء^(١).

(١) السيرة لابن هشام، ١٦٣ - ١/١٦٥، تحقيق الشيخ / محمد بيومي، القاهرة، ١٩٩٥. بتصرف واختصار.

شعر أبي طالب في التعريض بمن خذله من عبد مناف

فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدي ويُعم من خذله من بني عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش:

ألا قل لعمرى والوليد ومطعم	ألا ليت حظي من حياطتكم بكَرُ
من الخور حبحاب كثير رُغَاؤه	يُرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الوِرد ليس بلاحق	إذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخويننا من أبينا وأمننا	إذا سثلا قالوا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تجر جرتما	كما جُر جرت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا	هما نبذانا مثل ما يُنبذ الجمر
هما أغمزا للقوم في أخويهما	فقد أصبحا منهم أكفهما صِفْرُ
هما أشركا في المجد من لا أبا له	من الناس إلا أن يُرس له ذكر ^(١)
وتيم ومخزوم وزهرة منهم	وكانوا لنا مولى إذا بُغي النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة	ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم	وكانوا كجفر بش ما صنعت جفر

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً تأمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله ﷺ منهم بعمه أبي طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه إلا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون^(٢).

(١) ابن هشام، السابق، ١/١٦٦.

(٢) ابن هشام، السابق، ١/١٦٦. بتصرف واختصار.

شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جهدهم معه وحدهم عليه
جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ومكانه
منهم ليشد أزهرهم وليحذبوا معه على أمره فقال:

إذا اجتمعت يوماً قریش لمفخر	فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حُصِّلَتْ أشراف عبد منافها	ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوماً فإن محمداً	هو المصطفى من سرها وكریمها
تداعت قریش غشها وسمینها	علینا فلم نظفر وطاشت حلومها
وكننا قديماً لا نقر ظلامه إذا	ما ثنوا صُغِر الخدود نُقِیمها
ونحمي حماها كل يوم كربه	ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذَّوَاء وإنما	بأكنافنا تندى وتنمی أرومها ^(١)

فلما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته
التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها لأشراف قومه وهو على
ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله ﷺ
ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه فقال:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طأوعوا أمر العدو المزائل
وقد حالقوا قوماً علينا أظنة	يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة	وأبيض غضب من تراث المقاتل
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي	وأمسكت من أثوابه بالوصلات
قياماً معاً مستقبلين رتاجه	لدي حيث يقضي حلفه كل نافل

(١) ابن هشام، السابق، ١/١٦٧.

وحيث يُنيخ الأشعرون ركبهم
موسمة الأعضاء أو قصراتها
تري الودع فيها والرخام وزينة
أعوذ برب الناس من كل طاعن
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة
وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه
وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر المسود إذ يمسحونه
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة
وأشواط بين المروتين إلى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا له
وتوقا فهم فوق الجبال عشية
وليلة جمع والمنازل من منى
وجمع إذا ما المقربات أجزنه
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها
وكندة إذ هم بالحصاب عشية
حليفان شدا عقد ما احتلفا له
وحطمهم سمر الصفاح وسرحه
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ
يُطاع بنا أمر العدى وودوا لو أننا
كذبتم وبيت الله نترك مكة
كذبتم وبيت الله نُبرَى محمداً
ونسلمه حتى نصرع حوله

بمفضى السيول من إساف ونائل
مخيسة بين السديس وبازل
بأعناقها معقودة كالعشاكل
علينا بسوء أو مُلحّ بباطل
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالله إن الله ليس بغافل
إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
على قدميه حافياً غير ناعل
وما فيهما من صورة وتمائل
ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
إلا إلى مُفضى الشراج القوابل
يقيمون بالأيدي صدور الرواحل
وهل فوقها من حرمة ومنازل
سراعاً كما يخرجن من وقع وابل
يؤمنون قذفاً رأسها بالجنادل
تجيز بهم حُجاج بكر بن وائل
وردًا عليه عاطفات الوسائل
وشبرقة وخذ النعام الجوافل
وهل من معيذ يتقي الله عاذل
تُسد بنا أبواب ترك وكابل
ونظمن إلا أمركم في بلابل
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم في الحديد إليكم
وحتى ترى ذا الضغن يركب
وانا لعمر الله إن جدّ ما أرى
يكفني فتى مثل الشهاب سميدع
شهورا وأياما وحولا مجرّما
وما ترك قوم، لا أبا لك، سيدا
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
لعمرى لقد أجرى أسيد ويكره
وعثمان لم يربع علينا وقنفذ
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم
كما قد لقينا من سُبّيع ونوفل
فإن يُلقيا أو يمكن الله منهما
وذاك أبو عمرو أبي غير بُغضنا
يناجي بنا في كل ممسى ومصبح
ويؤلى لنا بالله ما إن يغشّنا
أضاق عليه بغضنا كل تلعة
وسائلُ أبا الوليد ماذا حبوتنا
وكننت امرأ ممن يُعاش براهه
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح
ومر أبو سفيان عني معرضا
يفر إلى نجد ويرد مياهه
ويخبرنا فعل المناصح أنه
أطلعهم لم أخذك في يوم نجدة

نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
رَدّعه من الطعن فعل الأنكب المتحامل
لَتَلْتَبَسُنَ أسيفنا بالأمائل
أخي ثقة حامي الحقيقة باسل
علينا وتأتي حجة بعد قابل
يحوط الذمار غير ذرب مواكل
ثمال البتامي عصمة للأرامل
فهم عنده في رحمة وفواضل
إلى بغضنا وجرّأنا لآكل
ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
ولم يرقبا فينا مقالة قائل
وكلّ تولى معرضا لم يُجامل
نكلّ لهما صاعا بصاع المُكايل
ليُظعننا في أهل شاء وجامل
فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
بلى قد نراه جهرة غير حائل
من الأرض بين أخشب فمجادل
بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
ورحمته فينا ولست بجاهل
حسود كذوب مبغض ذي دغاؤل
كما مر قَيْلٌ من عظام المقاول
ويزعم أنني لست عنكم بغافل
شفيق ويخفي عارمات الدواخل
ولا معظم عند الأمور الجلائل

ولا يوم خصم إذا أتوك الدة
أطعمهم إن القوم ساموك خطة
جزى الله عنا عبد شمس ونفلا
بميزان قسط لا يخس شعيرة
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم
وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا
فعبد مناف أنتم خير قومكم
لعمري لقد وهنتم وعجزتم
وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم الآن
ليهنء بني عبد مناف عقوقنا
فإن نك قوما نثثر ما صنعتهم
وسائط كانت في لؤي بن غالب
ورعط نفيل شر من وطىء الحصى
فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم
فكل صديق وابن أخت نعه
سوى أن رهطاً من كلاب بن مرة
وهنا لهم حتى تبدد جمعهم
وكان لنا حوض السقاية فيهم
شباب من المطيبين وهاشم
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم

أولي جدل من الخصوم المساجل
وإني متى أوكلُ فلست بوائل
عقوبة شر عاجلا غير آجل
له شاهد من نفسه غير عائل
بني خلف قيضا بنا والغياطل
وآل قصي في الخطوب الأوائل
علينا العدا من كل طمل وخامل
فلا تشاركوا في أمركم كل واغل
وجنتم بأمر مخطيء للمفاصل
حطاب أقدر ومراجل
وخذلاننا وتركنا في المعازل
وتحتلبوها لقحة غير باهل
نفاهم إلينا كل صقر حُلاحل
والأم حاف من معد وناعل
وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
إذا ما لجأنا دونهم في المداخل
لكنا أسى عند النساء المطافل
لعمري وجدنا غيبه غير طائل
براء إلينا من معقة خاذل
ويحسر عنا كل باغ وجاهل
ونحن الكدى من غالب والكواهل
كبيض السيوف بين أيدي الصياقل
ولا حالفوا إلا شرار القبائل
ضواري أسود فوق لحم خراذل

بني أمة محبوبة هندكية
ولكننا نسل كرام لسادة
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
أشْمُ من الشم البهاليل ينتمي
لعمري لقد كُلفت وجدا بأحمد
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها
فمن مثله في الناس أي مؤمل
حليم رشيد عادل غير طائش
فوالله لولا أن أجيء بسنة
لكننا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
فأصبح فينا أحمد في أرومة
حدثت بنفسه دونه وحميته
فأيده رب العباد بنصره
رجال كرام غير ميل نماهم
فإن تك كعب من لؤي ضيقة

بني جمع عُبيد قيس بن عاقل
بهم نُعي الأقوام عند البواطل
زهير حساما مفردا من حمائل
إلى حسب في حومة المجد فاضل
وأخوته دأب المحب المواصل
وزينا لمن والاه رب المشاكل
إذا قاسه الحكام عند التفاضل
يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا في المحافل
من الدهر جدًا غير قول التهازل
لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل
تُقصّر عنه سورة المتطاول
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
وأظهر ديننا حقه غير باطل
إلى الخير آباء كرام المحاصل
فلا بد يوماً مرة من تزايل^(١)

قال ابن هشام وحدثني من أئق به قال: أقبط أهل المدينة فأتوا رسول الله ﷺ فشكوا ذلك إليه فصعد رسول الله ﷺ المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله ﷺ: اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حوالياها كالإكليل فقال رسول الله ﷺ: لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله:

(١) ابن هشام، السابق، ١٦٩ - ١/١٧٣.

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال : أجل^(١).

مبعوثو قريش إلى النجاشي

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد
أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ائتمروا
بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدتين إلى النجاشي فيردهم
عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا
فيها فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا
لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة ثم بعثوهما إليه فيهم.

فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه أبياتاً
للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

شعره المرسل للنجاشي

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر	وعمرو وأعداء العدو الأقارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفرا	وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم، أبيت اللعن، أنك ماجد	كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة	وأسباب خير كلها بك لازب
وأنتك فيض ذو سجال	غزيرة ينال الأعادي نفعها والأقارب ^(٢)

(١) ابن هشام، السابق، ١٧٣ - ١/١٧٤. وقد أخرجه البيهقي في "الدلائل" * انظر
فتح الباري ٤٩٥، ٢/، المطبعة السلفية.

(٢) ابن هشام، السابق، ٢٠٨ - ١/٢٠٩.

موقف أبي طالب من المقاطعة الظالمة:

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل الإسلام يفسد في القبائل اجتمعوا واثمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا يُنكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ويقال: النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله ﷺ فُشِّلَ بعض أصابعه.

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبة واجتمعوا إليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهروهم^(١).

فلما اجتمعت على نكاح قريش قال أبو طالب:

لؤيا وخُصّاً من لؤي بني كعب	ألا أبلغا عني على ذات بيننا
نبيا كموسى خُط في أول الكتب	ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
ولا خير ممن خصه الله بالحب	وأن عليه في العباد محبة
لكم كائن نحسا كراغيه السقب	وأن الذي الصقتم من كتابكم

(١) ابن هشام، مرجع سابق، ٢/٣. بتصرف واختصار.

أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا
وتستجلبوا حرباً عواناً وريماً
فلسنا ورب البيت نُسلم أحداً
ولما تبين منا ومنكم سؤالف
بمعترك ضيق ترى كسر القنا
كان مجال الخيل في حَجَراته
ليس أبونا هاشم شد أزره
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا
ولكننا أهل الحفائظ والنهي
فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جُهدوا لا يصل إليهم شيء
إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش^(١).

أبو طالب يجير أبا سلمة بن عبد الأسد

قال ابن إسحاق: إن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له: يا أبا طالب: لقد منعت منا ابن أخيك محمداً فما لك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخيه فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون تتوَّبون عليه في جواره من بين قومه والله لنتنهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد، فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وكان لهم ولياً وناصرأ على رسول الله ﷺ فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين

(١) ابن هشام، السابق، ٤ - ٢/٥.

سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله ﷺ فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله ﷺ :

وإن امرأ أبو عتيبة عمه وفي روضة ما إن يُسام المظالم
أقول له، وأين منه نصيحتي أبا معتب ثبت سوادك قائما
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة تُسب بها إما هبطت المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب تُصف ولن ترى أخا الحرب يُعطي الخسف حتى يُسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عزيمة ولم يخذلوك غانما أو مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومائما
بتفريقهم من بعد ودّ وألفة جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نُبزي محمدا ولما تروا يوما لدى الشعب قائما
نيزى : نسلب^(١).

إخباره عليه الصلاة والسلام بكل الأرضة الصحيفة

قال ابن هشام ثم إن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً لله إلا أثبتته فيها ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان فقال: أربك أخبرك بهذا؟ قال نعم ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهل صحيفتكم فإن كان كما قال ابن أخي فانتهاوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وإن يكن كاذباً دفعت إليكم ابن أخي فقال القوم: رضيينا، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شراً. فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا.

(١) ابن هشام، السابق، ١٥ - ١٦/٢. بتصرف واختصار.

فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها، قال أبو طالب، فيما كان من
أمر أولئك نفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى بحريّنا صنع ربنا
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت
تراوحها إفك وسحر مجمع
تداعى لها من ليس فيها بقرقر
وكانت كفاء رقعة بأثيمة
ويظعن أهل المكتبين فيهربوا
وُترك حرّاث يقلب أمره
وتصعد بين الأخشبيين كتيبة
فمن يَنْشُ من حضار مكة عزه
نشأنا بها والناس فيها قلائل
ونُطعم حتى يترك الناس فضلهم
جزى الله رهطاً بالحجون تبايعوا
فعودا لدى خطم الحجون كأنهم
أعان عليها كل صقر كأنه
جريّ على جُلَى الخطوب كأنه
من الأكرمين من لؤي بن غالب
طويل النجاد خارج نصف ساقه
عظيم الرماد سيد وابن سيد
ويبني لأبناء العشيرة صالحا
ألظ بهذا الصلح كل مبرأ
قضوا ما قضوا في ليلهم ثم أصبحوا
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا

على نأيهم والله بالناس أروء
وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
ولم يُلف سحر آخر الدهر يصعد
فطائرهما في رأسها يتردد
ليُقطع منها ساعد ومقلّد
فرائصهم من خشية الشر ترعد
أُتهم فيهم عند ذاك ويُنجد
لها حدج سهم وقوس ومِرْهد
فعزتنا في بطن مكة أتلد
فلم ننفك نزداد خيرا ونحمد
إذا جعلت أيدي المفيضين تُرعد
على ملا يهدي لحزم ويرشد
مقاولة بل هم أعز وأمجد
إذا ما مشى في رفر الدرع أحرد
شهاب بكفّي قابس يتوقّد
إذا سيم خسفا وجهه يتربد
على وجهه يُسقى الغمام ويسعد
يحض على مَقَرّي الضيوف ويحشد
إذا نحن طفنا في البلاد ويمهد
عظيم اللواء أمره ثم يُحمد
على مهل وسائر الناس رُقْد
وسرّ أبو بكر بها ومحمد

متى شُرك الأَقوام في جل أمرنا وكنا قديماً قبلها نُتودد
وكنا قديماً لا نُقر ظُلامة ونذكر ما شئنا ولا نتشدد
فيا لقصي هل لكم في نفوسكم وهل لكم فيما يجيء به غد
فإني وإياكم كما قال قائل لديك البيان لو تكلمت أسود^(١)

قال ابن إسحاق ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بموت خديجة وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها ويموت عمه أبي طالب وكان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعة وناصرأ على قومه وذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين .

فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً فلما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب دخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكي يا بُنَيَّة فإن الله مانع أباك وكان يقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٢) .

متى كان القطع بأمر إيمان أبي طالب من عدمه متوقفاً على رواية البخاري أو غيره؟؟ .

تعالوا نقطف بعضاً من كلماته النورانية التي قالها شعراً في نصر رسول الإسلام وسنرى بوضوح أن موقفه المناصر لرسولنا الأكرم ﷺ قد انطلق من إيمان راسخ بنبوة ابن أخيه وفضله كبده ومهجة روحه محمد بن عبد الله :

(١) ابن هشام، السابق، ١٩ - ٢/٢٠ . بتصرف واختصار.

(٢) ابن هشام، السابق، ٢/٤٤ . بتصرف واختصار.

وإن فخرت يوماً فلإن محمداً
 وبالببيت حق البيت من بطن مكة
 وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة
 بين المروتين إلى الصفا
 ومن حج بيت الله من كل راكب
 كذبتهم وبيت الله نترك مكة
 كذبتهم وبيت الله نُبْرِى محمداً
 ونسلمه حتى نصرع حوله
 وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
 يلوذ به الهلاك من آل هاشم
 لعمرى لقد كُلفتُ وجداً بأحمد
 فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها
 فمن مثله في الناس أي مؤمل
 حلیم رشید عادل غير طائش
 فأيده رب العباد بنصره
 ألا أبلغا عني على ذات بيننا
 ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
 وأن عليه في العباد محبة
 فمتى كان القائل (وأظهر ديناً حقه غير باطل .. ألم تعلموا أنا
 وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب) كافراً؟؟.

هلا أجابنا القوم؟؟.

ومتى كان القائل (لعمرى لقد كلفتُ وجداً بأحمد وإخوته دأب
 المحب المواصل .. حلیم رشید عادل غير طائش، يوالي إلهاً ليس عنه
 بغافل، فأيده رب العباد بنصره .. وأظهر ديناً حقه غير باطل) مجرد

شخص قبلي يحامي عن شرف القبيلة ولما حضرته الوفاة رفض أن يتلفظ بالشهادتين وقال أموت على دين عبد المطلب خشية أن تغضب قريش؟؟!! .

أي منطلق يدفعنا للتصديق بأن أبا طالب رضوان الله عليه كان حريصاً على ألا يغضب قريشاً بإعلان إسلامه في لحظة موته وإلا فليخبرنا هؤلاء الفلاسفة عما كان يعنيه نصرة محمد ﷺ في مواجهة الطغيان القرشي طيلة هذه السنين؟؟ .

هل كان هذا إرضاء لقريش؟؟ أم أنه رضوان الله عليه كان من الذين لا يخافون في الله لومة لائم ولا عدل عاذل ولا يسمعون إلا لنيل رضا خالقهم سبحانه وتعالى عما يشركون!! .

ألا يستحي القوم من تكرار هذا الكلام الذي يقطع بأن حقدهم على ناصر رسول الله مشتق من نفاقهم وحسدهم لشخص رسول الله وهو الحقد الذي امتد في أعقابهم وهو نفسه الذي حفزه بعد ذلك للتنكيل بآل الرسول الأكرم فكانت هذه من تلك وتلك من هذه!! .

الكتيبة الهاشمية تفدي الإسلام بأرواحها

إن هذا الموقف الجهادي التحريضي الذي وقفه أبو طالب عندما استنفر قريشاً وبني عبد مناف للذب عن رسول الله لما خذله من خذله قاد الكتيبة الهاشمية الجهادية في معركة الدفاع عن الإسلام وامتد هذا الجهاد وهذه الروح إلى الأبناء .

يروى ابن الأثير في الكامل في أخبار غزوة بدر : إن عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة دعوا إلى المبارزة فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة كلهم من الأنصار فقالوا من أنتم؟ قالوا من

الأنصار فقالوا: أكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة ليخرج إلينا أكفأونا من قومنا. فقال النبي ﷺ: قم يا حمزة قم يا عبيدة بن الحارث قم يا علي فقاموا ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب وكان أمير القوم عتبة وبارز حمزة شيبه وبارز علي الوليد فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قطعت رجله فلما أتوا به النبي ﷺ قال: ألسن شهداء يا رسول الله؟ قال: بلى. قال: لو رأي أبي طالب لعلم أننا أحق منه بقوله: ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل ثم مات عليه رضوان الله ورحمته^(١).

إنه إذا أي أبو طالب بن عبد المطلب هو معلم الجهاد ورائد الكتبية الهاشمية وهو من غرس في نفوس الخلفاء من بني هاشم روح التضحية والجهاد في سبيل الله نصرته للحق.

فكيف غابت هذه الحقائق عن بعض المؤرخين ودفعتهم لتلقف تلك الروايات المتهافنة التي أوردها البخاري وغيره من الإخباريين الذين امتلأت كتبهم بالغث من القول وحسبنا الله ونعم الوكيل وويل للمطففين.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/٢٢.

بنو هاشم طليعة الإيمان

لم يكن بنو هاشم مجرد تاريخ سبق البعثة النبوية المباركة بل كانوا ركائز وأعمدة قام عليها دين الله وليس من العسير على المتأمل في السيرة النبوية من خلال الرؤية العلوية أن يكتشف ذلك الكم الهائل من الحيف والظلم والتحامل على شجرة النبوة الهاشمية طمساً لمعالم جهادهم وإصافاً للثهم والافتراءات الظالمة بهم كتلك الفرية الكبرى التي ألصقت بسيد البطحاء أبي طالب رضوان الله عليه والتلهيل لدخول غيرهم في الإسلام واعتبار ذلك علامة فارقة في مسار الدعوة من دون أن يشغل أي من هؤلاء باله بتقديم دليل واحد على أهمية دخول هذا الداخل في الإسلام.

لم يخبرنا أحد عن الدور الذي اضطلع به هو أو غيره قبل الهجرة أو بعدها أو عن بلاء أي منهم دفاعاً عن الدعوة أو عن رسول الله ولكننا نعرف بكل تأكيد أن معسكر الكفر والعناد والإلحاد قد تلقى ضربة قاصمة يوم بدر وفي غيرها من الغزوات على يد فرسان الإسلام المضحين من بني هاشم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب وأن دور هذه العصبة البدوية الهاشمية كان امتداداً لجهاد سيد البطحاء أبي طالب رضوان الله عليه وجزاء الله خيراً على ما قدم للإسلام والمسلمين من يومها إلى يوم الدين.

إثبات فضل بني هاشم لا يتوقف على نفي إسلام غيرهم أو إنكار ما قدمه في سبيل الله (ولكل فضل) ولكن الأمانة كانت تقضي أن يضع هؤلاء الأشياء في موضعها ويعرفوا لكل إنسان فضله ومقامه الذي استحقه بجهاده وتضحياته في سبيل الله ولا شك أن لبني هاشم في هذا البناء النوراني موقع لا يبارى ولا يسامى.

وكما قال الإمام في رسالته لمعاوية التي سنورها بنصها بعد قليل (أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ - أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ. أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ. وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيبَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمْعَةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ).

أما الكارثة العظمى التي نزلت بالإسلام وأهله ونزلت بالإمام ورهطه الهاشميين المجاهدين أول ما نزلت ثم امتدت بعد ذلك لتصبح انقلاباً تاماً في الموازين فهي مناطحة ابن آكلة الأكباد للإمام في موقعه ومقامه حيث يقول الإمام (فَبَا عَجَباً لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقَرَّنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَلَمْ تُكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُذِلِّي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ) ١١.

لقد شكل فرسان بني هاشم بجهادهم وسبقهم طليعة الأمة المضحية الملتفة حول رسول الله ﷺ والتي استحققت من دون أدنى شك وصف السابقين ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ ۖ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ۖ﴾ ثلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة ١٠ - ١٤] سبقاً زمانياً

وعملياً وليس سبقاً تلفيقياً لم يكن له وجود إلا على السنة وضاع الأحاديث ومن ثم في مخيلة جمهورنا الذي تشكل وعيه على يد هؤلاء المؤلفين الكبار.

إنها المسابقة إلى مرضاة الله في الزمان والمكان الملائمين وليس سبقاً إلى الكراسي والغنائم والتهافت على حطام الدنيا ونعيمها الزائل تسابق الفراش إلى الموت في نيران المطامع ﴿سَابِقُوا إِلَى مَفْزَعٍ مِّنْ زَكَّوْكُمْ وَجَعَلُوا عَرْشَهَا كَعَرْشِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد ٢١].

ألا تحصل تلك الكوكبة المجاهدة السابقة إلى رضوان الله ورحمته على ما تستحق من التعريف والتكريم فهي كارثة كبرى نزلت بنا وليست بهم فالأمة هي التي خسرت الاقتداء بقيمهم ومبادئهم ومثلهم واستبدلت بها مجموعة من القيم الشمعية المصمغة الملفقة التي لا تصمد لا في وجه اختبار الصلابة ولا في مواجهة نيران المحن التي تحاصرنا من كل حذب وصوب.

الأمة وعبر هؤلاء المزورين أقامت لنفسها نصباً من صنع الوهم والخيال فكانت بهذا كبنى إسرائيل الذين استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير فحقت عليهم الشقوة وحق عليهم قول ربهم إنهم لذائقو العذاب الأليم ولن يجزوا إلا ما كانوا يفترون ويكذبون.

في إحدى رسائله التي أرسلها إلى رأس الفتنة الأموية معاوية بن أبي سفيان يقول الإمام علي بن أبي طالب:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ فِيهِ اضْطِغَاءُ اللَّهِ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ لِذِيْنِهِ، وَتَأْيِيْدُهُ إِثَاءَ بِمَنْ أَيْدُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي

نَبِينًا فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ النَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى
النِّضَالِ.

وَزَعَمْتُ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتُ أَمْرًا
إِنْ تَمَّ اغْتِرَاكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقَكَ ثَلَمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلُ
وَالْمَفْضُولُ، وَالسَّائِسُ وَالْمُسُوسُ! وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ، وَالْتُمِيزُ
بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ
حَنَّ قَدْحُ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَخْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا!.

أَلَا تَرْنَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظُلْمِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ
حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ!
وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي التَّبْيِ، رَوَاغٌ عَنِ الْقَصْدِ.

أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخِيرٍ لَكَ لَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ - أَنَّ قَوْمًا
اسْتَشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا اسْتَشْهِدَ
شَهِيدُنَا، قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ
صَلَاتِهِ عَلَيْهِ!.

أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى
إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا كَمَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ، قِيلَ: الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو
الْجَنَاحَيْنِ!.

وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيَةِ الْمَرَّةِ نَفْسُهُ، لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ
جَمَّةٍ، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

فَدَعُ عَنْكَ مَنْ مَالَتَ بِهِ الرِّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ
لَنَا.

لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِرْنَانَا وَلَا عَادِي طَوْلُنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ

بِأَنْفُسِنَا، فَتَكْخَنَا وَأَنْكَحْنَا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا الشَّيْءُ وَمِنْكُمْ الْمُكَذَّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ ۝۱.

فَإِسْلَامُنَا مَا قَدْ سَمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُذْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَقْرَبَ النَّاسِ لِلَّذِينَ آمَنُوا هَؤُلَاءِ﴾ وَهَذَا الشَّيْءُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾، فَتَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ.

وَلَمَّا اخْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَجُّوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْقَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَلَا أَنْصَارَ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

وَرَزَعَنْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَعِثْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ. وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارَهَا.

أما قوله ﷺ (إِنَّ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِدْتُنَا، قَبْلَ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ) فيشرحه لنا ابن سعد في الطبقات وهو يروي قصة استشهادة رضوان الله عليه.

استشهاد حمزة بن عبد المطلب

قال ابن سعد: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وعمه

رضي الله تعالى عنه ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي
وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وكان يكنى
أبا عماره^(١) .

أما عن سبب إسلامه فيذكر الرواة أن أبا جهل وعدي بن الحمراء
وابن الأصداء نالوا من النبي ﷺ يوماً وشتموه وآذوه فبلغ ذلك حمزة بن
عبد المطلب فدخل المسجد مغضباً فضرب رأس أبي جهل بالقوس ضربة
أوضحت في رأسه وأسلم حمزة فعز به رسول الله ﷺ والمسلمون وذلك
في السنة السادسة من النبوة ولما هاجر حمزة بن عبد المطلب إلى
المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وزيد بن حارثة وإليه أوصى حمزة بن
عبد المطلب يوم أحد حين حضر القتال^(٢) .

وأول لواء عقده رسول الله ﷺ حين قدم المدينة كان لحمزة بن
عبد المطلب بعثه سرية في ثلاثين راكباً حتى بلغوا قريباً من سيف البحر
يعترض لعبير قريش وهي منحدره إلى مكة قد جاءت من الشام وفيها أبو
جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب فانصرف ولم يكن بينهم قتال وكان
حمزة معلماً يوم بدر بريشة نعامة وهو الذي حمل لواء رسول الله ﷺ في
غزوة بني قينقاع ولم تكن الرايات يومئذ وقتل ﷺ يوم أحد على رأس
اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة وهو يومئذ ابن تسع وخمسين سنة كان
أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين، قتله وحشي بن حرب وشق بطنه
وأخذ كبده فجاء بها إلى هند بنت عتبة بن ربيعة فمضغتها ثم لفظتها ثم
جاءت فمثلت بحمزة وجعلت من ذلك مسكتين ومعضدين وخدمتين حتى
قدمت بذلك ويكبده مكة وكفن حمزة في بردة فجعلوا إذا غطوا بها رأسه

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/ ٣، مكتبة الاسرة، القاهرة ٢٠٠٢.

(٢) ابن سعد، السابق، ٨/ ٣، بنصرف واختصار.

بدت قدماء وإذا غطوا بها رجله تنكشف عن وجهه فقال رسول الله ﷺ غطوا وجهه وجعل على رجله الحرمل وكان حمزة أول من ذلك اليوم من الشهداء وكبر عليه أربعاً ثم جمع إليه الشهداء فكلما أتى شهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه وعلى الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة وسمع رسول الله ﷺ البكاء في بني عبد الأشهل على قتلهم فقال رسول الله ﷺ لكن حمزة لا بواكي له فسمع ذلك سعد بن معاذ فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهن إلى باب رسول الله ﷺ فبكين على حمزة فسمع ذلك رسول الله ﷺ فدعا لهن وردهن فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميت إلا بدأت بالبكاء على حمزة ثم بكت على ميتها^(١).

وكان حمزة بن عبد المطلب يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم أحد بسيفين ويقول أنا أسد الله وجعل يقبل ويدبر قال فينما هو كذلك إذ عثر عثرة فوقع على ظهره ويصر به الأسود فزرقه بحربة فقتله فطعنه الحبشي بحربة أو رمح فبقره^(٢).

وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة امرأة أبي سفيان وأم معاوية جاءت مع الأحزاب يوم أحد وقد نذرت لئن قدرت على حمزة بن عبد المطلب لتأكلن من كبده فلما أصيب حمزة ومثلوا بالقتلى جاؤوا بقطعة من كبده حمزة فأخذتها تمضغها لتأكلها فلم تستطع أن تبتلعها فللفظتها فبلغ ذلك رسول الله ﷺ قال إن الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئاً أبداً^(٣).

(١) ابن سعد، السابق، ٨ - ٣/١٠. بتصرف واختصار.

(٢) ابن سعد، السابق، ٣/١١. بتصرف واختصار.

(٣) ابن سعد، السابق، ٣/١١. بتصرف.

ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة فرآه قد شق بطنه وقد مثل به كره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ووقف بين ظهراني القتلى فقال أنا شهيد على هؤلاء، لفوهم في دمائهم فإنه ليس من جريح يجرح في الله إلا جاء جرحه يوم القيامة يدمى لونه لون الدم وريحه ريح المسك قدموا أكثرهم قرآنًا فاجعلوه في اللحد ثم أقبلت صفية بنت عبد المطلب تطلبه لا تدري ما صنع فلقيت عليًا والزبير فقال علي للزبير اذكر لأمك قال الزبير لا بل اذكر أنت لعمتك قالت ما فعل حمزة؟ قال فأريها أنها لا يدريان قال فجاء النبي ﷺ فقال إني أخاف على عقلها قال فوضع يده على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت^(١).

الرسول يصلي على حمزة سبعين مرة:

قال ثم أمر بالقتلى فجعل يصلي عليهم قال فيضع تسعة وحمزة فيكبر عليهم سبعاً ثم يرفعون ويترك حمزة ثم يجاء بتسعة فيكبر عليهم حتى فرغ منهم وترك حمزة حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة .

قال ابن سعد أخبرنا سعيد بن مسروق عن أبي الضحى في قول الله جل ثناؤه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ قال نزلت في قتلى أحد ونزل فيهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ وقتل يومئذ سبعون من المسلمين أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير أخو بني عبد الدار والشماس بن عثمان المخزومي وعبد الله بن جحش الأسدي والباقي من الأنصار كما نقل عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم أنزلت هذه الآيات ﴿هَٰذَانِ حَصَنَاكَ أَخِصَّمُوا فِي رَيْبِهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢)

(١) ابن سعد، السابق، ١٢ - ١٣/٣. بتصرف.

في هؤلاء الرهط الستة يوم بدر حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة^(١).

ثم مر رسول الله ﷺ على نساء بني عبد الأشهل لما فرغ من أحد فسمعهن يبكين على من استشهد منهم بأحد فقال رسول الله ﷺ لكن حمزة لا بواكي له فسمعها سعد بن معاذ فذهب إلى نساء بني عبد الأشهل فأمرهن أن يذهبن إلى باب رسول الله ﷺ فيبكين على حمزة فذهبن فبكين فسمع رسول الله ﷺ بكاءهن فقال لهن رسول الله ﷺ: بارك الله عليكن وعلى أولادكن وعلى أولادكن ورحم أولادكن وأولاد أولادكن^(٢).

استشهاد جعفر الطيار

روى ابن هشام في سيرته: وكانت غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمانية للهجرة فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب فانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ثم التقى الناس واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى قتل ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى قتل قال الراوي والله لكأنني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرسه ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم قد دنا عذابها كافرة بعيده أنسابها

(١) ابن سعد، الطبقات، ١٤ - ٣/١٥. بتصرف واختصار.

(٢) ابن سعد، السابق، ٣/١٦.

ثم أخذ جعفر اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل ﷺ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها فقاتل حتى قتل.

ولما أصيب جعفر وأصحابه دخل رسول الله ﷺ على أسماء بنت عميس زوجة جعفر فقال لها انتني بيني جعفر فأنت بهم فتشمهم وذرفت عيناه فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال نعم أصيبوا هذا اليوم فقامت تصيح واجتمعت إليها النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن^(١).

ويروي ابن الأثير في الكامل^(٢) أن رسول الله ﷺ قال: مربي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مختضب القوادم بالدم .

ويروي ابن هشام عن رثي جعفرأ رضوان الله عليه:

حسان بن ثابت:

تأويني ليلٌ بيثرب أعسر	وهمٌ إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيبٍ هيجت لي عبرةٌ	سفوحاً وأسباب البكاء التذكرُ
بلى إن فقدان الحبيب بليّةٌ	وكم من كريم يبتلي ثم يصبر

(١) ابن هشام، مرجع سابق، ٦، - ٣/١٠. بتصرف.

(٢) ابن الأثير، مرجع سابق، ٢/١١٥.

رأيت خيار المؤمنين تواردوا
 فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا
 وزيد وعبد الله حين تتابعوا
 غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم
 أغر كضوء البدر من آل هاشم
 فطاعن حتى مال غير موسد
 فصار مع المستشهدين ثوابه
 وكنا نرى في جعفر من محمد
 فما زال في الإسلام من آل هاشم
 هم جبل الإسلام والناس حولهم
 بهاليل منهم جعفر وابن أمه
 وحمزة والعباس منهم ومنهم
 بهم تفرج اللاواء في كل مآزق
 هم أولياء الله أنزل حكمه عليهم
 وقال كعب بن مالك يرثي جعفر وأصحابه :

نام العيون ودمع عينك يهمل
 في ليلة وردت علي همومها
 واعتادني حزن فبت كأنني
 وكأنما بين الجوانح والحشى
 وجدا على النفر الذين تتابعوا
 صلى الإله عليهم من فتية
 صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
 فمضوا أمام المسلمين كأنهم
 إذ يهتدون بجعفر ولوائه
 سحاً وكف الطباب المخضل
 طورا أحن وتارة أتململ
 بنات نعش والسماك موكل
 مما تأويني شهاب مدخل
 يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
 وسقى عظامهم الغمام المسبل
 حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
 فنق عليهن الحديد المرفل
 قدام أولهم فنعم الأول

حتى تفرجت الصفوف وجعفر
فتغير القمر المنير لفقده
قروم علا بنيانه من هاشم
قوم بهم عصم الإله عباده
فضلوا المعاشر عزة وتكرما
لا يطلقون إلى السفاه حباهم
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم
يهديهم رضي الإله لخلقهم
وقال حسان بن ثابت أيضاً يكي جعفرأ:

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر
ولقد جزعت وقلت حين نعت لي
بالبيض حين تسل من أغمادها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر
رزءاً وأكرمها جميعاً محتداً
للحق حين ينوب غير تنحل
فحشا، وأكثرها إذا ما يجتدي
بالعرف غير محمد لا مثله
حب النبي على البرية كلها
من للجلا لى العقاب وظلها
ضربا وانها ل الرماح وعلىها
خير البرية كلها وأجلها
وأعزها متظلما وأذلها
كذباً، وأنداها يداً وأقلها
فضلاً، وأبذلها ندى وأبلها
حي من أحياء البرية كلها

إن هذه الأبيات التي رثي بها جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه تشير إلى ترتيب مغاير للقيادة غير هذا الترتيب الذي يرويه بعض أهل السير (زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة) فهي هو شعر كعب بن مالك (إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول) يشير إلى تلك الحقيقة.

ولكننا نقول كما قال الإمام علي بن أبي طالب (ولكل فضل).

أحوال العرب قبل البعثة النبوية

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِانْجَازِ عِدَّتِهِ وَتَمَامِ نُبُوتِهِ،
مَأْخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَانُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ
يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُتَشِيرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتَّةٌ، بَيْنَ مُسَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ،
أَوْ مُلْجِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ
بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ^(١).

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعِلْمِ
الْمَأْتُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضُّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ
الصَّادِعِ إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ وَتَخْوِيفًا
بِالْمَثَلَاتِ وَالنَّاسُ فِي فِتْنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ وَتَرَزَّعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ
وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ وَضَاقَ الْمَخْرُجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ، فَالْهُدَى
خَامِلٌ، وَالْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ، وَنَصَرَ الشَّيْطَانُ، وَخُذِلَ
الْإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ، وَعَقَتْ
شُرُكُهُ. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ يَوْمَ سَارَتْ أَعْلَامُهُ
وَقَامَ لَوَاؤُهُ، فِي فِتْنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، وَوَطَّئَتْهُمْ بِأُظْلَافِهَا، وَقَامَتْ عَلَى

(١) نهج البلاغة، الخطبة الاولى.

سَنَابِكُهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِبُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ نَزَمَهُمْ سُهْودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ^(١).

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيحُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٌّ تَشْرَبُونَ الْكَدِيرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِيبَ وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الْأَصْنَامَ فِيكُمْ مَنْصُوبَةً وَالْآثَامَ بِكُمْ مَغْضُوبَةً^(٢).

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَاعْتِزَامِ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارِ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظُّظٍ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ الثُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اضْغِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَّاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ أَغْلَامُ الْهَدْيِ، وَظَهَرَتْ أَغْلَامُ الرَّدْيِ، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، غَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِيهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِنَارُهَا السِّيفُ^(٣).

يقول ابن أبي الحديد: فأما الأمة التي بعث محمد ﷺ فيها فهم العرب وكانوا أصنافاً شتى فمنهم معطلة ومنهم غير معطلة فأما المعطلة منهم فبعضهم أنكر الخالق والبعث والإعادة وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم ما هي إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ فجعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك لهم الدهر وبعضهم اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿قَالَ مَنْ يُغْنِي عَنْكَ الْعِلْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٤) ومنهم من أقر بالخالق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل

(١) السابق، خطبة ٢.

(٢) السابق، خطبة ٢٦.

(٣) السابق، خطبة ٨٨.

وعبدوا الأصنام وزعموا أنها شفعاء عند الله في الآخرة وحجوا لها ونحروا لها الهدي وقربوا لها القربان وحللوا وحرموا وهم جمهور العرب وهم الذين قال الله تعالى عنهم ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَتَشَبَّهُ فِي الْآتَوَاتِي﴾ .

فمن نطق شعره بإنكار البعث بعضهم يرثي قتلى بدر :

فماذا بالقليب قليب بدر	من الفتيان والقوم الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر	من الشيزى تكلل بالسنام
أخبرنا ابن كبشة أن سنجيا	وكيف حياة أصداء وهام
إذا ما الرأس زال بمنكبيه	فقد شبع الأنيس من الطعام
أيقتلني إذا ما كنت حيا	ويحييني إذا رمت عظامي

وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الأرواح في الأجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة التي قال عليه السلام عنهم لا عدوى ولا هامة ولا صفر.

وقال نو الإصبع

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني
وقالوا إن ليلى الأخيلية لما سلمت على قبر توبة بن الحمير خرج
إليها هامة من القبر صائحة أفزعت ناقتها فوقصت بها فماتت وكان ذلك
تصديق قوله :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح
وكان توبة وليلى في أيام بني أمية .

وكانوا في عبادة الأصنام مختلفين فممنهم من يجعلها مشاركة

للبارئ تعالى ويطلق عليها لفظة الشريك ومن ذلك قولهم في التلبية لييك اللهم لييك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ومنهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك ويجعلها وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه وهم الذين قالوا ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

وكان في العرب مشبهة ومجسمة منهم أمية بن أبي الصلت وهو القائل :

من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسيه المنصوب

وكان جمهورهم عبدة الأصنام فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواح لهذيل ونسر لحمير ويغوث لهمدان واللات لثقيف بالطائف والعزى لكتانة وقريش وبعض بني سليم ومناة لغسان والأوس والخزرج وكان هبل لقريش خاصة على ظهر الكعبة وإساف ونائلة على الصفا والمروة وكان في العرب من يميل إلى اليهودية منهم جماعة من التابعة وملوك اليمن ومنهم نصارى كبنى تغلب والعباديين رهط عدي بن زيد ونصارى نجران ومنهم من كان يميل إلى الصابئة ويقول بالنجوم والأنواء.

فأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم وهم المتألهون أصحاب الورع والتحرج عن القبائح كعبد الله وعبد المطلب وابنه أبي طالب وزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادي وعامر بن الطرب العدواني وجماعة غير هؤلاء.

وغرضنا من هذا الفصل بيان قوله ﷺ بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه إلى غير ذلك وقد ظهر بما شرحناه^(١). انتهى.

وينقل أبو الفداء في تاريخه عن الشهرستاني في الملل والنحل عن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج ١ ص ٣٩ - ٤٠. ط دار الأندلس ١٩٨٣.
الطبعة الثالثة.

أحوال العرب قبل الإسلام قال: والعرب الجاهلية أصناف فصنف أنكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدمر الممضي كما أخبر عنهم التنزيل ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝﴾ [الجاثية ٢٤] وصنف اعترفوا بالخالق وأنكروا البعث وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿أَفَعَبَابًا بِالْحَاقِّ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝﴾ [ق: ١٥] وصنف عبدوا الأصنام وكانت أصنامهم مختصة بالقبائل فكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبايل من اليمن ونسر لذي الكلاع بأرض حمير ويعوق لهمدان واللات لثقيف بالطائف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة للأوس والخزرج وهبل أعظم أصنامهم وكان هبل على ظهر الكعبة وكان إساف ونائلة على الصفا والمروة وكان منهم من يميل إلى اليهود ومنهم من يميل إلى النصرانية ومنهم من يميل إلى الصابئة ويعتقد في أنواء المنازل اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك إلا بنوء من الأنواء ويقول مطرنا بنوء كذا وكان منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن وكانت علومهم علم الأنساب والأنواء والتواريخ وتعبير الرؤيا وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاءت شريعة الإسلام بها فكانوا لا ينكحون الأمهات والبنات وكان أقبح شيء عندهم الجمع بين الأختين وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه ويسمونهم الضيزن وكانوا يحجون البيت ويعتصرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار وكانوا يكسبون في كل ثلاثة أعوام شهراً ويغتسلون من الجنابة وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأظفار ونف الإبط وحلق العانة والختان^(١).

(١) المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء. ص ١٢٦، ج ١، نفس الطبعة.

يروى ابن الجوزي في المنتظم في أخبار سنة ٣٥ لمولد النبي محمد ﷺ^(١): فيها مات زيد بن عمرو بن نفيل وكان يُطلب الدين وقدم الشام فسأل اليهود النصارى عن الدين والعلم فلم يُعجبه دينهم فقال له رجل من النصارى أنت تلتمس دين إبراهيم فقال زيد وما دين إبراهيم؟ قال: كان حنيفاً لا يَعْبُدُ إلا الله وحده لا شريك له كان يُعادي مَنْ عَبَدَ من دون الله شيئاً ولا يأكل ما دُبِحَ على الأصنام فقال زيد: هذا الذي أعرف وأنا على هذا الدين فأما عبادة حجر أو خشبة أَنْحَتْها بيدي فهذا ليس بشيء. فرجع زيد إلى مكة وهو على دين إبراهيم وكان يقول: هذه الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء فأنبت لها الأرض ثم تذبحونها على غير اسمه؟؟ ينكر عليهم ذلك. ولقي رسول الله ﷺ فَقَدَّم إليه رسول الله ﷺ سُفْرَةً فيها لحم فقال إني لا آكل مما تذبحون على أصنامكم ولا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه.

وكان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين وكره النصرانية واليهودية وعبادة الأوثان والحجارة وأظهر خلاف قومه واعتزل آلهتهم وما كان يعبد آبائهم ولا يأكل ذبائحهم.

يروى عنه عامر بن ربيعة قال لي: يا عامر إني خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد ولده إسماعيل من بعده فقال: وكانوا يصلون إلى هذه القبلة وأنا انتظر نبياً من ولد إسماعيل يُبْعَثُ ولا أراني أذكره فأنا أؤمن به وأصدقّه وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيتَه فأقرئته مِنِّي السلام، قال عامر: فلما تنبأ رسول الله ﷺ أسلمت وأخبرته بقول زيد وأقرأته منه السلام فرد عليه رسول الله ﷺ وترحم عليه وقال «قد رأيته في الجنة يسحبُ ذُيولاً».

(١) ابن الجوزي، مرجع سابق، ٣٢٨ - ٣٣١/٢.

ومات زيد فرائه ورقة فقال:

دعاؤك رباً ليس رب كمثلِه وتركَك أوْثان الطواغي كما هيا^(١).

صورة إجمالية

كانت هذه نماذج من أوضاع العرب قبل البعثة النبوية المشرفة ويبدو واضحاً أنه لم يكن هناك اتفاق على شيء باستثناء العمل على إدامة الواقع القائم ورفض أي محاولة للتغيير والتطهير وهو القانون السائد إلى يومنا هذا في دنيا الناس.

إن أصدق ما ينطبق على واقع العرب قبل البعثة المحمدية فضلاً عن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو ما جاء في خطبة الزهراء عليها السلام التي قالتها بعد وفاة رسول الله ﷺ (فبلغ الرسالة صادعاً بالندارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم آخذاً بأكظامهم وينكت الهام، يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقاشق الشياطين وتمت كلمة الإخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها نهزة الطامع ومذقة الشارب وقبسة العجلان وموطأ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد والورق أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم حتى استنقذكم الله برسوله ﷺ بعد اللتيا والتي). رواها السيد ابن طاوس في كتابه الطرائف.

فالقوم كانوا فرقاً في أديانهم لا يجمعهم جامع ولا يربطهم رابط قد (بَدَلْ أَكْثَرُهُمْ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ،

(١) ابن الجوزي، المتظم، ٣٢٨ - ٢/٣٣١.

وَاجْتَنَلْتَهُمُ الشَّيَاطِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَضَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ) وهم (يَوْمَئِذٍ مِلَّةٌ مُتَفَرِّقَةٌ وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَظُرَائِقُ مُنَشَّئَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْجِدٍ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ).

لقد كانوا كما وصفهم أمير المؤمنين: عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٍّ يَشْرَبُونَ الْكَدِيرَ وَيَأْكُلُونَ الْجَشِيبَ وَيَسْفِكُونَ دِمَاءَهُمْ، وَيَقْطَعُونَ أَرْحَامَهُمُ الْأَصْنَامَ فِيهِمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْأَنَامُ بِهِمْ مَعْصُوبَةٌ.

اجتمعت عليهم العلل والأمراض الأخلاقية فلم يكتفوا بعلّة واحدة وزاد ذلك كله حالة الكبر والغطرسة التي اعترت أكابر مجرميهم ممن أعماهم الكبر عن رؤية الحق ودفعهم دفعاً لمعاندته ومما زاد طينهم بلة ذلك الحسد الذي اعتراهم وأصابهم وخاصة عندما رأوا بأم أعينهم ما اختص الله به رسوله محمداً ﷺ من الوحي والكرامة وكان موقفهم منه هو موقف الرفض والاستهجان لنبوة محمد ﷺ بغياً وحسداً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّيِّشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ بَعْضًا سُلْخًا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣١﴾ . [الزخرف: ٣١ - ٣٢].

ومن الطبيعي في ظل تلك الظروف أن يتفشى الظلم ويصبح هو القاعدة والقانون وأن يصبح الجور والإرهاب سائداً فتنام الناس وتصحو وشعارهم (أي غطاؤهم الذي يحتمون به) الْخَوْفُ وَدَثَارُهُمُ السَّيْفُ (الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأمن!!).

الكبر والغطرسة ومنطق القوة العمياء هو الذي دعا قريشاً للقتال في مواجهة الدعوة الإسلامية التي ستعيد رسم الخريطة السياسية والأخلاقية

والاجتماعية لمجتمع أمسى وأضحى يحكمه الجهل والتقليد الأعمى والتخلف فضلاً عن قانون الغاب الذي يأكل فيه القوي الضعيف ويعدو الناس بعضهم على بعض .

مجتمع تعود على البلادة والتقليد الأعمى للموروث الجاهلي فإذا به يواجه بنبي الله الذي يخاطبهم وينادي بالعدل ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وينادي بالعدل ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۖ أَلَّا تَقْلَقُوا فِي الْمِيزَانِ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ وهذه هي الطبيعة الغالبة على بني الإنسان ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ الدَّانِ﴾ فكيف يقبل مثل هذا المجتمع بدين ينذر الناس بيوم الحساب ويضع قاعدة الثواب والعقاب على الصغير والكبير ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ .

أما ما يزعمه الوهابيون من أن (المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ قد أقرؤا بتوحيد الربوبية، وإنما قاتلهم رسول الله ﷺ عند توحيد الألوهية، وأن الرجل لا يدخل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية وأن الذين أقرؤا بالربوبية دون الألوهية ما عرفوا التوحيد وإنهم منكرون دين الإسلام) فهو من بنات أفكار ابن عبد الوهاب لا أكثر ولا أقل .

إنها كما وصفها القرآن الكريم (الجاهلية الأولى) التي تكونت من ذلك الخلط الجاهل والمتعسف بين المعتقد الموروث القائم على غير أساس ولا دليل وتحالف القوة والثروة والمصالح التي ترى في إحياء دور العقل إحياء لدور البشرية المهملة والمغنية بفعل تغييبها العقلي والمعرفي وهو ما ترفضه وتآباه تلك القوى الظالمة والمتسلطة .

الجاهلية الأولى هو تعبير ذو دلالة بالغة الأهمية فالجاهلية الأولى

يمكن اتباعها بجاهلية ثانية وثالثة ورابعة إذا جرى تفعيل ذلك التحالف في دنيا الناس مرة أخرى بعد أن تلقى الضربة الأولى على يد الرسول الأكرم.

يخطئ من يظن أن الجاهلية الأولى كانت قاصرة على جاهلية المعتقد وكان الأمر كله كان صراعاً بين معتقد ومعتقد في عالم التجريد والمثال لا في عالم الواقع المعاش.

الإقرار بالحق الذي جاء به محمد ﷺ لم يكن يعني مجرد الانتقال من تصور ديني يؤمن بتعدد الآلهة إلى عالم التوحيد وحسب بل كان يعني أيضاً الانتقال من عالم يهيمن عليه أبو جهل وأبو سفيان والوليد بن عتبة وغيرهم من أكابر مجرميها وتكون لهم فيه الكلمة العليا في العقيدة والسياسة وتدير أمور الناس إلى عالم الطهارة الذي يسوده ويقوده محمد بن عبد الله وعلي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وهو أمر دونه الموت وهذا ما حدث بالفعل.

إنها القاعدة التي استنها هؤلاء وأقاموا عليها الجاهلية الثانية والعاشرة حيث يجري صياغة المعتقدات الدينية والتراتبية الاجتماعية خدمة للأمويين الجدد ونظرة واحدة على جاهليتنا المعاصرة تكشف عن تلك الحقيقة حيث يستخدم المال في شراء (رجال الدين) ليقوموا بدورهم في صناعة عقيدة وتصور يخدم سلطة الأمر الواقع قطعاً للطريق على كل من يحاول إعادة النجم إلى مساره المحمدي الأصلي.

إنها بكل تأكيد ليست جاهلية ردة وكفر مطلق عن الإسلام بل جاهلية دينية تؤثر تقليد الآباء والأحبار والرهبان الذين جرى توظيفهم ليقوموا بدور الآلهة الوسيطة لتتفرغ الآلهة الكبرى للقيام بدورها في

السلب والنهب والظلم وليعود الناس مرة أخرى إلى نقطة البدء..
شعارهم الخوف وثارهم السيف.

الدليل الأكبر على انتقال العرب من جاهلية أولى إلى جاهلية ثانية وربما ثالثة هو تسلل تلك التصورات الجاهلية عن الألوهية إلى بعض المتتمين للإسلام ومن أخطرها تلك التصورات التجسيدية للذات الإلهية التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام من تشبيه الله بِحَلْقِهِ والتي أوردها ابن أبي الحديد في شرحه للنهج بقوله وكان في العرب مشبهة ومجسمة منهم أمية بن أبي الصلت وهو القائل:

من فوق عرش جالس قد حط رجليه إلى كرسيه المنصوب
والغريب أن من يدعى بشيخ الإسلام ابن تيمية قد استدل في فتواه الحموية بقول الكافر أمية بن أبي الصلت الذي أنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال (حسب زعم ابن تيمية؟!) : آمن شعره وكفر قلبه:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء الأعلى الذي سبق النسا س وسوى فوق السماء سريراً
زاعماً أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله قد رضي عما زعمه ابن أبي الصلت من أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء أو كما قال ابن تيمية وكافره ابن أبي الصلت^(١).

لم يجد شيخ الإسلام ابن تيمية من يستدل به على صحة مذهبه التجسدي المشبه للذات الإلهية بمن خلقه الله تعالى سوى ابن أبي الصلت وهو بالتأكيد بسبب مرضه القلبي الذي لا دواء له حيث لا يمكنه

(١) ابن تيمية الحراني، مجموع الرسائل الكبرى، العقيدة الحموية الكبرى، ١/٤٣١.

الرجوع إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى لا يقع في جريمة (التشيع لعلي بن أبي طالب) ولا بأس أن يقع في جريمة التشيع والرجوع إلى كفار قریش .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وظيفة الأنبياء

إقامة الحجة

يقول الإمام علي عليه السلام:

فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَخْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرْوُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَفَفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَأَجَالَ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابَ تُهْرِمُهُمْ وَأَخَذَاتِ تَتَابَعِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِقِ سَمْعِي لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَايِرِ عَرَفِهِ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الدُّهُورُ وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْآبَاءُ^(١).

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهَلَ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونٍ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونٍ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ (أَيُّهُمْ

(١) نهج البلاغة، الخطبة الاولى.

أَحْسَنُ عَمَلًا)، فَيَكُونُ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً^(١).

يقول سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٥].

ويقول عز من قائل: ﴿وَنِلَّكَ حُجَّتَنَا ءَاتَيْنَاهَا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [٨٢] وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُورَيْيَمَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام ٨٣ - ٨٤].

﴿قُلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْأَبْلَغُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [١٤٩] قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام ١٤٩ - ١٥٠].

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَعِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ مَآ مَنَعْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى ١٥].

﴿وَلَإِنَّا لَنُؤْتِيَنَّكَ عَلَيْهِمُ مَّائِدَتَنَا يَتَسَلَوْنَ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوا بِمَا بَيْنَنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الباقية ٢٥].

معنى الحجة:

يقول الراغب الأصفهاني: الحجة هي الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين.

(١) السابق، الخطبة ١٤٤.

ويقول ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ يقول تعالى : أَرْسَلْتُ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِّئَلَّا يَخْتَجَّ مَنْ كَفَرَ بِي وَعَبَدَ الْأَنْدَادَ مِنْ دُونِي أَوْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِي بِأَن يَقُولَ إِنَّ أَرَذْتُ عِقَابَهُ ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه ١٣٤] فَقَطَعَ حُجَّةَ كُلِّ مُبْطِلٍ أَلْحَدَ فِي تَوْحِيدِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ بِجَمِيعِ مَعَانِي الْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ عُذْرَهُ، إِعْذَارًا مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَيْهِمْ لِيَكُونَ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ الثَّوَائِلِ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثنا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفْضَلِ، قَالَ: ثنا أَصْبَاطُ عَنْ السُّدِّيِّ: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فَيَقُولُوا: مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا. الطبري.

والمعنى أن الله تبارك وتعالى لا يكلف عباده بما لا يعرفون أو بغير الممكن ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَتْهَا﴾.

والتكليف صنفان صنف معرفي وصنف آخر يتعلق بإقامة الحجة على العباد والزمامهم بالتكاليف من خلال تقديم النموذج التطبيقي العملي الذي يقطع حجة المنتصلين أو المدعين عدم قدرتهم على أداء التكليف الإلهي.

النوع الأول من أنواع التكليف هو النوع المعرفي وهو ما يتعين على المكلف معرفته من توحيد الله ﷻ والإيمان بالبعث والحساب والثواب والعقاب وهو ما قضت حكمته ﷻ أن يرسل الأنبياء والرسل ليلبغوه للناس ويقطعوا السبيل على المتألهين والمنحرفين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون وهكذا فإن الصراع الأزلي بين الحق والباطل والإيمان والكفر والتوحيد والشرك لا بد أن ينتهي بتلك النتيجة الطبيعية ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ وهكذا فإن الصراع الأزلي بين الحق والباطل والإيمان والكفر والتوحيد

والشرك لا بد أن ينتهي بتلك النتيجة الطبيعية ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.... ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.... ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾. وكما يقول أمير المؤمنين فإن إقامة الحجة على الناس بلسان الصدق والإخلاص لرب العالمين - لسان الأنبياء والمرسلين - ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.... ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ يقطع سبيل الاعتذار للمعتذرين.. فَلَا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِغْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصُّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ.

كما أن البلاغ النبوي عن رب العالمين يحدد معالم الصراع بين الحق والباطل ويجعل من الدنيا ساحة اختبار لا ساحة قرار ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم بأعمالهم لا بسابق علم الله فيهم.... وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَهُمْ ﴿إِنْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فَيَكُونُ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً. أي نتيجة عادلة حيث يبوء الظالم بظلمه والآثم بإثمه.. كما قال أمير المؤمنين.

ويبقى أن تقديم الدين للناس بصورة صحيحة لا يمكن أن يكون إلا عبر الأمانة على هذا الدين العالمين به على وجهه الصحيح ممن يؤمن منهم عدم تعدد الخطأ أو التحريف وممن يُطمئن إلى سعة علمهم ومعرفتهم وورعهم وتقواهم فلا يقع منهم السهو أو خطأ النقل أو الجهل.

إنها مهمة ما زالت مستمرة ومتواصلة في دنيا الناس ما اختلف الليل والنهار وهي نقل الدين للناس بصورة صحيحة أمينة وواعية لا تتم ولا تكتمل إلا بالنقل الأمين المعصوم عن خاتم الأنبياء والمرسلين وهي مهمة لا يقدر على حملها والاضطلاع بها من وجهة نظرنا إلا الأئمة من آل محمد ﷺ.

الوجه الثاني من وجوه إقامة الحجة على المكلفين هو الجانب العملي التطبيقي أو إقامة الواجبات والفرائض التي فرضها الله على خلقه

على الوجه الأكمل لأن الله سبحانه لا يكلف نفساً إلا وسعها ومن ثم فإن ما يقدر الإنسان المكلف بإقامة الحجة الإلهية على الناس على القيام به يصبح داخلاً في الوسع الإنساني ويدخل في إطار التكليف بالممكن لا بالمستحيل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾.

فالله تبارك وتعالى فرض الحج إلى بيت الله الحرام في مكة وليس إلى القمر ورغم أن بعض البشر قد تمكنوا من الوصول إلى تلك البقعة إلا أنه تكليف بالمستحيل بالنسبة لعامة الناس.

الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ٢٤ ولا شك أن أغلب الناس يصلون ولا يقيمون الصلاة على وجهها الأكمل ولذا تعين أن يوجد دوماً من بين المسلمين من يؤدي تلك العبادة على وجهها الأتم فيتحقق فيه النموذج الإنساني الأكمل لعبادة الله وحسن الخلق وطيب المعاشرة لئلا يقول قائل كان من الممكن أن نفعل كذا وكذا لو كنا في عصر النبوة أما الآن فقد أصبح هذا تكليفاً بغير الممكن ولذا اقتضى اللطف الإلهي بقاء الحجة واستمرارها في أداء مهمتها سواء كان الحجة رسولاً نبياً يوحى إليه أو إماماً لا يوحى إليه ولكنه إنسان من لحم ودم يأكل مما يأكله الناس ويشرب مما يشربون ويفرح ويألم إلا أنه في النهاية عبد من عباد الله ﴿عِبَادُ تُكْرَمُونَ﴾ ٢٦ لَا يَسْجُدُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقَعُونَ ٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ وَهُمْ بَيْنَ خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ ٢٨ [الأنبياء ٢٦ - ٢٨].

وسائل إقامة الحجة:

يبين لنا أمير المؤمنين في خطبته الطرق والوسائل التي سلكها الأنبياء والمرسلون حجج الله على عباده في إقامة الحجة على الخلائق فهو سبحانه قد أرسلهم:

أولاً: لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ. أي ليذكروا الإنسان بهذا الميثاق المودع في داخله والذي يلبي شوقه المغروس في نفسه للخير إذ إن كل إنسان يولد على الفطرة التي فطر الله الناس عليها ﴿فَأَفْهَمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم ٣٠].

تلك الفطرة التي تدعن لخالقها ولا تنتكر له والتي تتجه دوماً نحو الطيبات وتنفر دوماً من الخبائث وتحب العدل وترفض الظلم وتبغض الظالم وتتعاطف مع المظلوم وبالتالي فالرسالات السماوية جاءت لترد الإنسان إلى فطرته التي خلقت عليها وإلى إنسانيته الكاملة وتمنع ارتكاسه إلى مخلوق لا يختلف كثيراً عن الحيوانات الضارية.

ثانياً: وَيَذْكُرُوهُمْ مَنِيِّ نِعْمَتِهِ.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَخَّرَ الْبَعْرَ إِنَّا كُنَّا مِنْهُ لَحَمًا طَرِيًّا وَنَسَخْنَاهُ مِنْهُ جِلْءَةً تَلْبُسُونَهَا وَنَمَكَّنَّا لِلْفَلَكِ مَوَاقِرَ فِيهِ وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٤] ﴿وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ نَبْدَ بِكُمْ فَأَنْهَرَا وَنُجَلًا لَكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥] ﴿وَعَلَّمْنَا وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦] ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١٧] ﴿وَلَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل ١٤ - ١٨].

فما أسرع ما ينسى الإنسان ما منحه الله تبارك وتعالى من نعم وينسى أن من أعطى يمكن أن يأخذ وهكذا فإن البطر والترف كانا من بين أسباب هلاك الأمم وطردها من رحمة الله ﷻ ووقوعها في دائرة العقاب الأليم.

ثالثاً: وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّلْيِخِ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

رابعاً: إحياء دور العقل:

وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمُقْدِرَةِ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ

مَرْفُوع، وَمِهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوع، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَأَجَالَ تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابَ تُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاثَ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ،

إنه دور العقل الذي كرم الله به بني آدم وفضلهم به على العالمين ومن ثم جاء الأنبياء يدعون الناس للنظر وإعمال العقل والتفكر في خلق السماوات والأرض.

يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَتَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ قِيَمًا عَذَابَ النَّارِ ۚ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ ۚ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۚ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ۚ﴾ [آل عمران ١٩٠ - ١٩٤].

كما تظاهرت الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت والتي تؤكد على أهمية إعمال العقل الإنساني فلا يكمل إيمان عبد إلا إذا كمل عقله ولا شك أن ما أصاب المسلمين من تخلف وانحطاط جاء بسبب هذا الإيمان المنتزع عن السياق العقلي والذي يجمع الروايات من هنا وهناك فلا يجمعها جامع ولا ينظمها سياق.

إنه العقل الذي يؤمن بالشيء ونقيضه فيؤمن بالظلم والعدل في آن واحد ويصر على اتباع الآباء والأجداد من دون نقد ولا تمحيص ويقول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ لَا هُدًى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۚ﴾ ١١.

الروايات التي تكرم العقل:

الكافي: قال رسول الله ﷺ: ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من

العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته وما يضر النبي ﷺ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى: ﴿...وَلِتَذَكَّرْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝﴾.

الكافي: عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَيَّرَ عِبَادَ ۝١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝١٨﴾.

يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال: ﴿وَاللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝١٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْمَالِكِ الَّذِي يَبْتَغِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٤﴾.

يا هشام قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً فقال: ﴿رَسَخَ لَكُمْ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ وَالسَّنَسَ وَالْفَمَرَّ وَالْجُودُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ ۝١٥﴾. وقال ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ رُءُوبٍ ثُمَّ مِنْ تَفَافٍ ثُمَّ مِنْ عَفَقٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَمَّا تُمَوَّلُوا ۝١٦﴾ وقال: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ؕ إِنَّ فِي لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ ۝١٧﴾ وقال ﴿...يُخَيِّمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَمَّا كُنْتُمْ تُعْقِلُونَ ۝١٨﴾ وقال ﴿وَجَعَلْتُ مِنْ أَعْتَسَمٍ رِزْقاً وَنَجِلاً

صَنَوانٌ وَقَبْرٌ صِنَوانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدٍ وَتَفْصِلُ بَيْنَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦١﴾ وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِمُ يُرِيْبُكُمُ الْبَرْقَ
 حَوَماً وَمَكْماً وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٢﴾ وقال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ
 عَنِ كُتُبِكُمْ إِلَّا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئاً وَالَّذِينَ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
 إِمْلَاقٍ تَحْتُمُوتُ زُرْعَتُكُمْ وَإِنْسَانُهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
 وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَمَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ ﴿١٦٣﴾ وقال: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا
 رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ بِهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾.

يا هشام ثم وعظ أهل العقل ورجبهم في الآخرة فقال ﴿وَمَا الْحَيَوةُ
 الدُّنْيَا إِلَّا لَيْبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾. يا
 هشام ثم خوف الذين لا يعقلون عقابه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ دَرَسْنَا
 الْآخِرِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلَلَكُمْ لُحُومٌ عَلَيْهِمْ تُصَيِّبِينَ ﴿١٦٧﴾ وَالْبَلَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٨﴾.

وقال: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا
 كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ رَزَقْنَاهَا آيَةً يَسْتَكْفِرُونَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧٠﴾.

يا هشام إن العقل مع العلم فقال: ﴿وَبِذَلِكَ الْأَمْتِدِلُ نَضْرِيْهَا لِلنَّاسِ
 وَمَا يَقُولُهَا إِلَّا الْمَكْلُومُونَ ﴿١٧١﴾.

يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿...قِيلَ لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ
 اللَّهُ قَالُوا بَلَىٰ نَتَّبِعُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا عَلَيْهِ آيَاتُهُ أَوَلَوْ كُنَّا عَابِدًا لَهُمْ لَا يَقُولُونَ شَيْئاً
 وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٢﴾ وقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ
 إِلَّا دُعَاةً وَنِدَاءً مُّمْ بِكُمْ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ
 إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الْعُمْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٤﴾ وقال: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ

أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْثَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١١﴾ .

وقال: ﴿لَا يُقْبِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَادٍّ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَقُولُونَ ﴿١٢﴾﴾ .
وقال: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾﴾ .

يا هشام ثم ذم الله الكثرة فقال: ﴿وَلَنْ تُلَاقَ أَكْثَرَهُمْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ . وقال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

وقال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْنِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾﴾ .

يا هشام ثم مدح القلة فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٦﴾﴾ .

وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ . وقال: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ . وقال: ﴿وَمَنْ مَأْمَنُ وَمَا مَأْمَنُ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١٧﴾﴾ . وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ .

وقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾﴾ . وقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ .

يا هشام ثم ذكر أولي الأبواب بأحسن الذكر وحلامهم بأحسن الحلية فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٠﴾﴾ .

وقال: وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ فِي آلِهِمْ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ . وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاتِّخَافِ الْبَلَدِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢٢﴾﴾ .

وقال: ﴿أَمْسَنَ بَلَدُ أُنْثَى أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْفَقْرَ كَنْ هُوَ أَمْسَنُ إِنْهَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٣﴾﴾ .

وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَتِيتُ مَائَةً أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَرَجُوا رَحْمَةً رَّبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾﴾.

وقال: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبَرِّكًا لِيَذَرُوا مَائِنَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾﴾. وقال: ﴿وَلَقَدْ مَائِنَا مَوْسَى الْهَدَى وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿١٢﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣﴾﴾. وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

يا هشام إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يعني: عقل، وقال ﴿وَلَقَدْ مَائِنًا لِّقَمْنِ الْحِكْمَةِ﴾ قال: الفهم والعقل.

يا هشام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس وإن الكيس لدى الحق يسير.

يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير فلنكن سفيتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر.

يا هشام إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكير ودليل التفكير الصمت ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه.

يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام إن الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام إن العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره .

يا هشام من سلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هدم عقله :
من أظلم نور تفكره بطول أمله ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودينه .

يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك .

يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها ورغب فيما عند الله وكان الله أنسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة وغناه في العيلة، ومعزه من غير عشيرة .

يا هشام نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل .

يا هشام قليل العمل من العالم مقبول مضاعف وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود .

يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم .

يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض .

يا هشام إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشقة، فطلب بالمشقة وأبقاهما .

يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة مطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرع إلى الله ﷻ في مسألته بأن يكمل عقله فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً.

يا هشام إن الله حكى عن قوم صالحين: أنهم قالوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ حين علموا أن القلوب تزيف وتعود إلى عماها ورداها.

إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصداقاً وسره لعلانيته موافقاً لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول ما عبد الله بشيء أفضل من العقل وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى: الكفر والشر منه مأموران والرشد والخير منه مأمولان وفصل ماله مبذول وفصل قوله مكفوف ونصيبه من الدنيا القوت لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه ويرى الناس كلهم خيراً منه وأنه شرهم في نفسه وهو تمام الأمر.

يا هشام إن العاقل لا يكذب وإن كان فيه هواه .

يا هشام لا دين لمن لا مروءة له ولا مروءة لمن لا عقل له وإن أعظم الناس قدراً الذي لا يرى الدنيا لنفسه خطراً أما إن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها .

يا هشام إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سئل وينطق إذا عجز القوم عن الكلام ويشير بالرأي الذي يكون فيه صلاح أهله فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شيء فهو أحمق .

إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس في صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهم فمن لم يكن فيه شيء منهم فجلس فهو أحمق .

وقال الحسن بن علي عليه السلام: إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها قيل يا بن رسول الله ومن أهلها؟ قال الذين قص الله في كتابه وذكرهم فقال: ﴿إِنَّا يَذْكُرُ أُولَ الْأَكْبَرِ﴾ (١١) قال: هم أولو العقول .

وقال علي بن الحسين عليه السلام: مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح وآداب العلماء زيادة في العقل وطاعة ولادة العدل تمام العز واستثمار المال تمام المروءة وإرشاد المستشار قضاء لحق النعمة وكف الأذى من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً .

يا هشام إن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه ولا يعد ما لا يقدر عليه ولا يرجو ما يعنف برجائه ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه .

ويبقى أن اقتفاء آثار الحجة والاقتداء بها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ

فِيهِدَهُمْ أَفْقَدَهُ ﴿١٢﴾ هو الضمان الأكيد لتصحيح العمل والسير على بصيرة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ ولا يخفى على أحد أن المرض أحد أخطر الأمراض التي ضربت هذه الأمة هو مرض السير العشوائي واتباع الهوى الذي يعمي ويصم لأن (النَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأَ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ۱٩ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْعَامِلَ بغيرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غيرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرًا: أَسَائِرُهُ أَمْ رَاجِعٌ ۱٩) (١).

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٦٠.

أهل البيت عليه السلام

ودورهم في مواصلة إقامة الحجة

قلنا سابقاً إن رسالة الأنبياء في إقامة الحجة على الخلائق تنقسم إلى قسمين قسم يتعلق بالبلاغ الأتم الأكمل وقسم يتعلق بالتطبيق الأكمل للدين وتقديم الأسوة والنموذج وهو الإنسان الكامل وقلنا أيضاً إن إقامة الحجة وسائل وأساليب منها إبلاغ الناس بحقائق الدين والواجب المتعين عليهم أداؤه ليتحقق معنى الإيمان بالله وتذكير الناس بفطرتهم الأصلية السليمة التي خلقوا عليها وتذكيرهم بنعم الله عليهم سواء كان هذا في عموم الكون أو في أنفسهم أو في ثمرات الإيمان بالله ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَغْوِئْ وَلَا يَشْغَى﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً، يضاف إلى هذا تحريك العقول الجامدة وتدريبها على التفكير في خلق الله والسعي في الأرض لنفع الناس وفعل الخير والاعتبار بقدرة الله وقدرته على نصر المظلوم من الظالم وكيف أخذ من أخذ من الظالمين بالمثل والعقاب الأليم.

يبقى أن الأنبياء والمرسلين لا يمكن لهم أن يؤديوا كل تلك المهام بمفردهم خاصة إذا علمنا أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله كان خاتم الأنبياء والمرسلين وأن الأمة الإسلامية هي خاتم الأمم وأن مسيرة الإنسانية نحو الرفعة والتكامل وإقامة صرحها الحضاري تحتاج إلى وجود الحجة دوماً

كما أن الحجة أو الإمام قد استلم كل مهام النبوة الأربع التي ذكرناها
عدا مهمة تلقي الوحي والتبليغ عن رب العالمين.

إن وظيفة الحجة في مرحلة ما بعد النبوة هي نفس وظيفتها في
مرحلة النبوة والفارق الوحيد يتلخص أن الوحي قد انقطع برحيل
رسول الله ﷺ عن هذه الدنيا:

١ - التبليغ عن رسول الله لا عن رب العالمين.

٢ - رد الأمة إلى الفطرة السوية ومواجهة الانحرافات الأخلاقية.

٣ - تذكير الناس بنعم الله عليهم.

٤ - دفع الأمة لإعمال العقل وتطوير مسيرة العلم والتحضر الاجتماعي
والرقي الأخلاقي.

إنها مهمة ووظيفة لا تتوقف حتى تقوم الساعة ويرث الله الأرض
ومن عليها.

يقول الإمام علي بن أبي طالب:

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمَحَمَّدٍ ﷺ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ فَأَكْرَمَهُ عَنْ
دَارِ الدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبَلْوَى فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا
خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَثْرُكُوهُمْ هَمَلاً بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا
عَلَمٍ قَائِمٍ.

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ: مُبَيَّنّاً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَقَرَأَيْضَهُ وَقَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ
وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ وَعَبْرَهُ وَأَمْثَالَهُ وَمُرْسَلَهُ
وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً جُمْلَهُ، وَمُبَيَّنّاً غَوَامِضَهُ.

بَيْنَ مَاخُودٍ مِثْقَاقِ عِلْمِهِ، وَمَوْسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيِّنَ مُثَبَّتٍ

فِي الْكِتَابِ قَرْصُهُ، وَمَعْلُومٌ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٌ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ،
وَمُرْخَصٌ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيِّنٌ وَاجِبٌ بِوَقْفِهِ، وَزَائِلٌ فِي مُسْتَقْبَلِهِ،
وَمُبَايِنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَصَدَ لَهُ
غُرْفَانَهُ، وَبَيِّنٌ مَقْبُولٌ فِي أَذْنَاهُ، وَمَوْسِعٌ فِي أَفْصَاهُ^(١).

ويقول ﷺ في وصف أهل بيت النبوة والكمال:

هُمْ مَوْضِعٌ سِرُّو، وَمَلَجَأٌ أَمْرُو، وَعَيْنُهُ عِلْمِي، وَمَوْزِلٌ حُكْمِي، وَكُثُوفُ
كُتُبِي، وَجِبَالٌ دِينِي، بِهِمْ أَقَامَ انْجِنَاءُ ظَهْرِي، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادُ فَرَائِصِي.

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وَحَصَّدُوا الثُّبُورَ، لَا يُقَاسُ بِآلِ
مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ
أَبَدًا. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ
الثَّالِي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمُ الرِّسَالَةُ وَالْوَرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ
رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُتَقَلِّبِهِ^(٢).

ويقول أيضاً: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ! وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ،
وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ
وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيَّكُمْ؟ وَهُمْ أَرْمَةُ الْحَقِّ، وَالسِّنَةُ الصَّدَقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ
مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ^(٣).

وكذلك قوله: نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوءَةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ
الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَتَبَايِعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُجِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرُّحْمَةَ
وَعَدُونَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ^(٤).

(١) نهج البلاغة، الخطبة الاولى.

(٢) السابق، خطبة ٢.

(٣) السابق، خطبة ٨٦.

(٤) خطبة ١٠٨.

ويقول ﷺ: أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِبًا وَيَغْيًا عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ.

بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَبِنَا يُسْتَجَلَى الْعَمَى. إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبُظْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ^(١).

فالرسول الأكرم ﷺ خَلَفَ فِي أُمْتِهِ مَا خَلَقَتْ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِيهَا إِذْ لَمْ يَتَرَكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ وَهَذَا الطَّرِيقُ لَهُ أَسَسٌ وَمَعَالِمٌ تُلَخِّصُهَا الْوَصِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ الْكَرِيمَةُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ وَهُوَ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ الَّذِي رَوَاهُ أَصْحَابُ السَّنَنِ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَالَّذِي يُؤَكِّدُ عَلَى أَهْمِيَةِ الْاِقْتِدَاءِ بِأَيَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ وَأَخَذَ عُلُومَ الْقُرْآنِ عَنْهُمْ وَهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ لَا عَنْ غَيْرِهِمْ وَلِذَا فَقَدْ بَيْنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ شَيْئًا مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَأَقْسَامِ الْأَحْكَامِ فَالْقُرْآنُ فِيهِ:

- ١ - علم الحلال والحرام.
- ٢ - وما افترضه الله على عباده من الواجبات مثل الصلاة والصيام والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣ - علم الأخلاق وتركية النفس.

كما ينبهنا الإمام إلى أن الخطاب القرآني فيه الناسخ والمنسوخ وفيه الرخص التي إن شاء المرء أخذ بها وإن شاء لم يأخذ وفيه عزائم الله التي يحب سبحانه أن تؤتى وفيه الخطاب الخاص الموجه لرسوله أو

(١) السابق، خطبة ١٤٤.

لأزواجه دون غيرهن من النساء وفيه الخطاب الموجه للناس كافة وفيه المحدود بزمان ولى وانقضى أو زمان سيأتي به الله وهو وعد الله القادم لا ريب فيه كما أن فيه المحكم والمتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم.

لقد خلف رسول الله ﷺ كل هذا العلم عن القرآن مفسراً ومشروحاً غوامضه وفيه ما يتعين على كل مسلم أن يعرف ويقر به ويدعن له وفيه ما لا يعلمه ولا يفقهه إلا الراسخون في العلم من خاصة أولياء الله المقربين (يَبْنِي مَا أُخُوذُ مِثْقَالَ عِلْمِيهِ، وَمَوْسَعٌ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ وَيَبْنِي مُبْتَتٍ فِي الْكِتَابِ قَرْضُهُ وَمَعْلُومٌ فِي السُّنَّةِ نَسْحُهُ، وَوَاجِبٌ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ وَمُرْخَصٌ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَيَبْنِي وَاجِبٌ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٌ فِي مُسْتَقْبَلِهِ وَمُبَایِنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، - إذ ليس كل أنواع المعاصي شيئاً واحداً فمنها الكبير ومنها الصغير - مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرَصَدَ لَهُ عُقْرَانُهُ، وَيَبْنِي مَقْبُولٌ فِي أَذْنَاهُ، وَمَوْسَعٌ فِي أَقْصَاهُ).

فأين ذهب كل هذا العلم بعد موت رسول الله ﷺ وكيف يمكن لكائن من كان أن يقدم لنا الدين في صورته الصحيحة فلا يمزج بين الحق والباطل والخطأ والصواب من دون أن يكون مطلعاً على كل هذه العلوم وفي نفس الوقت فإن أحداً من المسلمين لا من جيل الصحابة أو جيل التابعين أو ممن جاء بعدهم لم يدع لنفسه هذا العلم أو تلك المعرفة.

إنهم إذاً أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهم من وصفهم الإمام بأنهم مَوْضِعُ سِرِّهِ... وَمَلَجَأُ أَمْرِهِ... وَعَيْتُهُ عَلَيْهِ - أي وعاء هذا العلم وحفظته - وَمَوْزِلُ حُكْمِهِ، وَكُھُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ ﴿رَوَايَا أَنَّ نَبِيَّكُمْ﴾ ١١ بِهِمْ أَقَامَ انْجِنَاءَ ظَهْرِهِ (أي قام عمود الدين شامخاً) وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ قَرَائِصِهِ (فسلم من الآفات والانحرافات التي وقعت في الأمم السابقة).

فلا عجب إذا أن يؤكد الإمام الأوجه للمقارنة بين آلِ مُحَمَّدٍ وأحد من هذه الأئمة ولا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا.

فَهُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي أَيُّ الْمَتَرَفِ فِي تَدِينِهِ وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي أَيُّ الْمَقْصَرِ الْمَهْمَلِ فِي أدَاءِ فَرَائِضِهِ وَلَهُمْ خَصَاصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وَفِيهِمْ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاةُ.

إنهم إذا الحجة على الخلائق بعد رسول الله ﷺ.

مفهوم الحجة عند أئمة أهل البيت ﷺ:

روى الكليني في الكافي باب الحجة:

- علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن منصور بن يونس وسعدان بن مسلم عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ قال سمعته يقول إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام كيما إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم.
- محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن ربيع بن محمد المسلي عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله ﷺ قال: ما زالت الأرض إلا والله فيها الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله .
- علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ قال: والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم ﷺ إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده^(١).

(١) الكليني، الكافي، باب الحجة ج ١.

معجزات الرسول الأكرم

يقول الإمام علي بن أبي طالب: وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَارْتِنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «وَمَا تَسْأَلُون؟».

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِمُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «فَإِنِّي سَارِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَا عَلِمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيثُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يَطْرَحُ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ يُحْزِبُ الْأَحْزَابَ».

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِمُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ».

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا تَقْلَعْتُ بِمُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَضَفَتْ كَقَضَفِ أَجْنِيحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرْفَرَفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُضَنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِغَضِ أَعْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ﷺ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا - عَلَوْا وَاسْتَكْبَارًا - : فَمَرَهَا فَلْيَأْتِكَ
نِصْفَهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا .

فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّ دَوِيٍّ ،
فَكَادَتْ تَلْتَفِتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَقَالُوا - كُفْرًا وَعُتُوًّا - : فَمَرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا
كَانَ .

فَأَمَرَهُ فَرَجَعَ .

فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ
مَنْ آمَنَ بَأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَصْدِيقًا لِنُبُوءِكَ ، وَإِجْلَالًا
لِكَلِمَتِكَ .

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاجِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السَّخْرِ خَفِيفٌ فِيهِ
وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا ! يَغْنُونَنِي .

وَأِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ ، سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتُ
الصَّادِقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ ، عُمَارُ اللَّيْلِ ، وَمَنَارُ النَّهَارِ ، مُتَمَسِّكُونَ
بِحَبْلِ الْقُرْآنِ ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ ،
وَلَا يَغْلُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ !^(١) .

إنها نفس الرواية التي ذكرها ابن هشام في سيرة النبي عندما حكي
عن المستهزئين ومن بينهم : ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب
وكان شديد العداوة لرسول الله فلقى النبي ﷺ فقال : يا بن أخي بلغني
عنك أمر ولست بكذاب فإن صرعتني علمت أنك صادق ولم يكن يصصره
أحد فصصره النبي ﷺ ثلاث مرات ودعاه رسول الله إلى الإسلام فقال :

(١) نهج البلاغة ، خطبة ١٩٢ .

لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة فقال لها رسول الله ﷺ: اقبلي فأقبلت
تخذ الأرض فقال ركانة ما رأيت سحرًا أعظم من هذا مرها فلترجع
فامرها فعادت فقال: هذا سحر عظيم^(١).

معجزة انشقاق القمر

قال تعالى: ﴿اَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَلَنْ يَرَوُا آيَةً يُعْرَضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعِزٌّ ۚ وَكَلْبُوا وَاتَّبِعُوا اَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ امْرِ
مُتَسَفِّرٍ ۝﴾ [سورة القمر].

ذكر ابن كثير في تفسيره^(٢):

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ﴾ قَدْ كَانَ هَذَا فِي زَمَانِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ.

وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَيُّ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ قَدْ وَقَعَ فِي زَمَانِ
النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ كَانَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ.

ذَكَرُ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ: «رِوَايَةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ» قَالَ الْإِمَامُ
أَحْمَدُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ
سَأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ ﴿اَفْتَرَيْتَ
السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ﴾ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ
الرَّزَّاقِ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ
الْمُقَفَّلِ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أَهْلَ
مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حَتَّى رَأَوْا

(١) سيرة النبي لابن هشام ج ١، ص ٢٦٢. طبعة دار الطلائع. ٢٠٠٥.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٦١ - ٢٦٢، طبعة عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.

حِرَاءَ بَيْنَهُمَا. وَأَخْرَجَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُؤَدَّبِ عَنْ شَيْبَانَ عَنْ قَتَادَةَ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا عَنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّلِيلِيِّ وَيَحْيَى الْقَطَّانَ وَغَيْرَهُمَا عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ بِهِ (رَوَايَةُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ ثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَشَقُّ الْقَمَرَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَفِرْقَةٌ عَلَى هَذَا الْجَبَلِ فَقَالُوا سَحَرْنَا مُحَمَّدٌ فَقَالُوا إِنْ كَانَ سَحَرْنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ تَقَرَّدَ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَأَسْنَدَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَخِيهِ سُلَيْمَانَ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَهَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ وَغَيْرِهِ عَنْ حُصَيْنِ بِهِ وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَاهِمَانَ وَهَشِيمٍ كِلَاهُمَا عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ فَلَذَكَرَهُ.

رَوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ كَثِيرٍ حَدَّثَنَا بَكْرٌ عَنْ جَعْفَرٍ عَنْ عِرَاكَ بْنِ مَالِكٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: إِنَشَقُّ الْقَمَرَ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ بَكْرٍ بْنِ مُضَرٍّ عَنْ جَعْفَرٍ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ عِرَاكَ بِهِ مِثْلَهُ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ مُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. فِي قَوْلِهِ ﴿اَفْتَرَيْتَ السَّاعَةَ﴾ وَأَنَشَقَّ الْقَمَرَ ﴿وَلَنْ يَرَوْا مَائَةً يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعِيرٌ﴾ ﴿وَكَلَّبُوا وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَفِيرٌ﴾ ﴿قَالَ قَدْ مَضَى ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ إِنَشَقَّ الْقَمَرَ حَتَّى رَأَوْا شِقْنِيهِ. وَرَوَى الْعَوْفِيُّ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوُ هَذَا وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَزَّازُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْقُطَيْمِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ شُكْرٍ حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُسِفَ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا سَحَرَ الْقَمَرُ فَنَزَلَتْ ﴿اَفْتَرَيَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿مُسَيِّرٌ ۝﴾ رِوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ النَّبْهَاقِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَاضِي قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْأَصَمُّ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّوْرِيُّ حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿اَفْتَرَيَ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾ قَالَ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اِنْشَقَّ فَلْنَقْتَيْنِ فَلَقَّةٌ مِنْ دُونَ الْجَبَلِ وَفَلَقَةٌ مِنْ خَلْفِ الْجَبَلِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «اللَّهُمَّ اِشْهَدْ» وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ طُرُقٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ بِهِ قَالَ مُسْلِمٌ كَرِوَايَةٍ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ «رِوَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ» قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ اِنْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اِشْهَدُوا» وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بِهِ وَأَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ بِهِ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنِي عِيْسَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عِيْسَى الرَّمْلِيُّ حَدَّثَنَا عَمِّي يَحْيَى بْنُ عِيْسَى عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَى فَاَنْشَقَّ الْقَمَرُ فَاَخَذَتْ فِرْقَةٌ خَلْفَ الْجَبَلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اِشْهَدُوا، اِشْهَدُوا» قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَقَالَ أَبُو الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِمِثْلِهِ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّلَالِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْمُغِيرَةِ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ إِنَّشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ قَالَ فَقَالُوا أَنْظُرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السَّفَارُ فَإِنَّ مُحَمَّداً لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَالَ فَجَاءَ السَّفَارُ فَقَالُوا ذَلِكَ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا هِشَامُ حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ إِنَّشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَهْلُ مَكَّةَ هَذَا سِحْرُ سَحَرَكُمُ بِهِ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ أَنْظُرُوا السَّفَارُ فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مِثْلَ مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرُ سَحَرَكُمُ بِهِ قَالَ فَسُئِلَ السَّفَارُ قَالَ وَقَدِمُوا مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ فَقَالُوا : رَأَيْنَا. وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بِهِ وَزَادَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿اقْرَبِي السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۝﴾. ثُمَّ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُليَّةَ أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ عَنْ مُحَمَّدٍ هُوَ ابْنُ سِيرِينَ قَالَ ثُبُتٌ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ لَقَدْ إِنَّشَقَّ الْقَمَرُ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ عُمَارَةَ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ الْجَبَلَ مِنْ فَرْجِ الْقَمَرِ حِينَ إِنَّشَقَّ. وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُؤَمِّلٍ عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ سِمَاكٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ إِنَّشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ مِنْ بَيْنِ فُرْجَتَيْ الْقَمَرِ وَقَالَ لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ إِنَّشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ «إِشْهَدْ يَا أَبَا بَكْرٍ» فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ سَحَرَ الْقَمَرَ حَتَّى إِنَّشَقَّ.

دلالة المعجزات النبوية:

لا شك أن واقعة انشقاق القمر وغيرها من الوقائع هي من معجزات النبوة وهي بعبارة أخرى تشكل جزءاً من الولاية التكوينية التي قد يهبها الله لرسله وأنبيائه وخاصة أوليائه.

إنها ليست حدثاً منفصلاً عن سياق النبوة وإقامة الحجة على الخلائق أجمعين.

فسجود الملائكة لآدم عليه السلام داخل في هذه الولاية التكوينية وهو سجدود الخضوع والطاعة لنبي الله ولسر الله المودع في أرواح الأنبياء فضلاً عن أنه خضوع لمن حمله الله أمانة الدين ﴿وَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين.

وإذا كانت الملائكة قد سجدت لآدم أي خضعت وأذعنت واثمرت بأمر الله فالملائكة ليست سوى جند من أجناد الله تنفذ ما يأمر به الله ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿١٠١﴾.

من هنا فحدوث المعجزات على يد النبي الأكرم محمد ﷺ سيد الخلق والحجة على العالمين فضلاً عن ثبوته بالنص القرآني والروايات المتواترة لم يكن يوماً إلغاء للعقل كما تصور البعض ممن ذهبوا في رفضهم لمعجزات النبوة حذاً جاوز المعقول وكفي أن نقرأ الآية الثانية من سورة القمر ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعِزٌّ﴾ ﴿١٠١﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَمْرُجُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ عَنْ قَوْمٍ مُسْحُورُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الحجر ١٤ - ١٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْفُتُوحَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿١٠٥﴾ [يونس ٩٦ - ٩٧] لنعرف أن الهدف من هذه المعجزات

لم يكن دفع هؤلاء للإيمان بل الوصول معهم إلى آخر الطريق في إقامة الحجّة عليهم لئلا يقولوا لو جاءنا الرسول بمعجزة لآمنّا!!.

وها قد جاءهم الرسول بما طلبوا فما آمنوا ولا أسلموا ولا طابت قلوبهم بالإيمان بنوّة محمد ﷺ وظلّوا على عنادهم وقتلهم لرسول الله حتى عضهم السيف فأعلنوا استسلامهم بعد أن جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

وإذا أكملنا قراءة رواية الإمام علي بن أبي طالب عن معجزة الشجرة نرى رسول الله ﷺ وهو يخبرهم بخبيثة أنفسهم وأن طلبهم للمعجزة لا يعدو كونها عناداً ومكابرة (فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَا عَلِّمُ أَنتُمْ لَا تَفِيثُونَ إِلَيَّ خَيْرَ وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ) وكانت المعجزة الكبرى والآية العظمى عندما انتهى الأمر بهؤلاء القوم تلك النهاية السوداء التي اختاروها لأنفسهم فمنهم من كان مثواه الأخير تلك البئر الهاوية الذي ألقوا فيه بعد هزيمتهم يوم بدر ومنهم من امتد به العمر وغلبت عليه شقوته فمضى يحزب الأحزاب ويجمع قوى الكفر والضلال لحرب رسول الله ﷺ ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْمَذَابُ وَالْبَاطِلُ فَلْيَسْأَلُوا مَنْ هُوَ شَرُّ مَثَلًا وَأَضَعُفُ جُنْدًا ۝٧٥ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾ [مريم ٧٥ - ٧٦].

الدكتور هيكل ينفي وقوع المعجزات النبوية!!

أحد الذين سعوا لنفي معجزات النبي الأكرم محمد ﷺ انتصاراً للعقل جاوز به حد المعقول هو الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد.

الدكتور هيكل هو أحد أهم من تصدوا لكتابة السيرة النبوية في

عصرنا الحديث وكتابه (حياة محمد) الذي صدر في ثلاثينات القرن الماضي به الكثير من النقاط الإيجابية التي ينبغي أن تذكر لصالحه، إلا أن أبرز نقاط الضعف في هذا الكتاب هو إسقاطه شبه المطلق لمعجزات وكرامات الرسول الأكرم محمد ﷺ.

استشهد الدكتور هيكل على صحة منهجه في إسقاط معجزات النبوة بمحمد رشيد رضا (أحد أبرز مؤسسي التيار السلفي في مصر)، و صاحب مجلة المنار رداً على من اعترض على كتابه (حياة محمد) حيث ذكر رشيد رضا ما نصه «أهم ما ينكره الأزهريون والطريقون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب «الوحي المحمدي» من جميع مناحيها ومطابيحها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني من الفصل الخامس بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد ﷺ بالذات ولا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها وأن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل وبينت سبب الافتتان والفروق بين ما يدخل منها في عموم السنن الكونية والروحية وغيره»^(١).

وينقل هيكل أيضاً عن الشيخ محمد عبده في كتابه (الإسلام والنصرانية) «فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك بخارق العادة ولا يغش بصرك بأطوار غير معتادة ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية وقد اتفق المسلمون إلا قليلاً ممن لا يعتد برأيه على أن

(١) محمد رشيد رضا، المنار، ٣، مايو / أيار ١٩٥٣.

الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وأنه لا يمكن الإيمان بالرسول إلا بعد الإيمان بالله فلا يصح أن يؤخذ الإيمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز أن ينزل كتاباً أو يرسل رسولا^(١).

ويمضي الدكتور هيكل قائلاً: (أما ومضرة الروايات التي لا يقرها العقل والعلم قد أصبحت واضحة ملموسة فمن الحق على كل من يعرض لهذه الأمور أن يراعي جانب الدقة العلمية في تمحيصها خدمة للحق وخدمة للإسلام ولتاريخ النبي العربي وتمهيداً لما يجلوه البحث في هذا التاريخ العظيم من حقائق تنير أمام الإنسانية سبيلها إلى الحضارة الصحيحة).

ولو أننا عرضنا كثيراً من الأمور التي ترونها كتب السيرة وكتب الحديث على ما في القرآن لما وسعنا إلا أن نأخذ برأي الأئمة المدققين فقد كان أهل مكة يطلبون إلى النبي أن يجري على يديه المعجزات إذا أرادهم أن يصدقوه فنزل القرآن يذكر ما طلبوا ويدفعه بحجج مختلفة قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ خَيْلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا فُجُورًا ۖ أَوْ تَشُقُّطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۖ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرِّهِمْ أَوْ تَرَوْهُ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفُقِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣]

وقوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشِيرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ﴾ ونقلب آفدتهم وأبصرهم كما لا يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿١١﴾ ولو

(١) د/ محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٦٩ - ٧٠. القاهرة، دار المعارف.

أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَائِدَةَ وَكَلَّمَهُمُ النَّوَى وَحَشَرْنَا مَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ [الأنعام: ١٠٩ - ١١١]

ثم يقول الدكتور هيكل (ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة على اختلاف عصورهم برسالة محمد إلا القرآن الكريم هذا مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي من سبق محمداً من الرسل كما أنه جرى بالكثير مما أفاء الله على محمد وما وجه إليه الخطاب فيه وما ورد في الكتاب عن النبي العربي لا يخالف سنة الكون في شيء).

ثم يتساءل: (أي داع دعا طائفة من المسلمين فيما مضى ويدعو طائفة منهم اليوم إلى إثبات خوارق مادية للنبي العربي؟؟
إنما دعاهم لذلك أنهم تلو ما جاء في القرآن من معجزات من سبق محمداً من الرسل فاعتقدوا أن هذا النوع من الخوارق المادية لازم لكمال الرسالة فصدقوا ما روي منها وإن لم يرد في القرآن وظنوا أنها كلما ازداد عددها كانت أدل على الكمال وأدعى إلى أن يزداد الناس إيماناً بالرسالة^(١)).

والواقع أننا لا نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور هيكل في نفيه للمعجزات والخوارق التي أجراها رب الكون على أيدي رسوله محمداً ﷺ ونرى أن ما استدل به لا يعدو كونه خلطاً بين مسألتين لا يجوز الخلط بينهما بحال من الأحوال.

المسألة الأولى أن العقل هو الحجة البالغة والدلالة الباهرة على صدق الرسالة الإسلامية وهو ما لا نراه موضعاً للخلاف بين أحد من المسلمين سواء من أثبت الخوارق أو من لم يثبتها.

(١) د/ محمد حسين هيكل / السابق، ص ٧١ - ٧٢.

والمسألة الثانية هي وقوع هذه الخوارق على يدي رسول الله ﷺ بالفعل وأنها كانت أداة لإقامة الحجة على صنف من البشر لا ينفع معهم أي خطاب عقلي وهم أنفسهم الذين ذهبوا ضحايا كفرهم وعنادهم في تلك المواجهات التي دارت بين الإسلام والشرك.

العقل هو الأداة الرئيسة لمعرفة الخالق ﷻ وهو الحجة الباطنة التي توزن بها الأدلة الفرعية على الأدلة الكلية المحكمة فيسقط بموجبها الفرعي إذا تناقض مع الكلي.

ولذا فإن الخالق ﷻ خاطب الناس بآياته الكلية العقلية وذهب معهم إلى نهاية الشوط عندما طالب البعض بالمعجزات والخوارق فأظهرها لهم إقامة لحجته البالغة عليهم وإثباتاً لأن علة كفرهم هو تلك النفس المريضة التي لا ينفع معها خطاب عقلي ولا خارق غير عادي لا يمكن أن يأتي به غير نبي الله محمد ﷺ ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفِ الْأَيْدِ وَالْأَنْدَادُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس ١٠١].

العقل وحده وكفى لم يكن هو المخاطب من الله ﷻ ولو تأمل الدكتور هيكل في آيات القرآن التي استدل بها قبل أن يخرج بهذا الاستنتاج القاطع لانتبه إلى أن آيات سورة الأنعام تتحدث عن القلب والأبصار أي العقل وهذا معنى قوله تعالى في سورة الأنعام آية ١١٠ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وهذا أيضاً معنى قوله تعالى في سورة المطففين ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ومن البديهي أن العقل أو الضمير يختلف عن العقل.

ولو كانت إقامة الحجة العقلية كافية وحدها لإدانة الإيمان لما ارتد من ارتد بعد ذلك قوم ممن أسلموا ولما نافق من نافق منهم مع بقائهم

على ظاهر الإسلام والسبب أيضاً هو مرض القلوب ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ .

الآيات التي استدلت بها الدكتور هيكل لا تنفي وقوع المعجزات ولكنها تنفي إمكانية إيمان هؤلاء المعاندين أيًا كان الخطاب الموجه إليهم سواء كان عقلياً أو قلياً أو إعجازياً .

إنها طبيعة معاكسة ومعوجة لا يجدي معها عقل ولا منطق وهو المعنى الذي نستفيدة من تلك الآيات التي استدلت بها على نفي المعجزات واستفدنا نحن منها نفي أي إمكانية لإيمان هؤلاء ﴿وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُوتَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَفَرْنَا عَنْهُمْ كُلِّ شَيْءٍ فَأَكَاوُوا كَاوُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ كُنَّا لَهُمْ بِحُجَّتٍ لَلَّيْلَتٍ أَلَيُّهَا لَمَنْ أَلِيتُمْ﴾ .

إنها نفس الشخوص التي حكى عنها ربنا ﷺ في سورة الأنعام أيضاً ﴿وَلَوْ رَفَعْنَاهُ عَلَى السَّانِ فَقَالُوا يَنْتَظِرُنَا تَرَدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِحَاثِرِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [٢٧ - ٢٨] .

المعنى إذاً أن هؤلاء القوم لو خاطبتهم بالعقل فلن يؤمنوا ولو أظهرت لهم المعجزات لتقطع عليهم طريق المجادلة فلن يؤمنوا ولو انكشف لهم الغطاء عن غيب الله المكنون وشاهدوا الجنة والنار رأي العين وبدا لهم عين اليقين لطلبوا مهلة للعودة والإيمان مرة أخرى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون مجادلون مكابرون!! .

هل حقاً أن القرآن لم يأت على ذكر معجزات النبوة؟؟

وفي محاولة منه لإقرار منهجه (العقلي) في قراءة أحداث السيرة نراه يتخلى حتى عن الدليل الذي استدلت به لإبطال المعجزات الإلهية وهو عدم ورود ذكر لأي من تلك المعجزات في القرآن الكريم في حين أثبت القرآن

الكريم واحدة من تلك المعجزات الهاشمية وهي معجزة إهلاك جيش أبرهة عندما أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل.

إنها المعجزة التي أفرد لها الله تبارك وتعالى لها سورة كاملة سميت باسمها هي سورة الفيل: ﴿الَّذِي تَرَىٰ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ﴾ ﴿١﴾ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۖ﴾ ﴿٣﴾ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجْلٍ ۖ﴾ ﴿٤﴾ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ أَلْعُوبٍ ۚ﴾ ﴿٥﴾

ومع ذلك لم يجد الدكتور هيكل حرجاً في سبيل نفيه للمعجزات أن يحور الواقعة خلافاً لما هو مشهور فيزعم أن عبد المطلب حاول أن يقنع أبرهة بالرحيل وعدم هدم الكعبة و(لكنه أبى إباء تاماً كل حديث في أمر الكعبة ورجوعه عن هدمها ورفض ما عرض عليه من النزول عن ثلث ثروة تهامة وعاد عبد المطلب وقومه إلى مكة فنصح الناس بالخروج منها إلى شعاب الجبل خوفاً من أبرهة وجيشه) وأن عبد المطلب وقومه (أخذ حلقة باب الكعبة وجعلوا يدعون ويستنصرون بآلهم على هذا المعتدي على بيت الله) وأن هذه الطير الأباييل التي حكى عنها رب العزة في سورة الفيل هي (وباء الجدري الذي تفشى بالجيش وبدأ يفتك به وكان فتكاً ذريعاً لم يعهد من قبل ولعل جراثيم البواء جاءت مع الريح من ناحية البحر وأصاب العدوى أبرهة نفسه ففتكت به)^(١).

ورغم أن الدكتور هيكل حاول واجتهد أن يلتزم بالمنهج العقلي إلا أنه لم يستنكف عن نقل أسطورة البخاري المزعومة عن محاولة الرسول الأكرم ﷺ إلقاء نفسه من أعلى حراء أو أبي قبيس ولا أدري أي عقل سوي يقبل أن يروي مثل هذه الرواية حتى وإن أوردها تحت لائحة (قيل) كما وضعها هو.

(١) د/ محمد حسين هيكل / السابق، ص ١١٩.

بنو أمية: أعلم بشؤون دنياكم!!

قلنا إن التهجم على مقام النبي الأكرم محمدًا ﷺ ومحاولة الحط من شأنه هو بلاء ابتليت به أمتنا الإسلامية التي كانت ولا زالت تتخبط في دينها ودنياها .

فالأمر لم يقف عند نفي البعض لمعجزات رسول الله وكراماته بل تخطاه لإمكانية ارتكابه لأخطاء دنيوية والتفريق بين ما يأمر به على سبيل التشريع وما يأمر به على سبيل الوصايا الدنيوية وهو في مثل هذه الحالة بشر يصيب ويخطئ والباقي معلوم فبنو أمية أعلم بشؤون دنياكم!!! .

فقد روى مسلم بن الحجاج قال :

قال قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يؤبرون النخل يقولون يلحقون النخل فقال ما تصنعون؟ قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه فنفضت أو فنقصت قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر .

كما روي أيضاً: أن النبي ﷺ مر يقوم يلحقون فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال فخرج شيباً فمر بهم فقال ما لنخلكم؟ قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم .

• موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله ﷺ يقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا يلحقونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح فقال رسول الله ﷺ ما أظن يغني ذلك شيئاً قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن

ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله ﷻ.

ولك أن تتخيل أن رسول الله ﷺ الذي نزل عليه كلام الله (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) قد أفتى بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير مما أدى إلى وقوع خسارة جسيمة لمحصول التمر الذي يشكل الثروة الرئيسة الزراعية لأهل المدينة!!.

لماذا كل هذا؟؟.

لكي يعلم الناس أنهم أعلم بشؤون دنياهم!!.

بينما يروي ابن هشام في السيرة النبوية قصة عتق سلمان الفارسي قال سلمان: قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان؛ فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحبيها له بالفقير، وأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودية، والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمس عشرة ودية، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية؛ فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي.

قال: ففقرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جثته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، حتى فرغنا. فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة.

قال: فأدبت النخل وبقي عليّ المال. فأتني رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، من بعض المعادن، فقال: ما فعل الفارسي

المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: (خذ هذه، فأدها مما عليك يا سلمان) قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ فقال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك.

قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم منها، وعتق سلمان. فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرأ، ثم لم يفتني معه مشهد.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن رجل من عبد القيس عن سلمان: أنه قال: لما قلت: وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله ﷺ فقلبها على لسانه، ثم قال: خذها فأوفهم منها، فأخذتها، فأوفيتهم منها حقهم كله، أربعين أوقية^(١).

كما يروي ابن سعد في الطبقات نقلاً عن سلمان الفارسي قال: ثم أسلمت وشغلني الرق وما كنت فيه حتى فاتني بدر وأحد ثم قال لي رسول الله ﷺ كاتب فسألت صاحبي ذلك فلم أزل حتى كاتبني على أن أحبي له ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية من ورق ثم قال رسول الله ﷺ أعينوا أخاكم بالنخل فأعاني كل رجل بقدره بالثلاثين والعشرين والخمس عشرة والعشر ثم قال: يا سلمان اذهب ففقر لها فإذا أنت أردت أن تضعها فلا تضعها حتى تأتيني فتؤذني فأكون أنا الذي أضعها بيدي فقمتم في تفقيري فأعاني أصحابي حتى فقرنا شرباً ثلاثمائة شربة جاء كل رجل بما أعاني به من النخل ثم جاء رسول الله ﷺ فجعل يضعها بيده يسوي عليها شربها وبرك حتى فرغ منها رسول الله ﷺ جميعاً فلا والذي نفس سليمان بيده ما ماتت منه ودية وبقيت الدراهم فبينما رسول

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ص ١٦٣ - ١٦٤. دار الطلائع. القاهرة ٢٠٠٥. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

الله ﷺ ذات يوم في أصحابه إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل البيضة من ذهب أصابها من بعض المعادن فتصدق بها إليه فقال رسول الله ﷺ ما فعل الفارسي المسكين المكاتب ادعوه لي فدعيت له فجئت فقال اذهب بهذا فأدها عنك مما عليك من المال قال وقلت وأين يقع هذا مما علي يا رسول الله؟ قال إنه سيؤدي عنك قال ابن إسحاق فأخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه كان في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ وضعها يومئذ على لسانه ثم قلبها ثم قال لي اذهب فأدها عنك ثم عاد حديث ابن عباس ويزيد أيضاً قال سلمان فولذي نفسي بيده لوزنت له منها أربعين أوقية حتى وفيته الذي له وعتق سلمان وشهد الخندق وبقية مشاهد رسول الله ﷺ حراً مسلماً حتى قبضه الله^(١).

ولا أدري أيها نصدق نخل سلمان الذي جيء به إلى رسول الله ﷺ مجرد فسائل صغيرة تحتاج إلى سنوات وسنوات حتى تنبت فغرسها رسول الله ﷺ وباركها بيده الشريفة فأنبئت في أسابيع وهو النخل الذي بقي بعد ذلك عديد القرون حتى جاءت يد الحقد الوهابي فاقتلعت أم نخل عكرمة بن عمار الذي لم ينبت وخرج شيصاً ليعلم الناس أن بني أمية أعلم من رسول الله ﷺ وأهل بيته بأمور دنيانا وأن رسولنا الأكرم لا يعدو كونه مجرد مبلغ عن ربه وليس أبداً تلك الرحمة المهداة ولا النعمة المسداة.

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ٦٩ - ٤/٧٠.

نزول الوحي

يقول الإمام علي بن أبي طالب: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حَجَرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمْسِكُنِي بِجَسَدِهِ، وَيُسَمِّنِي عَرْقَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ كَانَ قَطِيباً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْماً مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنْتُ وَاحِدٌ يَوْمِيذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا نَائِلُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»^(١).

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

روى الكليني في الكافي عن الأحول قال سألت أبا جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث فقال: الرسول الذي يأتيه جبريل قبلاً فيراه ويكلمه فهذا الرسول وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبريل عليه السلام من عند الله بالرسالة وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبريل ويكلمه بها قبلاً ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه من غير أن يكون يرى في اليقظة وأما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه.

المُحَدَّث هو من تحدثه الملائكة كأم موسى ومريم ابنة عمران عليهما السلام ولما قالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَتَرَمِّمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْمَلَائِكَةِ ﴿١٦﴾ [آل عمران: ٤٢] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى أَنِ اضْمِمْ يَدَيْكَ إِلَى الصُّلْبِ وَاعْبُدْ رَبَّكَ هَاجِرًا وَابْتَغِ الْوَعْدَ الْوَعْدَ﴾ ومن المعلوم أن أيّاً من أم موسى أو مريم ابنة عمران لم تكونا من الأنبياء ولا من المرسلين.

والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان نبياً قبل أن يبعث بالرسالة وينزل عليه القرآن وأنه صلوات الله وسلامه عليه كما يذكر الرواة أول ما بدأه الوحي كان الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ^(١).

كما روى مسلم في (صحيحه) عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن).

يروى أبو الفداء في تاريخه نقلاً عن دلائل النبوة للبيهقي ما يلي:
ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين سنة بعثه الله تعالى إلى الأسود

(١) الكليني، الكافي، باب الحجة ج ١.

والأحمر رسولاً ناسخاً بشريته الشرائع الماضية فكان أول ما ابتدأ به من النبوة الرؤيا الصادقة وحبب الله تعالى إليه الخلوة وكان رسول الله ﷺ يجاور في جبل حراء من كل سنة شهراً فلما كانت سنة مبعثه خرج إلى حراء في رمضان للمجاورة فيه ومعه أهله.

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله سبحانه وتعالى فيها جاءه جبريل ﷺ فقال له: اقرأ. قال له فما اقرأ؟؟ قال: ﴿اقْرَأْ بِأَنسِرَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝﴾.

ثم إن النبي ﷺ خرج إلى وسط الجبل فسمع صوتاً من جهة السماء: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبرائيل فبقي واقفاً في موضعه يشاهد جبرائيل حتى انصرف جبرائيل ثم انصرف النبي ﷺ وأتى خديجة فحكى لها ما رأى فقالت: أبشر فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم انطلقت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان ورقة قد نظر في الكتب وقرأها وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته ما أخبرها رسول الله ﷺ فقال ورقة: قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران وإنه نبي هذه الأمة فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة.

ولما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف طاف بالبيت أسبوعاً ثم انصرف إلى منزله ثم تواتر الوحي إليه أولاً فاولاً وكان أول الناس إسلاماً خديجة لم يتقدمها أحد وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية زوجة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد)^(١).

(١) المختصر في تاريخ البشر لأبي الفداء، ج ١ ص ١٤٦ نفس الطبعة.

هذا عن الطريقة التي نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ والحوار الذي جرى بينه وبين جبريل عليه السلام عندما قال له اقرأ فقال ما أقرأ؟ قال ﴿اقْرَأْ بِأَنسِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ فقرأها الرسول ﷺ.

ونحن لا نعتقد على الإطلاق بحدوث المفاجأة على الطريقة المذكورة في البخاري أو غيره تلك المفاجأة التي تدفع رسول الله للحيرة والذهول وكأنها كانت المرة الأولى التي يشعر فيها الرسول بالتواصل بينه وبين جبريل عليه السلام ولا يمنع على الإطلاق أن تكون الرهبة التي أحس بها عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام رهبة ناتجة عن إدراكه لعظم المسؤولية والأمانة الملقاة على عاتقه..

إنها رهبة تلقي التكليف الإلهي حتى ولو كان متوقفاً في أي وقت وحتى من فترة طويلة.

ولكنها أبداً ليست تلك الرهبة التي تدفعه لمحاولة استجلاء الموقف ومحاولة التعرف على الهاتف الداعي من ورقة بن نوفل.

إنها الرهبة الناشئة عن عظم الإحساس بمسؤولية تلقي الوحي وتبليغه للناس أجمعين، المصدقين والمكذبين ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَلَاثًا ۖ إِنَّ نَازِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٢﴾ وَآذُكَرٌ أَمْرٌ رَبِّكَ وَنَبَأٌ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴿٣﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٤﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي الْأَلْمَمَةِ وَمَهْلِكٌ قِيلًا ﴿٦﴾ [المزمل: ٥ - ١١].

إنها نفس الرهبة التي واجهها رسول الله عندما أمر بإنذار عشيرته الأقربين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وعندما أمر بإبلاغ المسلمين بولاية علي ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وعندما أمر بالزواج من زينب بنت جحش ﴿وَنُحْنِي فِي نَفْسِكَ

مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ» ولكنها أبداً ليست رهبة الخائف الرجل الحائر المضطرب الذي لا يدري من يأتيه ولا ما يخفيه له الزمان من مفاجآت فيجلس بين يدي ورقة ليسأله (أو مخرجي هم؟؟).

ينبهنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى حقيقتين:

الأولى: أن الله تبارك وتعالى وكل برسوله ﷺ مِنْ لَدُنْ كَانَ قَطِيعاً أَغْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لِيَلَهُ وَنَهَارُهُ أَيُّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عالماً معلماً منذ اللحظة الأولى لمولده وأن هذا العلم والهداية إلى طريق الكمال الإلهي كانت بواسطة أعظم ملك من ملائكة الله المقربين ومن هنا يصبح التساؤل عن معنى (فاجأه الوحي) أمراً مشروعاً ومبرراً ويصبح نفى حدوث المفاجأة أمراً منطقياً ومحسوماً.

لا وجه للعجب في هذه الرواية فهو ﷺ كما وصف نفسه (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وكما قال سبحانه ﴿وَأَنَّكَ لَمَنْ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾ وتلك هي المرحلة الأولى التي مر بها كل الأنبياء ﷺ في سيرهم المتواصل نحو الكمال فلا شيء في هذا الكون يجري مصادفة ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ فَاتَّبَعْنَاهُ مَا نَكُونُ إِلَّا خَائِدُونَ﴾ وإذا كانت الغاية العظمى للبعثة النبوية تتلخص في أن يعبد الله فلا يشرك به شيئاً فهذا مما لا يمكن إدراكه أو بلوغه إلا على يد ﴿رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ﴾.
يَعْنِي عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَتَقْوَاهُ وَالصَّلَاةَ وَالْزَّكَاةَ.

رجال بلغوا قمة الكمالات الإنسانية ممن صنعهم الله على عينه كما قال ربنا لموسى عليه السلام ﴿وَلَتُصَنِّعَ عَلَيَّ غَيِّتًا﴾.

كما اننا ينبغي أن نتنبه إلى التفارقة بين مرحلتين:

مرحلة النبوة الممتدة منذ مولده إلى يوم مبعثه وهي مرحلة من التواصل مع الله تترقى فيها النفس وتخرج فيها إلى آفاق الكمال لترى من آيات ربها الكبرى....

ومرحلة البعثة بالرسالة الإسلامية التي نزل فيها القرآن على قلب رسول الله ليكون من المنذرين ولينذر قوماً ما أنذر آبائهم من قبل فهم غافلون.

الحقيقة الثانية: أن رسول الله ﷺ كان عالماً معلماً لتلميذه ووصيه وأخيه وزوج ابنته سيدة نساء العالمين علي بن أبي طالب فترة كفاله له في بيته.

وما هو علي يصف فترة الحضانة التربوية التي عاش فيها في كنف رسول الله ﷺ في منزل الوحي ينهل من العلم الإلهي فيقول: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي حَجَرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْتُمُنِي فِي فَرَاشِهِ وَيُمْسِكُنِي بِجَسَدِهِ وَيُسْمِنُنِي عَرَفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْماً مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِجَاءٍ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمِيذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا نَائِلُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رُتَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا الرَّتَّةُ؟ فَقَالَ: «هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ».

التمهيد والإعداد لمرحلة البعثة النبوية المباركة كان من الضروري أن يصحبه التمهيد والإعداد لمرحلة ما بعد انتهاء هذه البعثة وهذا هو سر التواجد العلوي في البيت المحمدي بالقراة القريبة والمنزلة الخصيصة يضمه إلى صدره ويكفنه في فراشه ويطعمه مما يطعم... يربيه تربية روحية وعلمية وعملية على مكارم الأخلاق وما بعث رسول الله ﷺ إلا ليتمم مكارم الأخلاق عبر التلقين والافتداء فيرى علي بن أبي طالب بأم عينيه نزول الوحي وحقيقة الإيمان عين اليقين إلا أنه ليس بنبي ولا يوحى إليه بل هو وزير كما كان هارون وزيراً لموسى ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٥٥﴾ وَبَيِّرْ لِي أَمْرِي ٥٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ٥٧﴾ بِفَقْهُوا قَوْلِي ٥٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ٥٩﴾ هَؤُلَاءِ أَهْلِي ٦٠﴾ أَشَدُّ بِهِ ٦١﴾ وَأَشْرُكُهُ فِي أَمْرِي ٦٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٦٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٦٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٦٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ٦٦﴾ [طه ٢٥ - ٣٦].

علي الصديق الأكبر:

أما كونه سلام الله عليه الصديق الأكبر والفاروق الأكبر وأول من أسلم فهذا مما مشتهر به الركبان حيث يروي ابن الأثير في الكامل^(١):
 أول ذكر آمن علي وروي عن علي عليه السلام أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر صليت مع رسول الله ﷺ - قبل الناس بسبع سنين. وقال ابن عباس: أول من صلى علي وقال جابر بن عبد الله: بعث النبي ﷺ - يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء وقال زيد بن أرقم أول من أسلم مع النبي ﷺ - علي.

قال عفيف الكندي: كنت امرأ تاجرًا فقدمت مكة أيام الحج فأتيت

(١) ابن الأثير، مرجع سابق، ١/٥٨٢.

العباس فينا نحن عنده إذ خرج رجلٌ فقام تجاه الكعبة يصلي ثم خرجت امرأة تصلي معه ثم خرج غلام فقام يصلي معه فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي زعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقبصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة آمنت به وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به وإيم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحدًا على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة! قال عفيف: ليتني كنت رابعًا وقال محمد بن المنذر وربيعة بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم المدي والكلبي: أول من أسلم علي، قال الكلبي: كان عمره تسع سنين وقيل إحدى عشرة سنة وقال ابن إسحاق: أول من أسلم علي وعمره إحدى عشرة سنة.

وكان من نعمة الله عليه أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال يومًا رسول الله ﷺ لعمه العباس: يا عم إن أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفف عن عيال أبي طالب فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا فقال أبو طالب: اتركا لي عقيلاً واصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليًا وأخذ العباس جعفرًا فلم يزل علي عند النبي ﷺ حتى أرسله الله فاتبعه.

وكان النبي - ﷺ - إذا أراد الصلاة انطلق هو وعلي إلى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان.

أما كونه وزيراً فيشهد على ذلك حديث يوم الدار وهي الرواية التي يرويها ابن الأثير الجزري في الكامل وأبو الفداء^(١) في تاريخه واللفظ لابن الأثير: قال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم: لما أنزل الله على رسوله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﷻ اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعاً فجلس في بيته كالمریض فأتته عماته يعدنه فقال: ما اشتكيت شيئاً ولكن

(١) المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، ص ١٤٧ - ١٤٨. نفس الطبعة.

الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فقلن له: فادعهم ولا تدع أبا لهب
فيهم فإنه غير مجيبك.

فدعاهم ﷺ فحضرُوا ومعهُم نفر من بني المطلب بن عبد مناف
فكانوا خمسة وأربعين رجلًا فبادره أبو لهب وقال: هؤلاء هم عمومك
وبنو عمك فتكلم ودع الصباة واعلم أنه ليس لقومك في العرب قاطبة
طاقة أحق من أخذك فحبسك بنو أبيك وإن أقمت على ما أنت عليه فهو
أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحدًا
جاء على بني أبيه بشرٌ مما جثتهم به.

فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس ثم دعاهم ثانية
وقال: الحمد لله أحمدته وأستعيه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي
لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة والله لئمتن
كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنة أبدًا
والنار أبدًا. فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك
وأشد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير
أنني أسرعهم إلى ما تحب فامض لما أمرت به فوالله لا أزال فقال أبو
لهب: هذه والله السوءة! خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم. فقال أبو
طالب: والله لنمنعنه ما بقينا.

وقال علي بن أبي طالب: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء ٢١٤]. دعاني النبي ﷺ فقال: يا علي إن
الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعًا وعلمت أنني متى
أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرائيل
فقال: يا محمد إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعًا من

طعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن واجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا فتنفها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ثم قال: خذوا باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشيء من حاجة وما أرى إلا مواضع أيديهم وإيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم! ثم قال: اسق القوم فجتتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعاً وإيم الله إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله! فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بده أبو لهب إلى الكلام فقال: لشد ما سحركم به صاحبكم ففرق القوم ولم يكلمهم ﷺ فقال: الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول ففارقوا قبل أن أكلهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم إلي ففعل مثل ما فعل بالأمس فأكلوا وسقيتهم ذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً وشبعوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون فيقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

(١) ابن الأثير، مرجع سابق، ١/٥٨٥.

الرواية نفسها ذكرها ابن جرير الطبري في تاريخه بزيادة طفيفة:
 حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق عن عبد
 الغفار بن القاسم عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن
 نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي
 طالب قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
 الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله فقال لي: يا علي إن الله أمرني أن أنذر
 عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنني متى أباديهم بهذا الأمر
 أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إنك
 إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه
 رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى
 أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ
 أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة
 والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم
 فجلست به فلما وضعته تناول رسول الله حذية من اللحم فشقها بأسنانه ثم
 ألقاها في نواحي الصحيفة ثم قال خذوا بسم الله فأكل القوم حتى ما لهم
 بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وإيم الله الذي نفس علي بيده
 وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم
 فجلستهم بذلك العس فشربوا منه حتى روي منه جميعاً وإيم الله إن كان
 الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بדרه أبو
 لهب إلى الكلام فقال لشد ما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم
 رسول الله فقال الغد يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من
 القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم
 اجمعهم إلي قال ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربت لهم ففعل
 كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال اسقهم فجلستهم

بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً ثم تكلم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أدعوكم إليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم قال فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. حدثني زكريا بن يحيى الضرير قال حدثنا عفان بن مسلم قال حدثنا أبو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ناجد أن رجلاً قال لعلي عليه السلام يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمك؟ دون عمك فقال علي هاؤم ثلاث مرات حتى اشرب الناس ونشروا آذانهم ثم قال جمع رسول الله أو دعا رسول الله بني عبد المطلب منهم رهطه كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق قال فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس قال ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا قال ثم قال يا بني عبد المطلب إني بعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم فأيكم يبايعني على أن يكون أخى وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال فقال اجلس قال ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي قال فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

ومن المؤسف أن يروي الدكتور هيكمل في كتابه واقعة الدار بصورة مبتورة وناقصة كما يلي:

لما نزل قول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١٧) دعا محمد ﷺ عشيرته وقومه إلى طعام في بيته وحاول أن يدعوهم إلى الله ففقطعه عمه أبو لهب حديثه واستنفر القوم ليقوموا.

ثم دعاهم محمد ﷺ في الغداة مرة أخرى فلما طعموا قال لهم: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئت به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرني على هذا الأمر؟ فأعرضوا عنه وهموا بتركه لكن علياً نهض وهو ما يزال صبيّاً دون الحلم وقال «أنا يا رسول الله عونك، أنا حرب على من حاربت» فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظره ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثم انصرفوا مستهزئين^(١).

(١) د/ محمد حسين هيكل، مرجع سابق، ص ٤٦.

الهجرة

يقول أمير المؤمنين:

فَمِنْ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَعَفُوهُ حَتَّى يَخْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِيرِ الْأُمَّةِ وَمُغْلِبِيهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ، لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَبِي حَدِيثًا إِلَّا صُدُورُ أَمِينَةٍ، وَأَخْلَامُ رَزِينَةٍ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْعَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةً تَقْلُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَخْلَامِ قَوْمِهَا^(١).

لَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ وَلْتَلَمَّسْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمْتَنَ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٨٩.

ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً،
لأنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ نَعْمٍ، وَأَجَلٌ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاغْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ بِغَدِّ الْهَجْرَةِ أَغْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوَالَاةِ أَخْرَابًا، مَا
تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ،
تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَا كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِتُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ،
انْتِهَاكَ لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ،
وَأَمَّا بَيْنَ خَلْقِهِ.

وإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبْتُمْ أَهْلَ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا
مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى
يَخُكِّمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمَنَالَ مِنْ بَاسِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَقَائِعِهِ فَلَا
تَسْتَبِطُوا وَعَيْدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ بَاسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاضُحِ! ^(١).

المفهوم الحقيقي للهجرة

يقدم لنا الإمام عليه السلام في هذه الكلمات المفهوم الحقيقي للهجرة وهو
مفهوم يتجاوز الانتقال المكاني من مكة إلى المدينة لتحقيق الأمن الذاتي
للفرد المسلم أو للجماعة المسلمة والفرار من اضطهاد القوى الظالمة.

الهجرة الحقيقية إلى الله ورسوله لا تتحقق إلا من خلال معرفة
الحجة الإلهية على الخلق أجمعين الذي كان يومها رسول الله ﷺ ومن
بعده إمام الأمة من آل محمد ﷺ.

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

لقد تحقق مفهوم الهجرة يومها بانتقال جماعة المهاجرين من مكة إلى المدينة المنورة والالتفاف حول رسول الله ﷺ حجة الله على خلقه حيث تكونت اللبنة الأولى للمجتمع المسلم ومن ثم فقد وقع عليهم اسمُ **الْهَجْرَةِ بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ** والإقرار بها وهو رسول الله ﷺ والإمام من بعده ومن فعل هذا التزاماً بطاعة رسول الله وحجته على العالمين **فَهُوَ مُهَاجِرٌ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ** وهو وصف يقابل وصف الاستضعاف الذي **لَا يَنْطَبِقُ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أَذُنُهُ وَوَعَاَهَا قَلْبُهُ** أو بلغته فلم يع شيئاً كحال أغلب المسلمين الآن.

الاستضعاف الذي يتحدث عنه الإمام علي هو تلك الحالة التي تعيشها الآن الكثرة الغالبة من أبناء الأمة الإسلامية الذين لا يعرفون من الإسلام سوى تلك الصور والقشور التي يقدمها لهم زبانية الإسلام الأموي من أصحاب الخطب الخشبية الطنانة الرنانة فاقدة الروح والمعنى لفقدانها كل صلة وارتباط بمنهل الإسلام العذب الصافي إسلام أهل بيت العصمة والنبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وعلى رأسهم من دون أدنى شك إمام الأمة وحجة الله على خلقه ومعرفة الإمام هنا تمثل ضماناً حقيقية تمنع سقوط المرء المسلم في برائن الدجالين المتاجرين بالدين والمحرفين الكلم عن مواضعه.

وبالتالي فالمستضعف الحقيقي لا يمكن أن يكون ذلك الإنسان المعذب الثابت على دينه الحق بل هو الواقع في برائن هؤلاء الدجالين الذين بدلوا نعمة الله كفرأ وأحلوا قومهم دار البوار والذين قادوا المسلمين طيلة هذه القرون من هزيمة إلى هزيمة ومن نكسة إلى مصيبة وهم مصرون على نهجهم في تضليل المسلمين وخلط الحق بالباطل وكتمان الحق وتقديم دائهم العياء في صورة الدواء الشافي من كل داء.

الهجرة ما زالت قائمة على حدها الأول انتقلاً من طاعة

الطواغيت والأصنام البشرية المنصوبة للصد عن سبيل الله إلى طاعة إمام الحق وهي حالة مستمرة ومتواصلة ما كان الله في أهل الأرض من حاجة من مستسر الأمة أو المعلن بإيمانه جاهراً بالحق لا يخاف لومة لائم ولا عذل عاذل ﴿سَوَاءٌ يَنْكَرُ مَنَ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَن هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتْلَىٰ وَسَاوِيَ إِلَّا النَّارُ﴾ ١٠٠ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ أَتَىٰكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١٠١﴾ [الرعد: ١٠ - ١١].

والمستسر هنا هو الإمام الغائب المنتظر أي إلى ما قبل قيام الساعة فمن عرف إمام زمانه فهو ليس بمستضعف.

إن هذه الآية من سورة الرعد تنبهنا إلى أن الصراع بين الحق والباطل والإيمان والنفاق هو صراع دائم ومستمر ويمكن أن يأخذ صوراً وأشكالاً متنوعة يضطر خلالها قادة الإيمان إلى إسرار القول أو التخفي بالليل بينما يتبجح المبطلون بأباطيلهم ويروجونها في وضح النهار وعبر وسائل الإعلام والإعلان ولا شك أن الضحية الأولى في هذا الصراع هم أولئك المستضعفون المغلوبون على أمرهم وعقولهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْكَلْبَكُ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا لَيْسَ مِنَّا قُلُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِمْلَهُ وَلَا يَتَنَدَّدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُتُّ فَقَدْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيماً﴾ [النساء ٩٧ - ١٠٠]

الهجرة فضلاً عن كونها تحركاً وتوجهاً إلى الله ورسوله وارتباطاً ثابتاً بقيادة الأمة الشرعية تنشئ المجتمع المسلم الحقيقي الذي يلتف

حول القيادة الشرعية المسددة من السماء وليس تلك القبادات التي وصفناها سابقاً وهو المجتمع الذي يتراطط برباط الألفة والولاية ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وهي نعمة كما وصفها الإمام لا يمكن تسميتها أو إدراك قيمتها الحقيقية وهي ليست ألفة مصنوعة بل ألفة المؤمنين الملتفين حول إيمانهم وطاعة رسولهم وإمامهم الواقفين من أن خطوهم هو في سبيل الله ومرضاته.

إنها الحالة التي رسمت معالمها آيات آخر سورة الأنفال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِذْ اسْتَبْرَأْتُمُ الَّذِينَ فَتَلَبْتُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبِينُكُمْ وَيَبِينُ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَائِهِ بَعْضٌ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [٧٢ - ٧٥].

يقول الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان:

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن أحوال المؤمنين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وعن أحوال الأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا﴾ يعني النبي ﷺ ثم قال ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يعني المهاجرين والأنصار ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ والهجرة فراق الوطن إلى غيره من البلاد فراراً من المفتنين في الدين لأنهم هجروا دار الكفار إلى دار الإسلام والجهاد تحمل المشاق في قتال أعداء الدين جاهد جهاداً وجهده الأمر جهاداً واجتهد اجتهداً

وجاهد مجاهدة والإيواء ضم الإنسان صاحبه إليه بإنزاله عنده وتقريبه له تقول آواه يؤويه إيواء وآوى يأوي آوياً وأويت معناه رجعت إلى المأوى والولاية عقد النصرة للموافقة في الديانة.

ثم أخبر الله تعالى عن الذين آمنوا ولم يهاجروا من مكة إلى المدينة فقال: ﴿...وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ لَّيْنٍ وَلَيِّنِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ﴾ وقيل في معناه قولان أحدهما ولاية القرابة نفاها عنهم لأنهم كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الرحم في قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وعن أبي جعفر عليه السلام أنهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى.

الثاني أنه نفى الولاية التي يكونون بها بدءاً واحدة في الحل والعقد فنفى عن هؤلاء ما أثبتته للأولين حتى يهاجروا ثم قال: ﴿وَلِإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ أي طلبوا نصركم ﴿فِي الَّذِينَ﴾ يعني الذين آمنوا ولم يهاجروا ﴿فَقَلَّيْكُمْ النَّصْرُ﴾ أي نصرهم بسبب الإيمان الذي يجب عليكم أن تنصروهم على الكفار ﴿وَلَا عَلَى قَوْمٍ يَتَّبِعُكُمْ﴾ وبينهم ميثاق يعني موادة ومهادنة تقتضيه من جهة أن عقدهم بخلاف عقدهم^(١).

لقد انقضت الهجرة المكانية وبقيت هجرة الموالاة والالتفاف حول إمام الحق والزمان من آل محمد عليه السلام وهو الآن المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

تلك الهجرة والموالاة التي نقضها القوم عندما نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا به رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم فصاروا بعد الهجرة أعراباً وبعد الموالاة أي الاصطفاف خلف راية رسول الله ووصيه ووارثه من بعده علي بن أبي طالب أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون.

فذرهم في غمرتهم حتى حين.

(١) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣/٢٦١.

زهد رسول الله ﷺ في الدنيا

يقول الإمام عن رسول الله ﷺ:

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِقَارًا فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ رِيشَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَامًا^(١).

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَافَ لَكَ فِي الْأَسْوَةِ، وَدَلِيلُ لَكَ عَلَى دَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْنِهَا وَكَثْرَةِ مَحَازِبِهَا وَمَسَاوِيهَا إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّلَتْ لِغَيْرِهِ أَكْتَافُهَا وَقُطِمَ مِنْ رَضَائِهَا وَزُويَ عَنْ رَحَائِقِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ ثَبِّتْ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ﷺ إِذْ يَقُولُ ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ١١ وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بِقَلَّةٍ الْأَرْضِ وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهَزَالِهِ وَتَشْدُبُ لَحْمِهِ.

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْ بِدَاوُدَ صَاحِبِ الْمَرَامِيرِ، وَقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٠٨.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشِيشَ وَكَانَ إِذَا مَهُ الْجُوعُ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرُ، وَظِلَالُهُ فِي الشَّمَاءِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَقَاكِبُهُ وَزِينَتُهُ مَا تُنْبِئُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، وَلَا طَمَعٌ يُدْلِيهِ، ذَابَتْهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

فَتَأْسَ بِبَيْتِكَ الْأَطْيَبِ الْأَظْهَرِ ﷻ فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَدَ لِمَنْ تَأْسَى، وَعَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَى - وَأَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسِي بِبَيْتِهِ، وَالْمُقْتَصِلُ لِأَثَرِهِ - قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَفْضَمَ أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا، وَأَخْمَصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ، وَتَغْضِيْمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ، لَكُنِيَ بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.

وَلَقَدْ كَانَ ﷻ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بَيْدَهُ نَعْلَهُ، وَيَرْقُعُ بَيْدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكُبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُرِدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السُّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فَلَانَةُ - لِأَخَذِي أَرْوَاجِهِ - غَيْبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا.

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيْبَ رِيشَتَا عَنْ عَيْنَيْهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا يَتَعَقَّدَهَا قَرَارًا، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ.

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَذُكُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا
إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ وَزُوَيْتَ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ: أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ! فَإِنْ
قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ - وَاللَّهُ الْعَظِيمُ - وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأْسَى مُتَأَسِّ بِنَبِيِّهِ وَافْتَقَصَ أَثَرَهُ وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ وَإِلَّا فَلَا بَأْسَ مِنَ الْهَلَكَةِ،
فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَمًا لِلْسَّاعَةِ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا
بِالْعُقُوبَةِ.

خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى
حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَغْظَمَ مِنْهُ اللَّهُ عِنْدَنَا
حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا تَتَّبِعُهُ، وَقَائِدًا نَطَأَ عَقِبَهُ!.

وَاللَّهُ لَقَدْ رَفَعْتُ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ
لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصُّبْحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ
السُّرَى^(١).

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ أَهَرُ
يَقْسِمُونَ رَحِمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا يَبْتِغِيهِمْ مَعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ
فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخًا وَرَحِمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لِيُؤْتِيَهُمْ سُلْفًا مِنْ فِضْلِهِ وَمَعَارِجَ عَلَيْنَا يَظْهَرُونَ ٣٣﴾ وَلِيُؤْتِيَهُمْ آتُونًا وَسُرْرًا
عَلَيْنَا يَكْهُونَ ٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ٣٥﴾ ﴿[الزخرف ٣١ - ٣٥].

(١) المرجع السابق، خطبة ١٦٠.

﴿زَيْنَ الْفَأْسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفَنَكِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْثَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعٌ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَزَيَّنُّكُمْ بِمِثْلِ
لِذِينَ اتَّعَمُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَنْزَجُ
مُطَهَّرَةً وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمِصْرٍ بِالْوَسْبَاءِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
إِنَّا آمَنَّا فَأَغْوِنَا لَنَا دُورُنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الْعَصِيدِينَ وَالْمُصَدِّقِينَ
وَالْقَنِيصِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْهِقِينَ بِالْأَسْعَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران ١٤ - ١٧].

﴿أَطْمَعُوا إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لِمِثْ وَلَوْ وَرِثْتُمْ وَقَفَّارٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثَرُوا فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَزْوَاجِ كَشَلِ غَيْبِ أَحَبَّ الْكُفَّارِ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَبْعُ فَرْدَهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْفُرُورِ ﴿١٤﴾
سَافِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾ مَا
أَسَابَ مِنْ مُوسِبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا
ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد ٢٠ - ٢٣].

لا حاجة بنا أن نذكر أن مهمة الأنبياء الأولى هي الدعوة إلى عبادة
الله الواحد الأحد وزجر الناس عن المعاصي التي تجر إلى سخط الله
وحلول نقمته بالخارجين عن ناموسه وشريعته.

ولأن حب الدنيا هو رأس كل خطيئة ولأن الأنبياء ينبغي عليهم أن
يقدموا لأمتهم النموذج الأكمل للزهد في الدنيا والرغبة في نعيم الله
المقيم نرى أن رسول الله ﷺ سار على نفس الدرب الذي سار عليه
أنبياء الله أجمعين.

درب الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله ﷻ حيث جاع فيها مع

خَاصَّتِهِ وَرُوِيَ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيصاً
(لم تمتلئ بطنه منها) وَوَرَدَ الْآخِرَةُ سَلِيماً فَلَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ
حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ.

لقد أَعْرَضَ عَنْهَا ﷺ الدُّنْيَا وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ
تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، وَلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا مُسْتَقْراً
وَلَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنْ نَفْسِهِ وَأَبْعَدَهَا عَنْ قَلْبِهِ وَغَيَّبَهَا عَنْ بَصَرِهِ.

أما موسى ﷺ فعندما خاطب ربه بقوله ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ
خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ ٢١٦ وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْراً يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ
وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وَتَشَدُّبِ
لَحْمِهِ.

وأما داود صَاحِبُ الْمَرَامِيرِ، وَقَارِئُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَانَ يَغْمَلُ
سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي يَتَعَهَا وَيَأْكُلُ قُرْصَ
الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وأما عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ أَيَّ يَضَعُهُ
تَحْتَ رَأْسِهِ وَيَلْبَسُ الْخَشِينَ وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وَبِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ،
وِظْلَالُهُ فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا وَفَاقِيهَتُهُ وَرَنِحَانُهُ مَا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ، وَلَا مَالٌ
يَلْفِنُهُ، وَلَا طَمَعٌ يَذْلُهُ، دَابَّتْهُ رِجَالُهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ!

فبأي حديث بعده يؤمنون؟؟!!

الذين رووا عن رسول الله ﷺ

قال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال ﷺ: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصديقاً وكذيباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً ومحكماً ومثلاً وحفظاً ووهماً وقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده، حتى قام خطيباً، فقال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله ﷺ رآه، وسمع منه، ولقيف عنه، فياخذون بقوله، وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بغده ﷺ، فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان قولهم الأعمال، وجعلوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا، إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحفظه على وجه قومه فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه، يزويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ!

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَأَخْرُ رَابِعٌ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ، خَوْفاً لِلَّهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ، وَلَمْ يَهْمُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، وَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فَوَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ.

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: فَكَلَامُ خَاصٍّ، وَكَلَامُ عَامٍّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ بِهِ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُجِبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ الطَّارِئُ، فَيَسْأَلُهُ ﷺ حَتَّى يَسْمَعُوا وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلَتْ عَنْهُ وَحَفِظَتْهُ.

فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ^(١).

الآن يقول الناس قال رسول الله ﷺ من دون تأثم ولا تحرج فيرون الشيء ونقيضه ولا يرون بذلك بأساً ويرون ما يناقض كتاب الله

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٠

وشعارهم (ارو ولا حرج... قل قال رسول الله ولا تلق بالاً لما ترويه ولا عمن تروي) وهم يرون أن البخاري هو أصح الكتب بعد كتاب الله ﷻ ولا أدري من أين جاءتهم كل هذه الثقة المفرطة؟

أكتب هذه السطور والقوم يحتفلون بذكرى عاشوراء ذكرى انتصار الحق على الباطل في عالمهم الوهمي الذي يصرون على العيش فيه ولو تأملوا فيما رواه البخاري (أصح الكتب بعد كتاب الله؟!) لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً بما يقطع أن ليس كل ما في هذا الكتاب هو من عند الله أو من عند رسوله.

يقول البخاري: إن النبي ﷺ لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء (فقال ما هذا؟ قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه)!!.

إن هذه الرواية التي تقرر أن بدء صوم يوم عاشوراء كان في المدينة عندما رأى رسول الله ﷺ اليهود تصومه فصامه اقتداء بهم تنقضها رواية أخرى رواها البخاري نفسه وهي الأقرب للصواب (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه).

وعلى القوم أن يختاروا إحدى الروایتين ليتسنى لنا القبول بصحة البخاري من الأصل فضلاً عن كونه أصح الكتب بعد كتاب الله كما يزعم القوم.

إنها عقلية الرواية وليست عقلية الدراية التي وصفها ﷺ بقوله:

اغْلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ
كَثِيرٌ، وَرِعَاةُهُ قَلِيلٌ^(١).

أما لماذا تغاضى القوم عن الدراية والتأمل وإعمال العقل والنظر
في الروايات فالعقل الصحيح لا يستسيغ الجمع بين النقيضين أي بين
تلك الروايات المتضاربة مقابل الهوى والرغبة في ملء تلك المساحات
الفارغة من أجل إقناع العوام بصحة الطريقة التي يأخذون الدين بها عن
تلك الأصناف التي قام الإمام بتعيينها في كلماته التورانية التي كان
يفترض أن تشكل الأساس لما عرف بعد هذا بعلم الحديث.

أما وقد أعرض القوم عن خلفاء رسول الله من أهل بيته الذين
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ذلك التطهير الذي يحول دون
قيامهم بالكذب عَلَى اللَّهِ، وَرَسُولِهِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ، كما
أنهم سلام الله عليهم يؤمن وقوع الوهم منهم فقد حَفَظُوا مَا سَمِعُوهُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ عَلَى وَجْهِهِ، وَنَقَلُوهُ عَلَى مَا سَمِعُوهُ مِنْ دُونِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ
وَحَفِظُوا النَّاسِيخَ وَالْمَنْسُوخَ فَجَنَّبُوا عَنْهُ وَعَرَفُوا الْخَاصَّ وَالْعَامَّ وَالْمَحْكَمَ
وَالْمُتَشَابِهَ وَوَضَعُوا كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ.

لقد وجد القوم أنفسهم مضطرين للاستمرار في ممارسة الكذب
بهدف إيجاد البديل الذي يسد هذا الفراغ الخطير والكبير الناجم عن
تغيب المرجعية الدينية الأصلية للأمة الإسلامية.

أن يؤكد الإمام على وجود هذه الأصناف الثلاثة التي قامت بخلط
علوم ومعارف رسول الله ولبست على الأمة أمر دينها وأولها المنافق
المكلف بالوضع المتعمد للكذب على رسول الله من أجل إرضاء

(١) نهج البلاغة، حكمة ٩٢.

المتسلطين على رقاب المسلمين وثانيها ضعف الحفظ محدود القدرة والإمكانات الذهنية التي تؤهله للقيام بالنقل الصحيح عن رسول الله وأخيراً محدود العلم وليس محدود الحفظ والذي صُدر فتصدر في صدر المجلس فأخذ يفتي ويجادل من غير علم ولا هدى ولا كتاب منير وكلها كوارث ابتليت بها الأمة وها هي تحصد آثارها الآن كوارث وهزات ارتدادية تضرب الأمة في كيانها الاجتماعي والسياسي والفقهية والأخلاقي.

ورغم أن وجود المنافقين ودورهم القذر في إشعال الفتن والأزمات على عهد رسول الله ﷺ لا يحتاج إلى بينة ولا دليل ورغم أن القرآن حكى عنهم وعن جرائمهم مثلما حكى عن بني إسرائيل إلا أن المدرسة المتغلبة على فضاء الفكر الإسلامي أسقطت ذكرهم بصورة تامة من كتبها وأسبغت على كل من شهد رسول الله أو سمع منه ولو لمرة واحدة صفة الصحابي الجليل ووصفت كل من ذكر التاريخ الإسلامي من دون مدح ولا تبجيل بسوء الأدب واعتبرته ممن يسبون الصحابة من دون حاجة إلى فرز أو تمييز بين المنافق مدعي الإيمان باللسان والمجاهد المضحي في سبيل الله بالنفس والمال ورغم أن سيرة الكثير منهم ممن يَقُوا بعد رسول الله (فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ وَالِدُعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالُ وَجَعَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَأَكَلُوا مِنْهُمْ الدُّنْيَا لِأَنَّ النَّاسَ مَعَ الْمُلُوكِ وَالْدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ) معروفة ومدونة ويكفي أن نرى اسم أحدهم والياً من قبل بني أمية على مدينة رسول الله أو على (كوفة) علي بن أبي طالب لنعرف أي نوع من الرجال يروي عن رسول الله وإلى أي صنف من هذه الأصناف الثلاثة ينتمي هذا المحدث عن رسول الله ﷺ؟

أمية الرسول المزعومة

هل كان رسول الله أمياً لا يقرأ ولا يكتب؟؟

إنها إحدى مفردات الوعي الثقافي الإسلامي القديم والمعاصر التي تتحدى كل محاولات التفسير والتعديل وربما يراها البعض إحدى ثوابت الأمة العقائدية التي يسعى (أعداء الإسلام) لزعزعتها في نفوس أهل الإيمان(١).

وبينما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في خطبته المشار إليها سابقاً: (وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ﷺ مِذْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْماً مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ)، وإذا كان الإمام الفخر الرازي يقول (وإذا كان هذا علم الولي فما بالك بعلم النبي؟؟) أي أن علم علي جاء من علم محمد تعليمًا وتربية هذا «أي محمد ﷺ» يتلقى العلم وحيًا من عند الله وذلك يتلقاه مباشرة من رسول الله من دون واسطة ولا نقل عن طرف ثالث فكيف يكون محمد ﷺ جاهلاً بالحروف والكلمات؟.

أما أصل الفرية فهو معاوية بن أبي سفيان رأس الفتنة وأحد أهم أسباب البلاء الذي نزل بهذه الأمة حيث ينقل ابن أبي الحديد عن الواقدي أن معاوية لما عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن ﷺ واجتماع الناس إليه خطب فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال لي إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة فإن فيها الأبدال وقد اخترتكم فalcنوا أبا تراب فلعنوه فلما كان من الغد كتب كتاباً ثم جمعهم فقرأ عليهم وفيه هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية صاحب وحي الله الذي بعث محمداً نبياً وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فاصطفى له

من أهله وزيراً كاتباً أميناً فكان الوحي ينزل على محمد وأنا أكتبه وهو لا يعلم ما أكتب فلم يكن بيني وبين الله أحد من خلقه فقال له الحاضرون كلهم صدقت يا أمير المؤمنين^(١).

والهدف لا يخفى على اللبيب وهو الادعاء بوجود تلك الطبقة المزعومة من (أمناء الوحي) الذين لولاهم ما وصل إلينا كتاب الله ﷻ والفرية لا تكتمل إلا بالادعاء أن ابن آكلة الأكباد كان يكتب القرآن وأن محمداً ﷺ لم يكن يعلم ما يكتبه ذلك الأموي البغيض!!.

أما متى كتب ابن آكلة الأكباد الوحي وهو لم يدع الإسلام إلا بعد فتح مكة أي في ختام مرحلة النبوة ولماذا احتاج القوم بعد ذلك إلى جمع القرآن من صدور الرجال بدلاً من اللجوء إلى مدونات ابن أبي سفيان (أمين الوحي) فهذا ما لا يكثر أحد لتحقيقه والتثبت منه.

معنى كلمة أمي:

وردت كلمة النبي الأمي في سورة الأعراف الآية ١٥٧ ﴿أَلَيْسَ الْأُمِّيُّ﴾ حيث يقول القرطبي: (الأمي) أي المنسوب إلى الأمة الأمية، التي هي على أصل ولادتها، لم تتعلم الكتابة ولا القراءة وقيل: نسب النبي ﷺ إلى مكة أم القرى ذكره النحاس.

ثم انتقل القرطبي إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ وذكر قصة صلح الحديبية واعتراض كفار قريش على كلمة (محمد رسول الله) وأمره ﷺ لعلي بمحوها فمحاها وكتب ابن عبد الله (قال علماؤنا ﷺ) (والكلام للقرطبي): وظاهر هذا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. ج ١ ص ٣٦١ طبعة دار الأندلس ١٩٨٣.

أنه ﷺ محا تلك الكلمة التي هي رسول الله ﷺ بيده وكتب مكانها ابن عبد الله وقد رواه البخاري بأظهر من هذا فقال: فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب وذكر القاضي عياض عن معاوية أنه كان يكتب بين يدي النبي ﷺ فقال له: اتق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تُعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم قال القاضي: وهذا وإن لم تصح الرواية أنه ﷺ كتب فلا يبعد أن يرزق علم هذا ويمنع القراءة والكتابة^(١).

رواية البخاري التي تؤكد أن النبي ﷺ كان يكتب بيديه الكريمتين

(٢٥٥٢) - حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء ﷺ قال: اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ، فقالوا: لا نفر بها، فلو نعلم أنك رسول الله ما منعناك، لكن أنت محمد بن عبد الله، قال: (أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله). ثم قال لعلي: (امح: رسول الله). قال: لا والله لا أمحوك أبداً، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب، فكتب: (هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، لا يدخل مكة سلاح إلا في القرب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم بها). فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل، فخرج النبي ﷺ، فبعثهم ابنة حمزة: يا عم يا عم، فتناولها علي، فأخذها بيدها، وقال لفاطمة ﷺ: دونك ابنة عمك احمليها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، فقال علي: أنا أحق بها، وهي ابنة

(١) الطبري، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٤ - ٥/٢١٥.

عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال (الخالة بمنزلة الأم) وقال لعلي: (أنت مني وأنا منك). وقال لجعفر: (أشبهت خلقي وخلقي). وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا).

هذا ما ذكره القرطبي حول هذه المسألة الخلافية التي تعددت فيها الآراء والروايات ما بين مثبت لقراءته وكتابته صلوات الله عليه وبين من ينفي هذا تمسكاً بفهم مختلف عليه لنص قرآني يحتمل عدة معانٍ!!.

يقول الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات)^(١) في معنى كلمة أمي: «يقال لكل ما كان أصلاً لوجود أي شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدؤه أم» ثم تحدث عن معنى النبي الأمي «قيل منسوب إلى الأمة الذين لم يكتبوا كان على عادتهم كقولك عامي لكونه على عادة العامة وقيل سمي بذلك لأنه لم يكن يكتب ولا يقرأ».

إذاً فالقول بأن كلمة أمي الواردة في كتاب الله لا تعني بالضرورة جهلاً بالقراءة أو الكتابة وأنها إما نسبة إلى (أم القرى) أو نسبة (للأميين أي العرب) ليست بدعاً ولا ابتكاراً من كاتب الكتاب الذي قرر السيد الشاعر مهاجمته والقضاء عليه واستنفار الطاقات والهمم العلمية الأزهرية لإثبات عجز رسول الله ﷺ عن القراءة والكتابة في حين يتحدث الأستاذ بسبعة ألسن ويذيع من ست قنوات أرضية وفضائية!!!.

من أين جاءت فرية أمية رسول الله ﷺ؟؟

نحن ممن يؤمن بأن رسول الله ﷺ مثل قمة الكمال البشري وعلى

(١) معجم مفردات القرآن ص ١٨. ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٢. تحقيق نديم مرعشلي.

رأس هذا الكمال العلم ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة ١٢٩]
 وأن علم النبوة لم يكن علماً اكتسبه من البشر وكذا علم جميع الأنبياء
 وإلا فكيف خاطب عيسى ﷺ الناس من مهده قائلاً ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي بِالْكِتَابِ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [٢٠] إلا أن هذا لم يعجب الكفار والمنافقين الذين رد
 عليهم ربنا بقوله ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبْنِي وَهَذَا لِسَانُ عَصِيٍّ ذِي بِيْءٍ﴾ [النحل ١٠٣] وقوله
 ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَازَمْتُمُ النَّاسَ﴾ [الأنعام ١٠٨] والذين حاولوا واخترعوا لرسول الله ﷺ
 أستاذاً للوحي هو الراهب النصراني ورقة بن نوفل وكنا نتمنى على
 المدافعين عن فرية أمية النبي دفاعاً عن الإسلام بزعمهم أن يشهروا
 سيوفهم رداً على افتراءات هؤلاء لا أن يدعمها من حيث لا يدري.

لم يكف هؤلاء قديماً وحديثاً عن تكرار هذا الافتراء والأذى لمقام
 النبوة الخاتمة ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [١١] قُلْ أُذُنٌ
 خَيْرٌ لَّكُمْ ثُمَّ وجدت هذه الافتراءات طريقها إلى ما يسمى بالصحاح
 ومنها إلى كتابات المستشرقين والمبشرين وأين أنت يا شاعر من الرد
 عليهم؟؟!!

إنها الرواية التي تقول (ثُمَّ انْطَلَقْتُ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ
 نَوْفَلٍ بْنِ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخُو أَبِيهَا،
 وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
 مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ - فَقَالَتْ لَهُ
 خَدِيجَةُ أَيُّ ابْنِ عَمٍّ اسْمُكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ وَرَقَةُ ابْنُ أَخِي مَاذَا تَرَى؟
 فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَةُ هَذَا السَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى
 مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا، حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ

اللَّهُ ﴿١٠﴾ «أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ؟». فَقَالَ وَرَقَّةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يَذْرُئُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُّؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشُبْ وَرَقَّةُ أَنْ تُؤْفَى، وَقَتَرَ الْوُحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَمَا يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكُنْهُ يُلْقِي مِنْهُ نَفْسَهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا. فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأَشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوُحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ. والرواية موجودة بتمامها في البخاري والتي أراد البعض أن يجعل منها أصلاً نصرانياً للرسالة الإسلامية ونحن نعتقد ببطلان هذه الرواية وفسادها من جذورها.

وإذا فليس في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يؤيد ما ذهب إليه المتشبهون برأيهم عن أمية النبي وكل ما جاء في كتاب الله عن رسول الله من نفي للكتابة أو التعلم من البشر إنما هو نفي لبشرية الرسالة الإسلامية وإثبات لاتصالها المباشر بالوحي الإلهي الصافي الذي ﴿تَنَزَّلُ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٦٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٦٣﴾ بِلِسَانٍ عَرَفٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾.

موقف أئمة أهل البيت ﷺ

روى صاحب علل الشرائع عن جعفر بن محمد الصوفي قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا ﷺ فقلت يا بن رسول الله لِمَ سمي النبي الأمي؟؟ فقال ما يقول الناس؟ قلت يزعمون أنه إنما سمي الأمي لأنه لم يحسن أن يكتب فقال ﷺ كذبوا أئى ذلك والله يقول في محكم كتابه فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن والله لقد كان رسول يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لساناً وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة ومكة من أمهات القرى وذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿ فَكَيْفَ كَانَ
يعلمهم ما لا يحسن والله لقد كان رسول يقرأ ويكتب باثنين وسبعين
لساناً وإنما سمي الأمي لأنه كان من أهل مكة ومكة من أمهات القرى
وذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿...لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

وبقى أننا ندعو القوم لمراجعة كتب السيرة النبوية وما جاء فيها
من أخبار عن رسائل رسول الله ﷺ التي أرسلها للملوك يدعوهم فيها
للإسلام وكل هذه الأخبار وردت بصيغة (كتب رسول الله وقرأ رسول الله)
وليجيئونا عن معنى كتب وقرأ؟؟؟.

الخلاصة: إنه ليس هناك ثمة إجماع أو حتى شبهة إجماع على هذا
الادعاء بأمية رسول الله ﷺ قراءة أو كتابة عند مفسري أهل السنة ولا
محدثيهم وأولهم البخاري الذي أثبت لرسول الله ﷺ الكتابة والقراءة
وهم الذين اختلفوا حول هذه المسألة فمنهم من أثبت كتابته بيده ومنهم
من نفى هذا، أما في مدرسة أهل البيت فالأمر محسوم تماماً نفياً لهذه
الأموية اللغوية وإثباتاً لكمال علمه صلوات الله وسلامه عليه بتعليم إلهي
لا دخل فيه لبشر كائناً من كان لا من (ورقة) ولا من كتاب وهذا من
تمام كماله وأعلام نبوته ﷺ.

(١) الشيخ الصدوق، علل الشرائع، ص ١٢٤ - ١٢٥ طبعة دار إحياء التراث العربي.

وفاة رسول الله ﷺ

يقول الإمام علي عليه السلام :

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنِّي لَمْ أَرُدْ عَلَى
الله وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي
تَنُكْصُ فِيهَا الْإِبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَأَلْتُ
نَفْسِي فِي كَفِّي، فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي.

وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ﷺ وَالْمَلَائِكَةُ أَغْوَانِي فَصَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ،
مَلَأَ يُهَيِّطُ، وَمَلَأَ يَغْرُجُ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ
حَتَّى وَارْتِنَاهُ فِي ضَرْبِهِ.

فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟ فَاثْفُدُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصُدُقْ
بَيَّانُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ،
وَأِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ^(١)

أما الذين ردوا على رسول الله ﷺ قوله فمعروف من هم وهم
الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها يوم الحديبية قائلين (لم نعط الدنيا في
ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين عدونا) وهم الذين رفعوا أصواتهم

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٧.

فوق صوت النبي وهم أيضاً الذين طلب منهم رسولنا الأكرم أن يأتوه
بكتاب يكتب فيه وصيته فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فكان أن مات
رسول الله مغموماً مكروباً بسببهم.

إنه الموقف الذي رواه ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى قال:
أخبرنا أنس بن عياض أبو ضمرة الليثي قال حدثونا عن جعفر بن محمد
عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل فقال
يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك
عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟؟ قال: أجدني يا جبريل
مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً، فلما كان اليوم الثاني هبط إليه جبريل
فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك
يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك؟؟ فقال: أجدني يا
جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً، فلما كان اليوم الثالث نزل
عليه جبريل وهبط معه ملك الموت ونزل معه ملك يقال له إسماعيل
يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم
كانت الأرض على سبعين ألف ملك ليس منهم ملك إلا على سبعين
ألف ملك فسبقهم جبريل فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك
وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك ويقول لك كيف
تجدك؟؟ قال أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً، ثم
استأذن ملك الموت فقال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن
عليك ولم يستأذن على آدمي كان قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك،
قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال يا
رسول الله يا أحمد إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما
تأمرني إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها
تركتها، قال وتفضل يا ملك الموت؟؟ قال بذلك أمرت أن أطيعك في كل

ما أمرني، فقال جبريل: يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك قال فامض يا ملك الموت لما أمرت به، قال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر مواطني الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا.

فتوفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات فبالله فثقوا وإياه فارجوا إنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لماذا غم رسول الله وكرهه؟؟^(١)

أما سبب غمه وكرهه ﷺ فيرويه ابن سعد أيضاً في طبقاته قال: أخبرنا يحيى بن حماد أخبرنا أبو عوانة عن سليمان يعني الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اشتكى النبي ﷺ يوم الخميس فجعل ابن عباس يبكي ويقول يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد بالنبي ﷺ وجعه فقال ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً قال فقال بعض من كان عنده إن نبي الله ليهجر قال فقل له ألا نأتيك بما طلبت قال أو بعد ماذا قال فلم يدع به.

وروى أيضاً أخبرنا سفيان بن عيينة عن سليمان بن أبي مسلم خال ابن أبي نجيع سمع سعيد بن جبير قال قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس؟ قال اشتد برسول الله ﷺ وجعه في ذلك اليوم فقال ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ١٤٥ - ١٤٧ / ١.

ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه أهدر استفهموه فذهبوا يعيدون عليه فقال دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه وأوصى بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة فلا أدري قالها فنسيتها أو سكت عنها عمداً.

أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثني قرة بن خالد أخبرنا أبو الزبير أخبرنا جابر بن عبد الله الأنصاري قال لما كان في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمنه كتاباً لا يضلون ولا يضلون قال فكان في البيت لفظ وكلام وتكلم عمر بن الخطاب قال فرفضه النبي ﷺ.

أخبرنا حجاج بن نصير أخبرنا مالك بن مغول قال سمعت طلحة بن مصرف يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول يوم الخميس وما يوم الخميس؟ قال وكأنني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام لؤلؤ قال: قال رسول الله ﷺ: اثنوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً قال فقالوا إنما يهجر رسول الله ﷺ^(١).

أخبرنا محمد بن عمر حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول الله ﷺ اغسلوني بسبع قرب وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقال النسوة اتنوا رسول الله ﷺ بحاجته قال عمر فقلت اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرضن عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه فقال رسول الله ﷺ هن خير منكم.

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ١/١٥٥.

أخبرنا محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن يزيد عن أبي الزبير عن جابر قال دعا النبي ﷺ عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلوا ولا يضلوا فلفطوا عنده حتى رفضها النبي ﷺ.

أخبرنا محمد بن عمر حدثني أسامة بن زيد الليثي ومعمار بن راشد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال رسول الله ﷺ هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال عمر إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ومنهم من يقول ما قال عمر فلما كثر اللغط والاختلاف وغموا رسول الله ﷺ فقال قوموا عني فقال عبيد الله فكان ابن عباس يقول الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم أخبرنا محمد بن عمر حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه اتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقال عمر بن الخطاب من لفلانة وفلانة مدائن الروم إن رسول الله ﷺ ليس بميت حتى نفتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبي ﷺ ألا تسمعون النبي ﷺ يعهد إليكم فلفطوا فقال قوموا فلما قاموا قبض النبي ﷺ مكانه^(١).

السبب الثاني لغم رسول الله ﷺ وكربه هو تقاعس القوم عن إنفاذهم بعث أسامة بن زيد وكما يروي ابن سعد في طبقاته.

فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ٣/٢١٤.

من مهاجر رسول الله ﷺ أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم
فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر إلى موضع مقتل أبيك
فاوطنهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على أهل أبنى
وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم
وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك فلما كان يوم الأربعاء
بدى برسول الله ﷺ فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة
لواء بيده ثم قال اغز بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج
بلوائه وعقوداً فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي وعسكر بالجرف
فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك
الغزوة فيهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح
وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن
حريش فتكلم (قوم) وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين
فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصاة
وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها
الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في
إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله وإيم الله إن كان للإمارة
لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي
وإنهما لمخيلان لكل خير واستوصوا به خيراً فإنه من خياركم ثم نزل
فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول وجاء المسلمون
الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ فجعل يقول أنفذوا بعث
أسامة فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه فدخل أسامة من
معسكره والنبي مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فغطاً أسامة فقبله
ورسول الله ﷺ لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على
أسامة قال فعرفت أنه يدعو لي ورجع أسامة إلى معسكره ثم دخل يوم

الاثنين وأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً صلوات الله عليه وبركاته فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول إن رسول الله يموت فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة فانتھوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت فتوفي ﷺ يحبها ويرضاها حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أسامة معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزته عنده فلما بويح لأبي بكر أمر بريدة بن الحصيب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه فمضى به بريدة إلى معسكرهم الأول فلما ارتدت العرب كلم أبو بكر في حبس أسامة فأبى وكلم أبو بكر أسامة في عمر أن يأذن له في التخلف ففعل فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة خرج أسامة فسار إلى أهل أبي عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وكان شعارهم يا منصور أمت^(١).

ولماذا لا يغتم رسول الله وهو يأمر بالأمر فلا يطاع ويُرد أمره ويأمر بإنفاذ بعث أسامة فيتمرد القوم ولا ينفذه من سماه ابن سعد في هذه الروايات تارة بالاسم وتارة بـ(قوم) رافضاً إجابة طلبه ﷺ زاعماً أن في كتاب الله ما يغني ويفيض قائلاً إن رسول الله يهجر أي يهذي ولا يعني ما يقول فأبي دين وأي إيمان يزعمون وأي حديث بعده يؤمنون وأي نبي يقدسون وهم قد اختلفوا وتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ثم يزعمون أن رسول الله مات وهو راض عن هؤلاء. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أما المصيبة الكبرى فهي إنكارهم لوصية رسول الله لأهل بيته

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ١/٢١٤.

وصيه علي بن أبي طالب وزعمهم أنه مات ولم يوص مع أن كتاب الله حض المؤمنين على الوصية قبل الموت فهل أبلغ رسول الله الناس بما جاء في القرآن ولم يحرص على العمل به؟؟ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدُوا بَيْنَكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَصْبِتُمْ يُصِيبُ الْمَوْتَ مَن يَشَاءُ لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَمِنَ الْأَيُّمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦].

وهل كان رسول الله ممن يأمر الناس بالبر وينسون أنفسهم فيترك هذه الفريضة الإلهية التي كتبها الله على عباده المؤمنين؟ وهل كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كاذباً حين تحدث عن وصية رسول الله له والتي أهلته لأن يكون أحق الناس برسول الله حياً وميتاً؟؟.

إثبات الوصية:

تلك الوصية التي أجهد القوم أنفسهم في نفيها والادعاء بأنه مات في حجر عائشة متجاهلين تلك الأخبار الصحيحة التي رواها الثقات وذكرها ابن سعد في الطبقات قال:

- أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا عبد العزيز بن محمد عن حرام بن عثمان عن أبي حازم عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ فقال عمر سل علياً قال أين هو؟ قال هو هنا فسأله فقال علي أسندته إلى صدري

فوضع رأسه على منكبي فقال الصلاة الصلاة فقال كعب كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون قال فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال سل علياً قال فسأله فقال كنت أغسله وكان العباس جالساً وكان أسامة وشقران يختلفان إلي بالماء.

• أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ في مرضه ادعوا لي أخي قال فدعي له علي فقال ادن مني فدنوت منه فاستند إلي فلم يزل مستنداً وإنه ليكلمني حتى إن بعض ريق النبي ﷺ ليصيبني ثم نزل برسول الله ﷺ وثقل في حجري فصحت يا عباس أدركني فإني هالك فجاء العباس فكان جهدهما جميعاً أن أضجعا^(١).

• أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن محمد بن علي عن أبيه عن علي بن حسين قال قبض رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي أخبرنا محمد بن عمر حدثني أبو الجويرية عن أبيه عن الشعبي قال توفي رسول الله ﷺ ورأسه في حجر علي وغسله علي والفضل محتضنه وأسامة يناول الفضل الماء^(٢).

• أخبرنا محمد بن عمر حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه عن أبي غطفان قال سألت ابن عباس أرايت رسول الله ﷺ توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال توفي وهو لمستند إلى صدر علي قلت فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري فقال ابن عباس أتعقل؟! والله لتوفي

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ٢/٤٥.

(٢) ابن سعد، مرجع سابق، ٢/٤٧.

رسول الله ﷺ وإنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله وأخي الفضل بن عباس وأبي أبي أن يحضر وقال إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نستتر فكان عند الستر^(١).

فمن ذا إذا أحق الناس برسول الله حيًا وميتًا من علي بن أبي طالب وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا؟؟؟.

وهل نزلت الملائكة إلا لتعزي أهل البيت ﷺ في مصابهم قائلة: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات فبالله فشقوا وإياه فارجوا إنما المصائب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وهل كانت الملائكة لتعزي من أعرضوا عن إنفاذ أمر رسول الله حيًا وميتًا وضربوا بوصاياهم عرض الحائط؟؟؟!!.

بعض من وصايا رسول الله ﷺ :

لا شك أن القوم يخبطون خبط عشواء فهم تارة يقولون إن رسول الله لم يوص وتارة أخرى ينقلون عنه جملة من الوصايا بالانصار وبغيرهم قالها في تلك اللحظات الفارقة في تاريخ الإسلام مما ينقض تماماً كل تلك الادعاءات من أنه مات ولم يوص وترك أمته لشأنها تدبره كيف تشاء ولا شك أن وصاياهم ﷺ كانت من علامات نبوته واضطلاعه على مستقبل هذه الأمة وما ستؤول إليه أمورها من تغلب الخط الانحرافي واستيلائه على مقاليد الأمة ولو إلى حين.

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ٢/٥١.

الوصية بالأنصار كانت داخلة في هذا الإعلام النبوي الغيبي بأحوال الأمة بعد نبيها حيث يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما انتهت إليه أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فسأل: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير.

قال عليه السلام: فَهَلَّا اخْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ: بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟

فقال عليه السلام: لَوْ كَانَتْ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ.

ثم قال: فَمَآذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ؟

قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله.

فقال عليه السلام: اخْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ^(١).

أما وصية رسول الله بالأنصار فيذكرها ابن سعد في طبقاته فيقول:

أخبرنا محمد بن عمر أخبرنا مسلمة بن عبد الله بن عروة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نصب عليه من سبع قرب من سبعة آبار ففعلنا فلما اغتسل وجد الراحة فصلى بالناس ثم خطبهم واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ودعا لهم ثم أوصى بالأنصار فقال يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم هم عييتي التي أويت إليها أكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئتهم.

• أخبرنا محمد بن عمر حدثني معمر ومحمد بن عبد الله عن

(١) نهج البلاغة، خطبة ٦٦.

الزهري عن عبد الله بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه فقال يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيتها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عييتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وأحسنوا إلى محسنهم.

• أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمد بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال خرج رسول الله ﷺ والناس مستكفون يتخبرون عنه فخرج مشتملاً قد طرح طرفي ثوبه على عاتقه عاصباً رأسه بعصابة بيضاء فقام على المنبر وثاب الناس إليه حتى امتلأ المسجد قال فتشهد رسول الله ﷺ حتى إذا فرغ قال يا أيها الناس إن الأنصار عييتي ونعلي وكرشي التي آكل فيها فاحفظوني فيهم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم^(١).

كانت هذه هي وصية رسول الله ﷺ بالأنصار وهي الوصية التي تدحض حجة من يزعم أن رسول الله ﷺ مات ولم يوص بشيء ولا شك أن ما يحاول القوم نفيه هو وصيته بولاية علي بن أبي طالب تلك الوصية التي حاول رسول الله ﷺ أن يشتمها كتابة فأبى القوم إلا تمرداً وإعراضاً عن إنفاذ أمر رسول الله.

(١) ابن سعد، مرجع سابق، ٥٤ - ٢/٥٥.

مرآتي رسول الله ﷺ الإمام يرثي رسول الله ﷺ

لا شك أن ثقافتنا الدينية هي ثقافة الأفراح والليالي الملاح وهي ثقافة ليس للحزن فيها نصيب.

وباستثناء شيعة محمد وآل محمد فلا أحد من هذه الأمة وتحديدأ أولئك الذين يرون أنفسهم شعب الله المختار أو الفئة الوحيدة الناجية من النار يمكن له أن يفتش عن أحزان هذه الأمة أو أن يرد على لسانه ذكر أولئك الذين جعلوا رسول الله ﷺ حزيناً مغموماً مكروباً في تلك اللحظات الأخيرة من لحظات حياته في هذه الدنيا!!.

كيف هذا وهم يرون أن الخطر الأكبر على (إسلامهم) يأتي من رسول الله ﷺ أو ما يسمونه بالغلو في الصالحين وهم يحلمون بيوم يتمكنون فيه من هدم ضريح رسول الله ويحرمون التوسل به ويرون في ذلك شركاً مخرجاً من الملة!!؟.

ولا أدري عن أي ملة يتحدثون؟؟.

ملة إبراهيم حنيفاً أم ملة بني أمية!!؟.

وها هو علي بن أبي طالب يرثي رسول الله ويبكيه وهو يلي غسله وتكفينه ويعالج بنفسه مصيبة فراق رسول الله والفتنة التي نزلت بالأمة من بعده فيقول:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ
النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِيًا عَمَّنْ
سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَانْقَدْنَا عَلَيْكَ مَاءِ
الشُّؤُونِ (منايع الدمع)، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُعَاطِلًا، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا، وَقَلَّا
(قليل) لَكَ! وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلِكُ رَدُّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ!.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!.

وها هو يرثيه مرة ثانية عند دفنه لسيدة نساء العالمين فاطمة بنت
محمد عند موتها بعد أبيها سيد الكونين والثقلين من عرب ومن عجم بعد
ذلك بأيام قلائل.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ،
وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ!

قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقِّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنْ
لِي فِي النَّاسِ بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ وَقَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزُّ فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي
مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَقَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ.

إِنَّا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأَخَذَتِ الرَّهِيْنَةُ!
أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الْبَتَى
أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُبَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافِرِ أُمِّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَخْفِهَا السُّؤَالَ
وَاسْتَحْبِرْهَا الْحَالَ، هَذَا وَلَمْ يَطْلُ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامٌ مُودَعٌ، لَا قَالَ وَلَا سَمِعَ، فَإِنْ أَنْصَرِفَ فَلَا
عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أَقِمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ.

أروى بنت عبد المطلب:

ولكن لهرج كان بعدك آتيا
وما خفت من بعد النبي المكاويا
على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فبك بحزن آخر الدهر شاجيا
وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا
وقمت صليب الدين أبلج صافيا
سعدنا ولكن أمرنا كان ماضيا
وأدخلت جنات من العدن راضيا

لعمرك ما أبكي النبي لموته
كأن على قلبي لذكر محمد
أفاطم صلى الله رب محمد
أبا حسن فارقت وتركته
فدا لرسول الله أمي وخالتي
صبرت وبلغت الرسالة صادقا
فلو أن رب الناس أبقاك بيننا
عليك من الله السلام تحية

عاتكة بنت عبد المطلب:

سكبا وسحا بدمع غير تعذير
حتى الممات بسجل غير منزور
للمصطفى دون خلق الله بالنور
يوم القيامة عند النفخ في الصور

عيني جودا طوال الدهر وانهمرا
يا عين فاسحفري بالدمع واحتفلي
يا عين فانهملي بالدمع واجتهدي
فاذهب حميدا جزاك الله مغفرة

وقالت أيضا:

سحا على خير البرية أحمد
وابكي على نور البلاد محمد
في كل نائبة تنوب ومشهد
حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد
بعد المغيب في الضريح الملحد
ومسلسل يشكو الحديد مقيد

يا عين جودي ما بقيت بعبرة
يا عين فاحتفلي وسحي واسجمي
أنى لك الويلات مثل محمد
فابكي المبارك والموفق ذا التقى
من ذا يفك عن المغلل غله
أم من لكل مدفع ذي حاجة

أم من لوحى الله يترك بيننا
فعليك رحمة ربنا وسلامه
يا ذا الفواضل والندى والسود
شكس خلائقه لثيم المحتد
في كل ممسى ليلة أو في غد

وقالت:

أعيني جودا بالدموع السواجم على المصطفى بالنور من آل هاشم
على المرتضى للبر والعدل والتقى وللدين والإسلام بعد المظالم
على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى وذو الفضل والداعي
لخير التراحم

أعيني ماذا بعدما قد فجعتما به تبكيان الدهر من ولد آدم
فجودا بسجل وانديا كل شارق ربيع اليتامى في السنين البوازم

صفية بنت عبد المطلب:

لهف نفسي وبت كالمسلوب
من هموم وحسرة ردتني
حين قالوا إن الرسول قد أمسى
إذ رأينا أن النبي صريع
إذ رأينا بيوته موحشات
أورث القلب ذاك حزنا طويلا
ليت شعري كيف أمسي صحيحا
أفاطم أبكي ولا تسامي
هو المرء يبكي وحق
فأوحشت الأرض من فقده
أرق الليل فعلة المحروب
ليت أنني سقيتها بشعوب
وافقته منية المكتوب
فأشاب القذال أي مشيب
ليس فيهن بعد عيش حبيبي
خالط القلب فهو كالمرعوب
بعد أن بين بالرسول القريب
بصبحك ما طلع الكوكب
هو الماجد السيد الطيب
وأي البرية لا ينكب

إلا الجوى الداخل المنصب
شهود المدينة والغيب
إذا حجب الناس لا تحجب
يطوف بعقوته أشهب
فلم يلف ما طلب الطلب
وتبكيه مكة والأخشب
بحزن ويسعده الميثب
وحق لدمعك يستسكب

فما لي بعدك حتى الممات
فبكي الرسول وحقت له
لتبكيك شمطاء مضرورة
ليبكيك شيخ أو ولده
وببكيك ركب إذا أرملا
وتبكي الأباطح من فقده
وتبكي وعيرة من فقده
فعيني ما لك لا تدمعين
وقالت أيضاً:

لوجد في الجوانح ذي دبيب
فأمسى الرأس مني كالعسيب
رسول الله ما لك من ضريب
طويل الباع منتجب نجيب
وماوى كل مضطهد غريب
فقد ما عشت ذا كرم وطيب
وفيما ناب من حدث الخطوب

أرقت فبت ليلي كالسليب
فشيبني وما شابت لداتي
لفقد المصطفى بالنور حقا
كريم الخيم أروع مضرحي
مال المعدمين وكل جار
فإن تمس في جدث مقيما
وكننت موفقا في كل أمر

هند بنت الحارث بن عبد المطلب:

كما تنزل ماء الغيث فانشعبا
في جدول خرق بالماء قد سربا
أن ابن آمنة المأمون قد ذهب
قد ألحفوه تراب الأرض والحدبا
وعما كريمي ليس مؤتسبا

يا عين جودي بدمع منك وابتدري
أو فيض غرب على عادية طويت
لقد أتنني من الأنباء معضلة
أن المبارك والميمون في جدث
أليس أوسطكم بيتا وأكرمكم خلا

الذين ارتدوا على أديبارهم

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا،
فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَبَ النُّعْمَةَ عَلَيْهِمْ
جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالتَّقَتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ
بَرَكَتِهَا، فَأَضْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِيقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكَّهِينَ، قَدْ
تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَأَوَّاهَتْهُمْ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزِّ
غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى مُلْكٍ نَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى
الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ
يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَنُفُضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُنْضِيهَا فِيهِمْ لَا تُغْمَزُ لَهُمْ
قَنَاءٌ، وَلَا تُفْرَعُ لَهُمْ صَفَاءٌ

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَتَلَمَّسْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ
الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ امْتَنَ عَلَى
جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي
ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً،
لَأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَغْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوَالَاةِ اخْرَابًا، مَا
تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ،

تَقُولُونَ: النَّارُ وَلَا الْعَارَا كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِتُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ،
 أَنْتَهَاكَ لِحَرِيْبِهِ، وَنَقْضًا لِمِثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ،
 وَأَمَّا بَيْنَ خَلْقِهِ.

وَأَنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا
 مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى
 يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَاسِ اللهِ تَعَالَى وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ،
 فَلَا تَسْتَبِطُوا وَعِيْدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَؤُنَا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ بَاسِهِ، فَإِنَّ
 اللهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ الشُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ
 لِتَرْكِ النَّهْيِ!

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ، وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمْتُمْ أَحْكَامَهُ.

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنُّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ،
 فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ
 دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذَّةِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ بِصَغْفَةٍ سَمِعْتُ لَهَا وَجْبَةً قَلْبِهِ
 وَرَجَّةَ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلَيْتَنِ أَذِنَ اللهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ
 لِأَدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ تَشَدُّرًا.

ولو أننا تأملنا في تاريخ الإسلام الذي ذكرناه آنفاً لأدركنا الدور
 الرئيسي الذي قام به بنو هاشم رهط النبي بدءاً من الأجداد ثم الآباء
 ومروراً بالأبناء والأحفاد ووصولاً إلى اللحظات الأخيرة قبل انتقال
 رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو يطلب من القوم قلماً ليكتب لهم
 وصيته الأخيرة فيرفضون ويتمردون وتعلو أصواتهم فوق صوت النبي

وتلك هي قاصمة الدهر أو الرزية التي وقعت يوم الخميس فصارت كل
 أيامنا رزايا وبلايا فصار القوم بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَغْرَابًا، وَبَعْدَ الْمَوَالَاةِ أَحْزَابًا،
 مَا يَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ،
 يَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَ فَاكْفَاوْا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكَ لِحَرِيمِهِ،
 وَتَقْضَا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ، وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ.

هذه هي الحقيقة التي يرفض القوم قبولها والاعتراف بها فما بالك
 بالإقرار بمسؤوليتهم عن حدوثها؟

الحقيقة التي يعرفها القوم الذين لَجَّوْا بالفعل إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وساروا
 على غير الطريق الذي رسمه لهم رسول الله فَحَازَ بِهِمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، وَالْآنَ
 لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارَ يَنْصُرُونَهُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةُ
 بِالسَّيْفِ حَتَّى يَخْضَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وهو خير الحاكمين.

الحقيقة التي ينكرها القوم أن العرب الذين لم يكونوا يقرؤون كتاباً
 ولم يكن لهم ثمة وجود ولا كيان سياسي يجمع شتاتهم ولولا النعمة
 التي أنعم الله بها عليهم بفضل محمد وآل محمد وجهادهم وصبرهم على
 البلايا والرزايا والمكاره ولكن القوم تنكروا لكل هذا وكذبوا واتبعوا
 أهواءهم وكل أمر مستقر.

إنها الحقيقة التي تحدث عنها كتاب الله ﷻ وهي وقوع حالة من
 الانحراف عن المسار الصحيح للدين وهو الانقلاب الذي ظهرت معالمه
 في الكثير من السلوكيات المعوجة التي مارسها القوم أثناء حياة
 رسول الله ﷺ والتي بلغت قمته في رزية يوم الخميس وما أدراك ما
 رزية يوم الخميس!!.

يقول سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَتِيبُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦ فَكَفَبَ إِذَا تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ رُءُوسَهُمْ وَأَدْبِرُوهُمْ ٢٧ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ٢٨ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَثَهُمْ ٢٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَمَرْنَاكُم بِالْحَرْبِ فَلَاقَيْنَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَنُفِرْتُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ٣٠ وَاتَّبَلُّوكُمْ حَتَّىٰ تَمْلَأَ الْمُجْرِمِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَتَبَلُّوْا لِمَنَآكِرُكُمْ ٣١ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ٣٢ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ٣٣﴾ [محمد ٢٥ - ٣٣].

لقد تفرغت الطبقة المتغلبة على الإسلام والمسلمين من يومها إلى يومنا هذا في صياغة (إسلام بديل) أو (إسلام مواز) لا مكان فيه لأهل البيت (عليه السلام)

إسلام يقوم على أكتاف الآخرين يعجزهم ويجرحهم وعلمهم وجهلهم وكان لهم أغلب ما أرادوا وليس كل ما أرادوا لأن الله تبارك وتعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

يروى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن شيخه أبي جعفر قال: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْهَاتٍ ۚ اللَّهُ ۖ فَلَمْ يَقْبَلْ بِذَلِّ لَه مِائَتِي أَلْفِ دَرَاهِمٍ

فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك .

قال وقد صح أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي له حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبي زينب^(١) .

هذه هي الحقيقة التي يعرفها كل من له أدنى إلمام أو معرفة بعلوم الدين وتاريخ الإسلام الذي قام على أكتاف هؤلاء العظماء من بني هاشم وانتهى بإقامة نظام سياسي لا يتعلّق من الإسلام إلا باسمه، ولا يعرف من الإيمان إلا رسمه ولا هم له إلا محاربة شيعة محمد وآل محمد أو تشويه صورتهم إن عجز عن حربهم بصورة مباشرة .

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣/٥٧. الطبعة السابقة.

واجب المؤمنين نحو نبيهم

الواجب الأول: تجديد العهد مع رسول الله ﷺ

كان أمير المؤمنين يدعو بهذا الدعاء: اللَّهُمَّ دَاخِيَ الْمَذْخَوَاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيهَا وَسَعِيدِهَا .

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتَمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْتَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَالِدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالْدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِلَ فَاضْطَلَعَ، قَائِمًا بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدَمٍ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزَمٍ، وَاعِيًا لِيُوحِيكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْزَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَهَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَأَقَامَ مُوَضِّحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَثَرَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمُخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ .

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ اغْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنَزَلَتَهُ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنْ ابْتِغَائِكَ لَهُ مَقْبُولِ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةٍ فَضْلٍ .

اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَتُهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وَقَرَارِ النُّعْمَةِ، وَمُنَى
الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ، وَتَحْفِ
الْكِرَامَةِ^(١).

الصلاة على النبي وآله الطاهرين:

يقول ابن كثير^(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(٥١)﴾ [الأحزاب ٥٦].

المقصود من هذه الآية أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ
عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ
وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ ثُمَّ أَمَرَ تَعَالَى أَهْلَ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ بِالصَّلَاةِ
وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ لِيَجْتَمِعَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمَيْنِ الْعُلَوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ
جَمِيعًا.

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَنَّهُ يُصَلِّي عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا^(٥١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا^(٥٢)
هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ^(٥٣)﴾ الآية وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ^(٥٤)
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَلَئِنَّا إِلَيْهِ رَجِعُونَ^(٥٥)﴾ الآية.

وَقَدْ جَاءَتْ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ
عَلَيْهِ وَكَيْفِيَةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا تيسَّرَ وَاللَّهُ
الْمُسْتَعَانُ قَالَ الْبُخَارِيُّ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ
سَعِيدٍ أَخْبَرَنَا أَبِي عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ إِبْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ كُثَيْبِ بْنِ

(١) نهج البلاغة، خطبة ٧١.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣، ص: ٥٠٧ عيسى البابي الحلبي. بدون تاريخ.

عُجْرَةٌ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْتَاهُ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ ؟ قَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْحَكَمِ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ لَقِيتُنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً ؟ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا أَوْ عَرَفْنَا كَيْفَ السَّلَامُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ ؟ فَقَالَ قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ الْحَكَمِ وَهُوَ ابْنُ عُثَيْبَةَ زَادَ الْبُخَارِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى .

ثم ذكر ابن كثير مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ وَيَزِيدِ بْنِ هَارُونَ وَزَيْدِ ابْنِ الْحُبَابِ ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ نُوحِ بْنِ قَيْسٍ حَدَّثَنَا سَلَامَةُ الْكِنْدِيُّ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ هَذَا الدُّعَاءَ :

اللَّهُمَّ دَاجِي الْمَذْحُوثَاتِ وَبَارِي الْمَسْمُوكَاتِ وَجَبَّارِ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ وَالْحَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْمُعْلِنِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ وَالذَّامِعِ لِحَيِّثَاتِ الْأَبَاطِيلِ كَمَا حَمَلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نِكِلٍ فِي قَدَمٍ وَلَا وَهْنٍ فِي عِزِّهِ وَأَعْيَا لِيُوْخِيكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ حَتَّى أُوْزَى قَبَسًا لِقَاسٍ، آلاءُ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ بِهِ هُدَيْتِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ

وَالْإِثْمَ وَأَنْهَجَ مُوضَحَاتِ الْأَغْلَامِ وَنَائِزَاتِ الْأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ
 أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمُخْزُونُ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً
 وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةُ اللَّهِ أَفْسَحَ لَهُ فِي عَذْنِكَ وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ
 مِنْ فَضْلِكَ مَهَنَاتِ غَيْرِ مُكَدَّرَاتِ مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ وَجَزِيلِ عَطَائِكَ
 الْمَمْلُوكِ اللَّهُمَّ اغْلِ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمِ مَثْوَاهُ لَذِيكَ وَتَزُلْهُ وَأَتَمِّمْ لَهُ
 نُورَهُ وَاجْزِهِ مِنْ إِبْنِعَائِكَ لَهُ مَقْبُولُ الشَّهَادَةِ مَرْضِي الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقِ عَدْلٍ
 وَخُطَّةِ فَضْلٍ. وَحُجَّةِ وَبُرْهَانِ عَظِيمٍ.

قال ابن كثير: هَذَا مَشْهُورٌ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ ابْنُ
 قُتَيْبَةَ فِي مُشْكِلِ الْحَدِيثِ وَكَذَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ قَارِسٍ اللَّغَوِيُّ فِي
 جُزْءِ جَمْعِهِ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ^(١).

الواجب الثاني: المودة في القربى

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّضْ حَسَنَةً زِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 شَكُورٌ﴾ [الشورى ٢٣].

تفسير القرطبي:

قال القرطبي في تفسيره: الْقُرْبَىٰ قَرَابَةُ الرُّسُولِ ﷺ أَي لَا أَسْأَلُكُمْ
 أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَوَدُّوا قَرَابَتِي وَأَهْلَ بَيْتِي كَمَا أَمَرَهُمْ بِإِعْطَامِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ.
 وَهَذَا قَوْلُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ وَعَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ وَالسُّدِّيُّ. وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدِ
 بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ ﷻ ﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٢٤ - ٥٢٨/٣. دار مصر للطباعة، القاهرة. بدون تاريخ.

فِي الْقُرْآنِ ﴿ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَوَدُّهُمْ؟ قَالَ: (عَلَيَّ وَفَاطِمَةُ وَأَبْنَاؤُهُمَا) وَيَذَلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا مَا رَوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ؑ قَالَ: شَكُوتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حَسَدَ النَّاسِ لِي فَقَالَ: (أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَابِعَ أَرْبَعَةِ أَوَّلِ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَنَا وَأَنْتَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَأَزْوَاجُنَا عَنْ أَيْمَانِنَا وَشَمَائِلِنَا وَذُرِّيَّتِنَا خَلْفَ أَزْوَاجِنَا) وَعَنْ النَّبِيِّ ﷺ: (حُرِّمَتْ الْجَنَّةُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي وَأَذَانِي فِي عِثْرَتِي وَمَنْ إِضْطَنَعَ صَنِيعَهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَمْ يُجَازِهِ عَلَيْهَا فَأَنَا أَجَازِيهِ عَلَيْهَا عَدَا إِذَا لَقِيَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةَ: الْمَعْنَى إِلَّا أَنْ يَتَوَدَّدُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ (فَالْقُرْبَى) عَلَى هَذَا بِمَعْنَى الْقُرْبَةِ يُقَالُ: قُرْبَةٌ وَقُرْبَى بِمَعْنَى، كَالزُّلْفَةِ وَالزُّلْفَى. وَرَوَى قَزَعَةُ بْنُ سُوَيْدٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى مَا آتَيْتُكُمْ بِهِ أَجْرًا إِلَّا أَنْ تَوَادُّوا وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ). وَرَوَى مَنْصُورٌ وَعَوْفٌ عَنْ الْحَسَنِ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قَالَ: يَتَوَدَّدُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَقَرَّبُونَ مِنْهُ بِطَاعَتِهِ وَقَالَ قَوْمٌ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ وَإِنَّمَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِمَوَدَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَصِلَةِ رَحِمِهِ، فَلَمَّا هَاجَرَ آوَتْهُ الْأَنْصَارُ وَنَصَرُوهُ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُلْحِقَهُ بِإِخْوَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ حَيْثُ قَالُوا ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ لَجَرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٠٩] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ لَجَرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [سَبَأَ: ٤٧] فَتُبَسِّحَتْ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَيَقُولُ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وَقَوْلُهُ ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ حَرَمًا فَمَخْرُجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٧٢] وَقَوْلُهُ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ [الطُّور: ٤٠] قَالَهُ الضَّحَّاكُ وَالْحُسَيْنُ

بِنِ الْفَضْلِ وَرَوَاهُ جُوَيْرٍ عَنْ الصُّحَّاحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ الثُّغَلَيْي: وَلَيْسَ
 بِالْقَوِيِّ وَكَفَى قُبْحًا يَقُولُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِطَاعَتِهِ وَمَوَدَّةِ
 نَبِيِّهِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَنْسُوخٌ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ
 مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جَعَلَ اللَّهُ رُؤُوسَ قَبْرِهِ
 الْمَلَائِكَةُ وَالرَّحْمَةُ وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبًا
 بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسُ الْيَوْمِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ
 يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ. وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ بَيْتِي فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِي
 شَفَاعَتِي) قُلْتُ وَذَكَرَ هَذَا الْخَبَرَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِأَطْوَلٍ مِنْ هَذَا
 فَقَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيدًا
 أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مُؤْمِنًا مُسْتَكْمِلَ الْإِيمَانِ. أَلَا وَمَنْ
 مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ بَشَّرَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ بِالْجَنَّةِ ثُمَّ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ أَلَا
 وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ يُزَفُّ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا تُزَفُّ الْعُرُوسُ إِلَى
 بَيْتِ زَوْجِهَا أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فُتِحَ لَهُ فِي قَبْرِهِ بَابَانِ إِلَى
 الْجَنَّةِ أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ جَعَلَ اللَّهُ قَبْرَهُ مَزَارَ مَلَائِكَةِ
 الرَّحْمَةِ أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَلَا
 وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسُ مِنْ
 رَحْمَةِ اللَّهِ أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ كَافِرًا أَلَا وَمَنْ مَاتَ
 عَلَى بُغْضِ آلِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ).

وَمَنْ يَفْتَرِفَ حَسَنَةً أَيْ يَكْتَسِبُ وَأَصْلُ الْقَرْفِ الْكُسْبُ، وَقَالَ ابْنُ
 عَبَّاسٍ: ﴿وَمَنْ يَفْتَرِفُ حَسَنَةً﴾ قَالَ الْمَوَدَّةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

نَزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا أَيْ نُصَاعِفَ لَهُ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ فِصَاعِدًا^(١).

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٢٥ - ١٦/٢٧.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي الدُّيْنَالِمِ قَالَ: لَمَّا جِيءَ بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أُسِيرًا فَأُقِيمَ عَلَى دَرَجٍ دَمَشَقَ قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَكُمْ وَاسْتَأْصَلَكُمْ وَقَطَعَ قُرْنَ الْفِتْنَةِ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَقْرَأْتَ آلَ حَمٍ؟ قَالَ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَلَمْ أَقْرَأْ آلَ حَمٍ قَالَ مَا قَرَأْتَ ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ لَئِبْرًا إِلَّا آئُودَةً فِي الثُّرَيِّدِ﴾؟ قَالَ وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ هُمْ؟ قَالَ نَعَمْ وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبَّيْحِيُّ سَأَلْتُ عَمْرُو بْنَ شُعَيْبٍ عَنْ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿قُلْ لَا أَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ لَئِبْرًا إِلَّا آئُودَةً فِي الثُّرَيِّدِ﴾ فَقَالَ قُرْبَى النَّبِيِّ ﷺ رَوَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ ^(١).

ولا شك أن وجوب الصلاة على النبي وآله هو دليل لا يقبل التأويل على استحالة فصل النبوة عن امتدادها في الذرية والآل وهي النبوة التي ابتدأت في حضن الذرية والآل وكان لهم رضوان الله عليهم أكبر الفضل وأبلغ الأثر في رعاية هذه النبتة والمحافظة عليها حتى أثمرت هذا الخير العميم الذي عمَّ المسلمين أولاً وانتقل إلى غيرهم من الأمم.

الآن أصبح لدينا ذلك الإسلام النصوصي الذي يمكن لكل من كان أن يأتي النصوص مباشرة أو يضع هو ما يريد من النصوص التي تخدم قضيته ويتغافل عما نزل من عند الله أو ما قاله رسول الله حقاً وصدقاً ثم يقيم على ذلك الركام ديناً يحمل عليه الناس ويقول هذا حلال وهذا حرام بعد أن جرى إزاحة أهل البيت عليهم السلام عن موضعهم المفروض لهم

(١) ابن كثير، مرجع سابق ١١٢ - ٤/١١٣.

من عند الله ﷻ وهكذا فقد أصبح الدين قراطيس وأوراق يجري إخفاء بعضها عند اللزوم وإظهار ما يحتاجه القوم ﴿وَمَا فَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْمَعُونَ قُرَاطِيسَ يُبَدِّلُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾﴾ .

الإسلام الحقيقي هو الإسلام الذي يجمع بين البعد النظري المتمثل في كتاب الله وسنة رسول الله والبعد العملي المتمثل في موالاة النبي وأهل بيته صلاة وسلاماً وثناء عليهم وإقراراً لهم بالفضل ومودة لهم وبغضاً لأعدائهم .

خاتمة

تزامن هذا الكتاب مع الضجة التي أثارتها رسوم الكاريكاتير المسيئة لرسولنا الأكرم محمد ﷺ .

نحن ممن يؤمنون أن تصحيح صورة الإسلام تبدأ من الداخل من خلال تصحيح فهم المسلمين لدينهم وإصلاح أوضاعهم الفاسدة والمضطربة في كل المجالات لا أستثني مجالاً واحداً لا في الدين ولا في السياسة أو الاقتصاد وصولاً إلى عالم الأخلاق .

نحن من يزرع الشوك الذي يدمي أقدامنا ويعوق مسيرنا ويصيب أعيننا فيعوق إبصارنا .

الصحوة الحقيقية للأمة تبدأ من داخلها بتصحيح قراءتها للدين بدلاً من المكابرة والإصرار على الخطأ .

لا يجوز بحال من الأحوال أن نطالب الغرب أو الشرق بتصحيح صورة الإسلام بينما نصر نحن على الاحتفاظ بما يسيء إلى مقام النبوة وأهل بيت النبوة والدفاع عن قتلة أهل البيت ﷺ وظالمهم .

﴿يَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اٰتَيْتُكُمْ عَلَیْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِي اُوْفِ بِهَدْيِكُمْ وَلِئَنۢ تَارَهُۥنَّ ۙ ﴿١﴾ وَءَامِنُوا بِمَا اَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا اَوَّلَ كَاْفِرٍ بِهٖ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيْلًا وَلِئَنۢ تَفْعَلُوْا ۙ ﴿٢﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ۚ وَاَنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ۙ ﴿٣﴾ وَاَقِيْمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَادْكُرُوا مَعَ الرَّاكِعِيْنَ ۙ ﴿٤﴾﴾

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ إِلَّا نَقَلُونَ﴾ [البقرة ٤٠ - ٤٤]

صدق الله العلي العظيم.

دكتور أحمد راسم النفيس

المراجع

المؤلفات الفكرية:

- ١ - الطريق إلى مذهب أهل البيت. طبع
- ٢ - رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر. طبع
- ٣ - على خطى الحسين. طبع
- ٤ - المهدي المنتظر ومعركة تحرير القدس. طبع
- ٥ - الشيعة والثورة (ما بعد استشهاد الإمام الحسين). طبع
- ٦ - الجمل وفقه الطائور الخامس. مخطوط
- ٧ - التحكيم - قراءة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية. طبع
- ٨ - الجماعات الإسلامية - محاولة استمساخ الأمة الإسلامية. طبع
- ٩ - من أسس لثقافة العنف. طبع
- ١٠ - المصريون والتشيع الممنوع (طبع).
- ١١ - شرح دعاء السَّحَر لأبي حمزة الثمالي مخطوط.
- ١٢ - علي بن أبي طالب وأخلاقيات السياسة. طبع.
- ١٣ - المسلمون والآخر مخطوط.
- ١٤ - رسالة من أب لابنه (رسالة تربوية) مخطوط.
- ١٥ - علي بن أبي طالب والعدالة الاجتماعية (مؤتمر الإمام علي بن أبي طالب طهران مارس ٢٠٠١).
- ١٦ - الزهراء سيدة نساء العالمين.
- ١٧ - الشيعة والثورة الجزء الثاني.

- ١٨ - الشيعة في العراق. طبع في مصر.
 - ١٩ - مقالات في الفكر والدين والسياسة.
 - ٢٠ - القرضاوي (وكيل الله أم وكيل بني أمية؟؟؟) رداً على كتابه تاريخنا المفترى عليه. طبع
 - ٢١ - الشيعة والتشيع. تحت الطبع.
 - ٢٢ - الإرهاب لا يمكن أن يكون شيعياً.
 - ٢٣ - عندما يحكم العبيد. طبع
 - ٢٤ - نقض الوهاية. طبع
 - ٢٥ - النبوة في نهج البلاغة.
 - ٢٦ - مأساة الحج والأماكن المقدسة.
 - ٢٧ - أماكننا المقدسة. . المدنسة.
 - ٢٨ - فقه التغيير - دراسة مقارنة بين السيد محمد باقر الحكيم وسيد قطب. مقال منشور في مجلة المنهاج.
 - ٢٩ - الشهيد الصدر ودينامية الصراع الاجتماعي (مؤتمر الذكرى العشرين لاستشهاد السيد محمد باقر الصدر طهران يناير ٢٠٠١).
 - ٣٠ - هل حقاً أن ابن خلدون هو أول من أسس علم الاجتماع والعمران؟؟.
- بالإضافة إلى عشرات المقالات السياسية والفكرية المنشورة في جريدة القاهرة القاهرية ومجلة البداية وجريدة نهضة مصر وصوت الأمة فضلاً عن المقالات العلمية المنشورة بمجلة العربي الكويتية وآخرها (ساعة الأعمار) نوفمبر ٢٠٠٣ (أبناؤنا قاماتهم وقوامهم) مايو ٢٠٠٣ السكر المر يناير ٢٠٠٤ (مشكلة تأخر البلوغ عند المراهقين).

تليفون منزل وفاكس ٠٠٢٠٥٠٢٢٤٤٨٣٩

محمول ٠٠٢٠١٢٣٩١٣٠٢٩

عيادة ٠٠٢٠٥٠٢٢٢٢٩١٠

الفهرس

٥ مقدمة لازمة
٥٦ تلك هي القضية!!!
٧ النبوة في نهج البلاغة
٧ نفتتح بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٨ من أراد أن يعرف رسول الله فليأل علياً عليه السلام
١٣ رواية نزول الوحي في كتاب البخاري
١٣ فمن الذي رواها؟!!
١٤ أما رواية نزول الوحي ودور ورقة المزعوم فإسنادها كالأتي
١٧ نماذج من التصورات المتداولة عن النبي محمد ﷺ
١٩ الرواية والرائي والفخر الرازي
٢٣ تعليق
٢٧ كارثة البخاري
٢٧ الرواية بنصها
٣٣ بشرية النبي الأكرم محمد ﷺ
٣٨ رسولنا رحمة للعالمين
٣٩ بين محمد وموسى
٤٧ بين محمد وعيسى
٥٠ الخطبة الطالوتية
٥٥ النبوة في نهج البلاغة
٥٥ النبوة شجرة
٥٥ يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
٦١ النبوة كلمة الله
٦٢ فبأي حديث بعده يؤمنون؟!!
٦٥ مناقب الشجرة المحمدية

٦٧ الأمثال في القرآن
٦٧ يقول الأصفهاني
٧١ الإمام علي يصف الشجرة المحمدية
٧٢ روى مسلم في (صحيحه)
٧٥ الرسول الأكرم سليل المجد والشرف
٧٦ عبد المطلب بن هاشم
٨١ كما يروي ابن الجوزي في (المنتظم)
٨١ منام رقيقة واستسقاء قریش برسول الله ﷺ
٨٣ بين عبد المطلب وأبرهة
٨٥ عبد الله بن عبد المطلب
٨٧ تزويج عبد الله من آمنة بنت وهب
٨٨ موت والد الرسول عبد الله بن عبد المطلب
٨٨ تعليق هام
٩١ النبوة والاصطفاء
٩١ معنى الاصطفاء
٩٣ خطبة الإمام الصادق
٩٦ دوائر الاصطفاء
٩٧ الرسائل السماوية والاصطفاء: تسليم وتسليم
٩٨ الاصطفاء ليس نوعاً من التدليل
٩٩ الاصطفاء في سورة الصفات
١٠٣ بنو هاشم الممهّدون للنبوة
١٠٣ كما يقول ﷺ في رسالته لمعاوية
١٠٧ إسلام أبي طالب
١٠٧ تصحيح الموازين أم قلبها؟؟
١٠٩ رواية الإعلام السفيناني
١١٣ بعض المواقف الرسالية الصلبة لأبي طالب ﷺ
١١٣ خطبة أبي طالب في تزويج محمد من خديجة
١١٣ مواقف أبي طالب دفاعاً عن الإسلام
١١٦ شعر أبي طالب في التعريض بمن خذله من عبد مناف
١١٧ شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته
١٢٢ مبعوثو قریش إلى النجاشي

١٢٢	شعره المرسل للنجاشي
١٢٣	موقف أبي طالب من المقاطعة الغالمة
١٢٣	فلما اجتمعت على ذلك قريش قال أبو طالب
١٢٤	أبو طالب يجير أبا سلمة بن عبد الأسد
١٢٥	إخباره عليه الصلاة والسلام بأكل الأرضة الصحيفة
١٢٩	الكتيبة الهاشمية تفدي الإسلام بأرواحها
١٣١	بنو هاشم طليعة الإيمان
١٣٥	استشهاد حمزة بن عبد المطلب
١٣٨	الرسول يصلي على حمزة سبعين مرة
١٣٩	استشهاد جعفر الطيار
١٤٣	أحوال العرب قبل البعثة النبوية
١٤٣	يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
١٤٥	وقال ذو الإصبع
١٤٩	صورة إجمالية
١٥٥	وظيفة الأنبياء
١٥٥	إقامة الحجة
١٥٥	يقول الإمام علي عليه السلام
١٥٦	معنى الحجة
١٥٩	وسائل إقامة الحجة
١٦١	الروايات التي تكرم العقل
١٧١	أهل البيت عليه السلام ودورهم في مواصلة إقامة الحجة
١٧٢	يقول الإمام علي بن أبي طالب
١٧٦	مفهوم الحجة عند أئمة أهل البيت عليه السلام
١٧٧	معجزات الرسول الأكرم
١٧٩	معجزة انشقاق القمر
١٨٣	دلالة المعجزات النبوية
١٨٤	الدكتور هيكल ينفي وقوع المعجزات النبوية!!
١٨٩	هل حقاً أن القرآن لم يأت على ذكر معجزات النبوة؟؟
١٩١	بنو أمية: أعلم بشؤون دنياكم!!
١٩٥	نزول الوحي
١٩٩	ينبئنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى حقيقتين

٢٠٠ كما أننا ينبغي أن ننتبه إلى التفرقة بين مرحلتين
٢٠١ علي الصديق الأكبر
٢٠٩ الهجرة
٢١٠ المفهوم الحقيقي للهجرة
٢١٣ يقول الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان
٢١٥ زهد رسول الله في الدنيا
٢٢١ الذين رووا عن رسول الله
٢٢٦ أمية الرسول المزعومة
٢٢٧ معنى كلمة أمي
٢٣١ موقف أئمة أهل البيت
٢٣٣ وفاة رسول الله
٢٤٠ إثبات الوصية
٢٤٢ بعض من وصايا رسول الله
٢٤٥ مرآتي رسول الله الإمام يرثي رسول الله
٢٤٧ أروى بنت عبد المطلب
٢٤٧ عاتكة بنت عبد المطلب
٢٤٧ وقالت أيضاً
٢٤٨ وقالت
٢٤٨ صفية بنت عبد المطلب
٢٤٩ هند بنت الحارث بن عبد المطلب
٢٥١ الذين ارتدوا على أديبارهم
٢٥٧ واجب المؤمنين نحو نبيهم
٢٥٧ الواجب الأول: تجديد العهد مع رسول الله
٢٥٨ الصلاة على النبي وآله الطاهرين
٢٦٠ الواجب الثاني: المودة في القربى
٢٦٥ خاتمة
٢٦٧ المراجع
٢٦٧ المؤلفات الفكرية
٢٦٩ الفهرس